

الشيخ ابو العباس احمد بن خالد الناصري

كتاب

الاستقفا

لأخبار دول المغرب الاقصى



الدولة المرينية

(القسم الثاني)

الجزء الرابع



تحقيق وتعليق ولدى المؤلف صاحبي السعادة :

الاستاذ جعفر الناصري — والاستاذ محمد الناصري



حقوق الطبع محفوظة لولدى المؤلف

دار الكتاب

الدار البيضاء

١٩٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الدولة المرينية

القسم الثاني

الخبر عن دولة السلطان السعيد بالله

ابى بكر بن ابى عنان بن ابى الحسن المرينى



هذا السلطان أول من استبد عليه من ملوك بنى مرين . أمه : أم ولد اسمها الياسمين . كنيته : أبو يحيى ، وهى كنية كل من اسمه أبوبكر : لقبه . السعيد بالله . صفته : درى اللون مستدير الوجه حسن الانف ألحس الشفتين ، براق الثنايا ، جعد الشعر . بويح وابوه مريض فى التاريخ ! المتقدم ، وكان محجوبا بوزيره حسن بن عمر الفودودى لا يملك معه خرا ولا نفعا ، ولما بويح لحق أخوه عبد الرحمن (*) بن أبى عنان بجبل الكاى وكان أسن منه ، وانما آثروه لمكان ابن عمه مسعود بن عبد الرحمن بن ماساى من وزارته ، فبعثوا اليه من لطفه واستنزله على الامان وجاء به الى اخيه فاعتقله الحسن بن عمر بقصبة من فاس ، وبعث على ابناء السلطان الاصاغر الامراء بالثغور ، فجاء المعتصم من سجلماسة ، وامتنع المعتمد بمراكش وكان بها فى كفالة عامر (*) بن محمد الهنتاتى ، وكان عامر هذا من بيوتات هنتاة واهل الرياسة والشرف فيهم ، وكان السلطان أبو عنان قد أوصى اليه بولده المذكور وجعله هنالك لنظره ، فلما بعثوا عليه منعه من الوصول اليهم ، وخرج به من مراكش الى حصنه من جبل هنتاة فجهز اليه الوزير حسن بن عمر الجيوش لنظر الوزير سليمان بن داود مشاركته فى الاستبداد ، وسرحه فى المحرم سنة

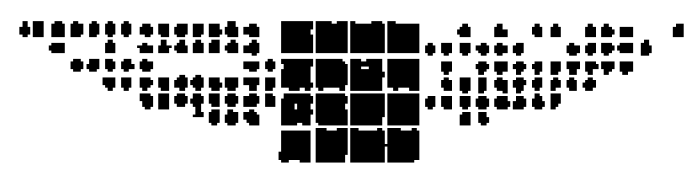
(*) عبد الرحمن هذا لم يعد صاحب روضة النسرين فى جملة اولاد السلطان ابى عنان .

(*) انظر ترجمة عامر هذا عند ابن خلدون ج اول طبع الجزائر ص ٣٥٩ والتى تليها

ستين وسبعمائة، فسار الى مراکش فاستولى عليها ثم تخطى الى الجبل فأحاط به وضيق على عامر حتى أشرف على اقتحام الحصن الى ان بلغه خبر افتراق بنى مرين بفاس، وظهور منصور بن سليمان بها على ما ذكره، فانفض العسكر من حوله وتسايقوا الى منصور فلحقوا به، ولحق به سليمان بن داود أيضا وتنفس الحصار عن عامر ومكفوله، والله غالب على أمره



ظهور ابى حمو موسى بن يوسف الزياني واستيلاؤه على تلمسان
ونهوض مسعود بن عبد الرحمن اليه وطرده عنها

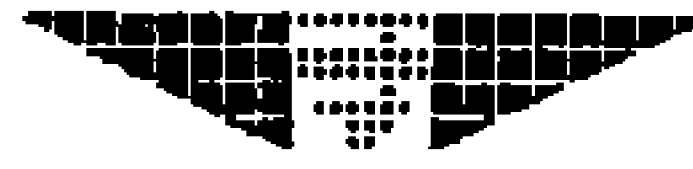


كان بنو عامر بن زغبة من عرب هلال خارجين على السلطان ابى عنان منذ استيلائه على تلمسان وكانت رياستهم الى صغير بن عامر بن ابراهيم، ولما رجع أبو عنان الى فاس اعتزم صغير على الرحلة بقومه الى وطنهم من صحراء المغرب لانهم كانوا متبذرين عنها باطراف افريقية، فدعوا أبا حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان الى الرحلة معهم لينصبوه للامر ويجلبوا به على تلمسان فأجابهم الى ذلك، واغذوا السير الى المغرب للعث في نواحيه، فجمع لهم أعداؤهم من سويد وكانوا خالصة لبنى مرين فالتقوا بقبلة تلمسان فانهزمت سويد، وهاك كبيرهم عثمان بن ونزمار، واتصل بهم في أثناء ذلك خبر وفاة السلطان ابى عنان بفاس، فاغذوا السير الى تلمسان وقتلوا عليها حامية بنى مرين ثم اقتحموها عليهم ليلال خلون من ربيع الاول سنة ستين وسبعمائة، واستباحوا من كان بها منهم، وامتلاأت ايديهم من أسلابهم، واستولى ابو حمو على ملك تلمسان واستأثر بما الفاه بها من متاع بنى مرين ومن جملة هدية كان السلطان ابو عنان أعدها هنالك ليعث بها الى طاغية برشلونة وفيها فرس أدهم من مقرباته بمركب ولجام مذهين ثقيلين فاتخذ أبو حمو الفرس لركوبه، وصرف باقى الهدية في وجوه مقاصده ولما انتهى الى الوزير حسن

ابن عمر خبر تلمسان واستيلاء أبي حمو عليها جمع شيوخ بني مرين واخبرهم بالنهوض اليها فأبوا عليه من النهوض بنفسه ، وأشاروا بتجهيز العساكر ووعدوه من انفسهم المسير كافة ففتح ديوان العطاء وفرق الاموال واسنى الصلات وازاح العلل وعسكر بساحة البلد الجديد ، ثم عقد عليهم لمسعود بن عبد الرحمن بن ماساي وحمل معه المال وأعطاه الآلة وسار في العساكر والالوية ولما اتصل خبر مسيره بابي حمو أفرج له عن تلمسان ودخلها مسعود ففى ربيع الثانى من السنة المذكورة فاستولى عليها وخرج ابو حمو الى الصحراء الى ان كان ما نذكره .



ظهور منصور بن سليمان وبيعة مسعود بن عبد الرحمن له وما نشأ عن ذلك



منصور هذا هو منصور بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق ، وكان الناس يرجفون بان ملك المغرب سائر اليه بعد وفاة أبي عنان وشاع ذلك على السنة الناس حتى تحدث به السمر والندمان وخشى منصور على نفسه من ذلك فجاء الى الوزير حسن بن عمر وشكا اليه ذلك فنهاه أن يختلج بفكره هذا الوسواس وانتهره انتهارا خلا عن وجه السياسة فأنزجر واستكان . قال ابن خلدون : « ولقد شهدت هذا الموطن فرحمت ذلة انكساره وخضوعه فى موقفه » . ثم لما نهض مسعود بن عبد الرحمن الى تلمسان واستولى عليها كان منصور هذا فى جملته ، ولما فر ابو حمو الى الصحراء اجتمعت عليه جموع العرب من بني زغبة وبني معقل ثم خالفوا بني مرين الى المغرب واحتلوا بانكاد بحللهم وظواعنهم ، فجهز اليهم مسعود بن عبد الرحمن عسكريا من جنوده انتقى فيه مشيخة بني مريـن وامراءهم ، وعقد عليهم لابن عمه عامر بن عبد الله بن ماساي وسرحه ، فزحف

الى العرب بساحة وجدة فصدقه العرب القتال ، فانكشفت بنو مرين واستيحي معسكرهم واستلبت مشيختهم وأرجلوا عن خيولهم ودخلوا الى وجدة عراة وبلغ الخبر الى بنى مرين الذين بتلمسان وكان فى قلوبهم مرض من استبداد حسن بن عمر عليهم وحجره لسلطانهم فكانوا يتربصون بالدولة الدوائر ، فلما بلغهم هذا الخبر حاصوا حيصة حمر الوحش وخلصوا نجيا بساحة البلد ، فاتفقوا على البيعة ليعيش بن على بن أبى زيان بن يوسف بن يعقوب فبايعوه ، وانتهى الخبر الى مسعود بن عبد الرحمن وكان فى جملة منصور ابن سليمان كما قلنا فاكرهه على البيعة ، وبايعه معه الرئيس الالبكم من بنى الاحمر ، وقائد النصارى القهر دور ، وتسائل اليه الناس من كل جانب ، وتسامع الملا من بنى مرين بالخبر فتهاشروا اليه وذهب يعيش بن على لوجهه فركب البحر الى الاندلس ، واستتب أمر منصور بن سليمان واجتمع بنو مرين على كلمته فارتحل بهم من تلمسان يريد المغرب ، واعترضتهم جموع العرب فى طريقهم فاوقعت بهم بنو مرين وامتلاأت ايديهم من اسلابهم وظعنهم ، ثم أغذوا السير الى المغرب فاحتلوا بوادى سبو فى منتصف جمادى الآخرة من سنة ستين وسبعمائة ، وبلغ الخبر الى الحسن بن عمر فبرز واضطرب معسكره بساحة البلد ، واخرج السلطان السعيد فى الآلة والتعية الى أن أنزله بفسطاطه ، ولما غشيهم الليل انفض عنه الملا الى منصور فاوقد الوزير الشموع وأذكى النيران وجمع الموالى والجند حول الفسطاط حتى أركب السلطان وعاد به الى قصره وتحصن بالبلد الجديد ، واصبح منصور بن سليمان فارتحل فى التعية حتى نزل بكدية العرائس فى الثانى والعشرين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة وغدا على فاس الجديد بالقتال وجمع الايدى على اتخاذ الآلات للحصار ، واثالت عليه وفود الامصار بالمغرب للبيعة ، ولحققت به كتائب بنى مرين التى كانت مجمرة على حصن عامر بن محمد الهنتاتى ، ولحق به أيضا قائدها سليمان بن داود وكاد أمره يتم وأقام على فاس الجديد يغاديهما القتال ويراوحها ، ثم بدا الخلل فى عسكره ونزع عنه الى الوزير حسن بن عمر طائفة من بنى مرين ، ولحق آخرون ببلادهم

ووقفوا ينتظرون ما آل أمره ، واستمر هذا الحال الى غرة شعبان فيينما الناس في ذلك اذ ظهر السلطان أبو سالم بجبال غمارة فانصرفت اليه وجوه أهل المغرب ، وبطل أمر السلطانين : أبي بكر السعيد ، ومنصور بن سليمان معاً ، وذا با كما يذوب الملح ، فأما منصور بن سليمان فانه فر الى بادس فقبض عليه وجيء به الى السلطان أبي سالم فقتله ، وأما السعيد فان وزيره الحسن بن عمر لما سمع بظهور السلطان أبي سالم واستفحال أمره نبذ دعوة سلطانه المذكور وبعث بطاعته الى ابي سالم ووعدته بالتمكين من دار الملك ان قدم عليه ، فكان الامر كذلك ، وخلع السعيد يوم الثلاثاء الثاني عشر من شعبان سنة ستين وسبعمائة (*) ، ثم قتل بعد ذلك غرقاً في البحر ، فان السلطان ابا سالم بعثه في جملة الابناء المرشحين من بني ابي الحسن الى الاندلس ، ووكل بهم من يحرسهم ثم بعد ذلك بعث الى الموكل بهم فحملهم في سفينة كأنه يريد بهم المشرق ثم غرقهم في البحر ، والامر لله وحده



الخبر عن دولة السلطان المستعين بالله

أبي سالم ابراهيم بن أبي الحسن المريني



كان هذا السلطان جواداً ، جم العطاء ، معروف بالوفاء ، كثير الحياء ، كنيته : أبو سالم . لقبه : المستعين بالله . أمه : أم ولد رومية اسمها قمر ، صفته : آدم اللون ، معتدل القامة ، رحب الوجه ، واسع الجبين ، بادن الجسم ، أعين ادعج ، معتدل اللحية أسودها . وكان بعد مهلك والده السلطان ابي الحسن رحمه الله قد استقر بالاندلس . بعثه اليها أخوه أبو غنان كما مر ، ولما مات أبو غنان المذكور وولى ابنه الصبي طمع أبو سالم هذا في الملك ، فاستاذن الحاجب رضوان مدبر دولة ابن الأحمر بالاندلس في اللحاق ببلاده فأبى عليه ، فغاضه ذلك

(*) وكانت دولته سبعة اشهر وعشرين يوماً

ونزع عنه الى طاغية قشتالة وتطارح عليه في أن يحمله الى بر العدو يطلب ملك
 ابيه فأسعفه وامر به فحمل في مركب والقي به ملاحه في ساحل بلاد غمارة
 بعد أن تردد في أي السواحل يلقيه ، ووافق ذلك اختلاف الكلمة بفاس
 ومحاصرة منصور بن سليمان للمدينة البيضاء ، فتسامع الناس بخروجه ببلاد
 غمارة احوج ماكانوا اليه فسايلاوا اليه من كل وجه ، وانفض الناس من حول
 منصور ومشى أهل معسكره بأجمعهم على التعية فلحقوا بالسلطان أبي سالم
 واستغذوه الى دار ملكه فأغذ السير اليها . وخلع الحسن بن عمر سلطانه السعيد
 من الامر لتسعة أشهر من خلافته ، وأسلمه الى عمه فخرج اليه وبايعه ،
 ودخل السلطان ابو سالم البلد الجديد يوم الجمعة منتصف شعبان من سنة
 ستين وسبعمائة ، واستولى على ملك المغرب ، وتوافت وفود النواحي بالبيعات
 وعقد للحسن بن عمر على مراكش ، وجهزه اليها بالعساكر تخففا منه وريبة
 بمكانه من الدولة ، واستوزر مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي والحسن بن
 يوسف الورتاجني ، واصطفى من خواصه خطيب أبيه الفقيه ابا عبد الله
 محمد بن أحمد بن مرزوق وجعل الى ابي زيد عبد الرحمن بن خلدون
 صاحب التاريخ توقيعه وكتابة سره ، قال : « وكنت نزلت اليه من معسكر منصور
 ابن سليمان بكدية العرائس لما رأيت من اختلاف احواله ومصير الامر
 الى السلطان أبي سالم فاقبل علي وانزلني بمحل التنويه واستخلصني لكتابته اه »



قدوم الغنى بالله ابن الاحمر ووزيره ابن الخطيب مخلوعين

على السلطان أبي سالم والسبب في ذلك



قد قدمنا أن السلطان ابا الحجاج قتل يوم عيد الفطر بالمصلى سنة خمس
 وخمسين وسبعمائة وولى الامر من بعده ابنه الغنى بالله محمد بن يوسف ،
 وكان له أخ اسمه اسماعيل فجعله الغنى بالله في بعض القصور من حمراء
 غرناطة احتفاظا به الى ان كان رمضان من سنة ستين وسبعمائة فخرج الغنى

بالله الى بعض منزهاته خارج القصبه ، ولما كانت ليلة سبع وعشرين مسن
رمضان المذكور أو ثمان وعشرين منه تسور جماعة من شيعة اسماعيل
المحبوس عليه القصبه ليلا وأخرجوه من محبسه واعلنوا بدعوته ، ثم اقتحموا
على حاجبه رضوان داره فقتلوه على فراشه وبين نساءه ، وضبطوا القصبه ،
واعلنوا بالدعوة ، ولم يرع الغنى بالله الا قرع الطبول بالقصبه في جوف الليل ،
فاستكشف الخبر وتسمع فعلم بما تم عليه من خلعه وتولية أخيه ، فركب
فرسه وخاض الليل الى وادي آش فاستولى عليها وضبطها ، وبايعه أهلها على
الموت ، ثم عمد شيعة اسماعيل النائر الى الوزير ابن الخطيب فاودعوه السجن
بعد أن أغروا به نائهم واكنسحوا داره واصطلموا نعمته وأتلفوا موجوده ،
وكان شيئاً يجل عن الحصر ، واتصل ذلك كله بالسلطان ابي سالم وكانت
له مصافاة مع ابن الاحمر من لدن كان عنده بالاندلس ، فكتب اسماعيل النائر
وشيعته يأمرهم بتخليه طريق الغنى بالله للقدوم عليه ، ويشفع في تسريح
ابن الخطيب وتخليه سبيله فأجابوا الى ذلك وقدم الغنى بالله ابن الاحمر ووزيره
ابن الخطيب على السلطان ابي سالم في السادس من محرم فاتح سنة احدى
وستين وسبعمائة ، فأجل السلطان أبو سالم قدومه ، وركب للقائه ، ودخل
به الى مجلس ملكه وقد احتفل في ترتيبه وقد غص بالمشيخة والعية ، ووقف
وزيره ابن الخطيب على قدميه فانشد السلطان ابا سالم قصيدته الرائية
يستصرخه لسلطانه ، ويستحثه لمظاهرتة على أمره واستعطف واسترحم بما
أبكى الناس شفقة له ورحمة ونص القصيدة:

سلا هل لديها من مخبرة ذكر	وهل أعشب الوادي ونم به الزهر
وهل باكر الوسمى دارا على اللوا	عفت آيها الا التوهم والذكسر
بلادي التي عاطيت مشمولة الهوى	باكنافها والعيش فينان مخضر
وجوى الذي ربي جناحي وكره	فها أنا ذا مالي جناح ولا وكر
نبت بي لا عن جفوة وملالة	ولا نسخ الوصل الهني بها هجر
ولكنها الدنيا قليل متاعها	ولذاتها دأبا تزور وتزور
فمن لي بقرب العهد منها ودوننا	مدى طال حتى يومه عندنا شهر

ولله عينا من رأينا وللأسى
وقد بددت در الدموع يد النوى
بكينا على النهر الشروب عشيّة
أقول لا طعاني وقد غالها السرى
رويدك بعد العصر يسران أبشرى
ولله فينا علم غيب وربما
وان تخن الايام لم تخن النهى
وان عركت منى الخطوب مجربا
فقد عجمت عودا صليبا على الردى
اذا أنت بالبيضاء قررت منزلى
زجرنا بابراهيم برء همومنا
يمتخب من آل يعقوب كلمنا
تناقلت الركبان طيب حديثه
ندى لو حواء البحر لذ مذاقه
وبأس غدا يرتاع من خوفه الردى
أطاعته حتى العصم فى قن الربا
قصدناك ياخير الملوك على النوى
كفنا بك الايام عن غلوائها
وعدنا بذاك المجد فانصرم الردى
ولما أتينا البحر يرهب موجّه
خلافتك العظمى ومن لم يدن بها
ووصفك يهدى المدح قصد صوابه
دعتك قلوب المومنين واخلصت
ومدت الى الله الا كف ضراعة
والبسها النعمى ببيتك التنى
فأصبح ثغر الثغر يسم ضاحكا

ضرام له فى كل جانحة جمـ
وللشوق أشجان يضيق لها الصدر
فعاد أجاجا بعدنا ذلك النهـ
وآنسها الحادى وأوحشها الزجر
بانجاز وعد الله قد ذهب العسر
أتى النفع من حال اريد بها الضر
وان يخذل الاقوام لم يخذل الصبر
نقابا تساوى عنده الحلو والمر
وعزما كما تمضى المهندة البتر
فلا اللحم حل ما حييت ولا الظهر
فلما رأينا وجهه صدق الزجر
دجا الخطب لم يكذب لعزمته فجر
فلما راته صدق الخبر الخبر
ولم يتعقب مده ابداء جـ
وترفل فى اذياه الفتكة البكر
وهشت الى تامله الانجم الزهر
لتصفنا مما جنى عبدك الدهر
وقد رابنا منها التعسف والكبر
ولدنا بذاك العزم فانهزم الذعر
ذكرنا نذاك الغمر فاحتقر البحر
فايمانته لغو وعرفاته نكر
اذا ظل فى أوصاف من دونك الشعر
وقد طاب منها السر لله والجهـ
فقال لهن الله قد قضى الامر
لها الطائر الميمون والمحتد الحر
وقد كان مما تابه ليس يفتـ

وامنت بالسلم البلاد وأهلها
وقد كان مولانا أبوك مصرحاً
وكنت حقيقاً بالخلافة بعده
فأوحشت من دار الخلافة هالكة
فرد عليك الله حَقَّكَ اذ قضى
وقاد اليك الملك رفقا بخلقـه
وزادك بالتمحيص عزا ورفعـة
وانت الذى يدعى اذا دهم الردى
وانت اذا جار الزمان محكـم
وهذا ابن نصر قد اتى وجناحه
غريب يرجى منك ما انت أهله
ففر يا امير المؤمنين بيعة
ومثلك من يرعى الدخيل ومن دعا
وخذ يا امام الحق بالحق ثاره
وانت لها يناصر الحق فلتقم
فان قيل مال ، مالك الدثر وافر
يكف بك العادى ويحيابك الهدى
أعده الى أوطانه عنك راضياً
وعاجل قلوب الناس فيه بجبرها
وهم يرقبون الفعل منك وصفقة
مرامك سهل لا يشودك كلفة
وما العمر الا زينة مستعارة
ومن باع ما يفنى باق مخلد
ومن دون ماتبعيه يا ملك الهدى
وراد وشقر واضحات شياتها
وشهب اذا ما ضمرت يوم غارة

فلا ظبة تعرى ولا روعة تعرو
بانك فى اولاده الولد البسر
على الفور لكن كل شىء له قدر
أقامت زمانا لا يلوح بها البدر
بأن تشمل النعمى وينسدل الستر
وقد عدموا ركن الامامة واضطروا
وأجرا ، ولولا السبك ما عرف التبر
وأنت الذى يرجى اذا أخلف القطر
لك النقض والابرام والنهى والامر
مهيض ومن عليك يلتمس الجبر
فان كنت تبغى الفخر قد جاءك الفخر
موثقة قد حل عروتها الفدر
بيا لمرين جاءه العز والنصر
ففى ضمن ما تاتى به العز والاجر
بحق فما زيد يرجى ولا عمرو
وان قيل جيش ، عندك العسكر المجر
ويبنى بك الاسلام ما هدم الكفر
وطوقه نعماك التى مالها حصر
فقد صدهم عنه التغلب والقهر
تحاولها يمنك ما بعدها خسر
سوى عرض ما ان له فى العلا خطر
ترد ، ولكن الثناء هو العمسر
فقد انجح المسعى وقد ربح التجبر
جياذ المذاكى والمحجلة الفسر
فاجسامها تبر وارجلها در
مصممة غارت بها الانجم الزهر

وأسد رجال من مرين أعززة
عليها من المأذى كل مفاضلة
هم القوم ان هبوا لكشف ملمسة
اذا سئلوا أعطوا، وان نوزعوا سطوا،
وان مدحوا اهتزوا ارتياحا كانهم
وان سمعوا العوراء فروا بأنفس
وتبسم ما بين الوشيح ثغورهم
أمولاي غاضت فكرتي وتبلدت
ولولا خنان منك داركتي به
فأوجدت مني فائتا أى فائت
بدأت بفضل لم اكن لعظيمه
وطوقتني النعمى المضاعفة التى
وأنت بتسيم الصنائع كافل
جزاك الذى أسنى مقامك رحمة
اذا نحن أثينا عليك بمدحة
ولكننا نأتى بما نستطيعه

عمائمها بيض وآسالها سمر
ندافع فى أعطافها اللجج الخضر
فلا الملتقى صعب، ولا المرتقى وعر
وان واعدوا وفوا، وان عاهدوا بروا
نشاوى تمشت فى معاطفهم خمر
حرام على هاما تها فى الوغى الفس
وما بين قضب الدوح يتسم الزهر
طباعى فلا طبع يعين ولا فكر
واحيتتى لم يبق عين ولا أثر
وانشرت ميتا ضم أشلاءه قبر
بأهل، فجلى اللطف وانشرح الصدر
يقل عليها منى الحمد والشكر
الى أن يعود الجاه والعز والوفر
يفك بها عان وينعش مضطرب
فهيئات يحصى الرمل او يحصر القطر
ومن بذل المجهود حق له العذر

ثم انفض المجلس وانصرف ابن الاحمر الى منزله المعد له وقد فرشت
القصور، وقربت له الجياد بالراكب المذهبة، وبعث اليه بالكسا الفاخرة،
وربت الجرايات له ولمواليه من المعلوجى وبطاته من الصنائع وانحفظ عليه
رسم سلطانه فى الراكب والراجل، ولم يفقد من القاب ملكه الا الاداة أدبا مع
السلطان، واستقر فى جملة الى ان لحق بعد بالاندلس، وعاد له ملكه سنة
ثلاث وستين وسبعمائة، وأرغد السلطان أبو سالم عيش ابن الخطيب، وأفاض
عليه الجرايات، ورتب له الاقطاعات، غير انه كان مضرا لفارقة السلطان
والتخلى عن خدمته والانفراد بنفسه لاغتنام ما بقى من عمره فى طاعة الله تعالى،
فكان من أمره فى ذلك ما نذكره.



سفر ابن الخطيب الى مراکش وأعمالها وزيارته لولياتها ورجالها والسبب فى ذلك



كان ابن الخطيب رحمه الله عندما حصلت له هذه النكبة وخلصه الله منها بانتقاله الى بلاد العدو قد عن له رأى فى الزهد والانقطاع الى الله تعالى واغتنام بقية العمر فيما يعود نفعه فى العاجل والآجل ورفض السلطان واسبابه ، وترك ما يلجئه للوقوف ببابه ، فتلطف فى استئذان السلطان أبى سالم رحمه الله وطلب منه الاذن فى الذهاب الى جهات مراکش والوقوف على آثار الاقدمين بها والتطارح على اولياتها والمثول بأعتابها والتعلق بأذيالها والتمسك بأسبابها ، جاعلا ذلك مفتاح العزلة والتخلى عن الدولة فأذن له وكتب الى العمال باتحافه والاعتناء به ، فتباروا فى ذلك كما يفصح عنه بعض شعره الآتى ، وجعل طريقه على مدينة سلا فتأمل أحوالها ورأى أنها أوفق لمراحه فى العزلة ، فأضمر الاستيطان بها عند عوده من وجهته . ولما دخل مدينة أنفى - وهى الدار البيضاء - مر بها على دار عظيمة تنسب الى والى جبايتها عبو من بنى الترجمان قارون قومه وغنى صنفه ، وكان قد هلك قبل ذلك فقال ابن الخطيب :

« قد مررنا بدار عبو الوالى وهى ثكلى تشكو صروف الليالى
أقصدت ربها الحوادث لما رشقته بصائبات النبال
كان بالامس واليا مستطيلا وهو اليوم ما له من والى »
واظنه فى هذه الوجهة خاطب شيخ العرب مبارك بن ابراهيم بن عطية بن مهلهل الخلطى ونص ما خاطبه به :

« ساحات دارك للضياف مبارك وبضوء نار قراك يهدى السالك
ونوالك المبذول قد شمل الورى طرا وفضلك ليس فيه مشارك
قل للذى قال الوجود قد انطوى والبأس ليس له حسام فاتك
والجود ليس له غمام هاطل والمجد ليس له همام باتك
جمع الشجاعة والرجاحة والندى والبأس والرأى الاصيل مبارك

للدن والدنيا وللشيم العـمـلا
عند الهياج ربيعة بن مكرم
ورث الجلالة عن ابيه وجده
فجياه للآملين مراكب
فاذا المعالي أصبحت مملوكة
يا فارس العرب الذى من يته
يا من يشرب باسمه قصاده
أنت الذى امتأرت فيك بغبطتى
لا زلت نورا يتهدى بضائه
ويخص مجدك من سلامى عاطر

والجود ان شح الغمام السافك
والفضل والتقوى الفضيل ومالك
فكأنهم ما غاب منهم هالك
وخيامه للقاصدين أرائك
أعناقها بالحق فهو المالك
حرم لها حج به ومناسك
فلهم اليه مسارب ومسالك
وسواك فيه مآخذ ومتارك
من جنة للروع ليل حالـك
كالمسك صاك به الغوالى صائـك

الحمد لله تعالى الذى جعل بيتك شهيرا ، وجعلك للعرب اميرا ، وجعل
اسمك فلا ، ووجهك جمالا ، وقربك جاها ومالا ، وآل رسول الله صلى الله
عليه وسلم آلا ، أسلم عليك يا أمير العرب وابن أمرائها ، وقطب ساداتها
وكبرائها ، وأهنيك بما منحك الله تعالى من شهرة تبقى ، ومكرمة لا يضل
التصف بها ولا يشقى ، اذ جعل خيمتك فى هذا المغرب على اتساعه ، واختلاف
أشباعه ، مأمنا للخائف ، على كثرة المذاهب والطوائف ، وصرف اللسان الى
مدحك والخلود الى حبك ، وما ذلك الا لسريرة لك عند ربك ، ولقد كنت ايام
تجمعنى واياك المجالس السلطانية على معرفتك متهاككا ، وطوع الامل سالكا ،
لما يلوح لى على وجهك من سيما المجد والحياء ، والشيم الدالة على العلياء ، وزكاه
الاصول وكرم الاباء وكان والدى رحمه الله قد عين للقاء خال السلطان قريبكم لما
توجه فى الرسالة الى الاندلس نائبا فى تانيسه عن مخدومه ، ومنوها حيث حل
بقدومه ، واتصلت بعد ذلك بينهما المهاداة والمعرفة ، والرسائل المختلفة ، فعظم
لاجل هذه الوسائل شوقى الى التشرف بزيارة ذلك الجنب الذى حلولة شرف
وفخر ، ومعرفته كنز وذخر ، فلما ظهر الان لمحل الاخ القائد فلان اللهاق بك
والتعلق بسببك ، رأيت أنه قد اتصل بهذا الغرض المؤمل بعضى والله تعالى ييسر
فى البعض ، عند تقرير الامر وهدنة الارض ، وهذا الفاضل بركة حيث حل

لكونه من بيت اصالة وجهاد ، وما جدا وابن أمجاد ، ومثلك لا يوصى بحسن
جواره ، ولا ينبه على اثاره ، وقبيلك من العرب في الحديث والقديم ، وهو الذي
أوجب لها مزية التقديم ، لم تفتخر قط بذهب يجمع ، ولا ذخير يرفع ، ولا
قصر يبنى ، ولا غرس يجنى انما فخرها عدو يقلب وثناء يجلب وجزر
تتحرر وحديث يذكر وجود على الفاقة وسماحة بحسب الطاقة فلقد
ذهب الذهب وفنى النشب وتمزقت الاثواب وهلكت الخيل العرب
وكل الذي فوق التراب تراب وبقيت المحاسن تروى وتنقل والاعراض تجلى
وتصقل ولله در الشاعر اذ يقول :

انما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعسى
هذه مقدمة ان يسر الله بعدها لقاء الامير فيجلى اللسان عما في الضمير
ومدحى على الاملاك وقف وانما رايتك منها فامتدحت على وسمى
وما كنت بالمهدى لغيرك مدحتى ولو انه قد حل فى مفرق النجم
وقال فى الشيخ ابن بطلان الصنهاجى : صنهاجة آرمور :

« لله درك يا ابن بطلان فما لشهير جودك فى البسيطة جاحد
ان كان فى الدنيا كريم واحد يزن الجميع فانت ذاك الواحد
أجريت فضلك جعفرًا يحيى به ما كان من مجد فذكرك خالد
فالقوم منك تجمعوا فى مفرد ولد كما شاء العلاء ووالد
وهى الليالى لا تزال صروفها يشقى بموقعها الكريم الماجد
وبمستعين الله يصلح منك ما قد كان أفسده الزمان الفاسد ،

وقال رحمه الله عند ما توسط بسيط تامسنا :

« كأنا بتا مسنا نجوس خلالها وممدودها فى سيرنا ليس يقصر
مراكب فى البحر المحيط تخبطت ولا جهة تدرى ولا البر يبصر
وقال رحمه الله يخاطب ابا العباس أحمد بن يوسف حفيد المولى الصالح
سيدى ابي محمد صالح النائم فى ظل صيته رضى الله عنه :

« يا حفيد المولى يا وارث الفخ حوالى نال فى مقام وحوال
لك يا أحمد بن يوسف جينا كل قطر يعنى أكف الرجال ،

وقال في نفاضة الجراب : لما خرجت من آسفى سرت الى منزل ينسب الى
أبى حدو وفيه رجل من بنى المنسوب اليه اسمه يعقوب فألطف وأجزل وآنس
فى الليل وطلبنى بتذكرة تثبت عندى معرفة فكتبت له :

نزلنا عى يعقوب نجل أبى حدو فعرفنا الفضل الذى ماله حد
وقابلنا بالبشر واحفل القزى فلم يبق لحم لم نثله ولا زبد
يحق علينا أن نقوم بحقه ويلقاه منا البر والشكر والحمد «
وقال رحمه الله وقد اتابه البرغوث :

زحفت الى ركائب البرغوث نم الظلام بركبها المخشوث
بالحبة السوداء قابل مقدمى لله أى قرى أعد خيىث
كسحت بهن ذباب سرح تجلدى ليلا فجل الصبر جد رثيىث
ان صابرت نفسى اذا تعبدت أوصحت منه أنفت من تحنيشى
جيشان من ليل وبرغوث فهل جيش الصباح لصرختى بمغيث
وقال رحمه الله وقد أشرف على الحضرة المراكشية حاطها الله تعالى :

« ما ذا أحدث عن بحر سبحت به من البحار فلا اثم ولا حرج
دعاه مبتدع الاشياء مستويا ما ان به درك كلا ولا درج
حتى اذا ما المنار الفرد لاح لنا صحت ابشرى يامطايا جاءك الفرج
قربت من عامر دارا ومنزلة والشاهد العدل هذا الطيب والارج
ولما وقف على مصانع مراكش وقصورها وقصبتها واعتبر ما صار اليه حالها
بعد الموحدين قال :

بلد قد غزاه صرف الليالى وأباح المصون منه ميع
فالذى خر من بناء قتيلى والذى خر منه بعض جريح
وكان الذى يزور طيب قد تأتى له بها التشريح
أعجمت منه أربع ورسوم كان قدما بها اللسان الفصيح
كم معان غابت بتلك المغانى وجمال أخفاء ذاك الضريح
وملوك تغبدوا الدهر لما أصبح الدهر وهو عبد صريح
دوخوا نازح البسيطة حتى نك ما شاء ذابل وصفيح

حين شبت لهم من البأس نار ثم هبت لهم من النصر ريح
أثر يندب المؤثر لما طال بعد الدنو منه النزوح
ساكن الدار روحها كيف يبقو جسد بعد ما تولى الروح «
ومما قاله في الشيخ أبي العباس السبتي رضي الله عنه على لسان سلطانه الغنى
بالله وهو يومئذ بفاس :

« يا ولي الاله أنت جواد وقصدنا الى حماك المنيع
راعنا الدهر بالخطوب فجئنا نرتجى من علاك حسن الصنيع
فمددنا لك الاكف نرجو عودة العز تحت شمل جميع
قد جعلنا وسيلة تربك الزا كي وزلفى الى العليم السميع
كم غريب أسرى اليك فوافى برضى عاجل وخير سريع .»
وقال بخاطب عميد البلاد المراكشية ، المتميز بالرأى والسياسة والهمة
وافاضة العدل وكف اليد والتجافى عن مال الجباية عامر بن محمد بن علي
الهناتى :

تقول لي الاطعان والشوق في الحشا له الحكم يمضى بين ناه وآمر
اذا جبل النوحيد اصبحت فارعا فخيم قرير العين في دار عامر
وزر تربة المعلوم ان مزارها هو الحج يسعى نحوه كل خامر
ستلقى بمثوى عامر بن محمد ثغور الامانى من ثنايا البشائر
ولله ما تبلوه من سعد وجهه ولله ما تلقاه من يمن طائر
وتستعمل الامثال في الدهر منكما بخير مزور أو باغب زائر
لم يكن همى أبقاك الله تعالى مع فراغ البال ، واسعاف الآمال ، ومساعدة
الايام والليال ، اذ الشمل جميع ، والزمان كله ربيع ، والدهر سميع مطيع ،
الا زيارتك في جبلك الذى يعصم من الطوفان ، ويواصل أمنه بين النجوم
والاجفان ، وأن أرى الافق الذى طلعت منه الهداية ، وكانت اليه العودة ومنه
البداية ، فلما حم الواقع ، وعجز عن خرق الدولة الاندلسية الراقع ، وأصبحت
ديار الاندلس وهى البلاقع ، وحسنت من استدعائك اياى المواقع ، وقوى العزم
وان لم يكن ضعيفا ، وعرضت على نفسى السفر بسبك فالفيتة خفيفا ، والتمست
(الاستقصا - اربع - 2)

الاذن حتى لا نرى فى قبة السداد تحريفا ، واستقبلتك بصدر مشروح ،
وزند للغرم مقدوح ، والله سبحانه وتعالى يحقق السؤل ، ويسهل بمشوى الامائل
المؤل ، ويهيىء من قيل هتاتة القبول ، بفضلہ « انتهى » .

ولما ذهب الى عامر بن محمد المذكور ورقى الجبل زار الموضع الذى توفى به
السلطان أبو الحسن رحمه الله ، وقد ألم بذكر ذلك فى « نفاضة الجراب » اذ قال : وشاهدت
بجبل هتاتة محل وفاة السلطان المقدس أمير المسلمين أبى الحسن رحمه الله
حيث أصابه طارق الاجل الذى فصل الخطة ، وأصمت الدعوة ورفع المنازعة ،
وعاينته مرفعا عن الابتذال بالسكنى مفروشا بالحصباء ، مقصودا بالابتغال
والدعاء فلم أبرح يوم زيارته أن قلت :

ياحسنها من اربع وديار	أضحت لبغى الامن دار قرار
بجبال عز لاتدل انوفها	الا لغز الواحد القهار
ومقر توحيد واس خلافة	آثارها تبى عن الاخيار
ماكنت أحسب أن انهار الندى	تجرى بها فى جملة الانهار
ما كنت أحسب ان انوار الحجا	تلتاح فى قنن وفى احجار
مجت جوانبها البرود وان تكن	شبت بها الاعداء جذوة نار
هدت بناها فى سيل وفائها	فكأنها صرعى بغير عقار
لا توعدها على المجد العندا	رضيت بيعث النار لا بالعار
عمرت بحلة عامر واعزها	عبد الغريز بمرهف بتار
فرسا رهان أحرزا قصب الندى	والباس فى طلق وفى مضمار
ورثا عن الندب الكبير أبيهما	محض الوفاء ورفعته المقدار
وكذا الفروع تطول وهى شبيهة	بالاصل فى ورق وفى أثمار
أزرت وجوه الصيد من هتاتة	فى جوها بمطالع الاقمار
لله أى قبيلة تركت لها الـ	نظراء دعوى الفخر يوم فخار
نصرت امير المسلمين وملكه	قد أسلمته عزائم الانصار
وارت عليا عند ما عظم الردى	والروع بالاسماع والابصار
وتخاذل الجيش اللهم واصبح الا	بطل بين تقاعد وفرار

كفرت صنائعه فيمم دارها
واقام بين ظهورها لا يتقى
فكانها الانصار لما أن سمت
لما غدا احظا وهم أحفانه
حتى دعاه الله بين بيوتهم
لو كان يمنع من قضاء الله ما
قد كان يأمل ان يكافىء بعض ما
ما كان يقنعه لو امتد المدي
فيعيد ذاك الماء ذائب فضة
حتى تفوز على النوى او طائها
حتى يلوح على وجوه وجوهم
ويسوغ الامل القصي كرامها
ما كان يرضى الشمس أو بدر الدجا
أو ان يتوج أو يقلد ها مهسا
حق على المولى انه اثار ما
فلمثلها دخر الجزاء ، ومثله
وهو الذي يقضى الديون وبره
حتى تحج محلة رفعوا بها
فيصير منها البيت بيتا ثانيا
تغنى قلوب القوم عن هدى به
حيث من دار تكفل سعيها ال
وضفت عليك من الاله عناية

مستظها منها بعز جوار
وقع الردى وقد ارتمى بشرار
فيما تقدم غربة المختار
نابت سفارهم عن الاشفار
فأجاب ممثلا لامر البساري
خلصت اليه نوافذ الاقدار
أولوه لولا قاطع الاعمار
الا القيام بحقها من دار
ويعيد ذاك الترب ذوب نزار
من ملكه بجلائل الاوطسار
أثر العناية ساطع الانوار
من غير ما ثنيا ولا استعصار
عن درهم فيهم ولا دينار
ونحورها بأهله ودراري
بذلوله من نصر ومن اثار
من لا يضع صنائع الأحرار
يرضيه في علن وفي اسرار
علم الوفاء لاعين النظار
للطائفين اليه أي بدار
ودموعهم تكفى لرمي جمار
محمود بالزلفى وعقبى الدار
ما كر ليل فيك اثر نهار ،

ويعنى بالمولى ابنه : السلطان أبا سالم بن أبي الحسن . ثم سار ابن الخطيب الى
أغمات فزار مشاهدها وشاهد معاهدها فحكى عن نفسه رحمه الله قال : « وقفت
على قبر المعتمد بن عباد فى مدينة اغمات فى حركة اعملتها الى الجهات المراكشية
باعثها لقاء الصالحين ، ومشاهدة الآثار سنة احدى وستين وسبعمائة ، وهو

بمقبرة أغمات في نشز من الارض ، وقد حفت به سدره ، والى جنبه قبر اعنماد
حظيته مولاة رميك ، وعليهما أثر التغرب ومعاناة الخمول من بعد الملك . فلم
تملك العين دمعها عند رؤيتهما فانشدت في الحال :

قد زرت قبرك عن طوع باغمات رأيت ذلك من اولى المهمات
لم لا أزورك يا أندى الملوك يدا ويا سراج الليالى المدلهفات
وأنت من لو تخطى الدهر مصرعه الى حياتى لجادت فيه أبيات
أناف قبرك من هضب يميزه فتتحيه حفيات التحيات
كرمت حيا وميتا واشتهرت علا فأنت سلطان أحياء وأموات
مارىء مثلك فى ماضى ، ومعتقدى ألا يرى الدهر فى حال ولا آت
ولما انكفاً ابن الخطيب رحمه الله راجعا من سفرته هذه وانتهى الى سلا
أقام بها منتبذا عن سلطانه ، رافضا للملك وأسبابه طول مقامه بالمغرب على
ما تذكره ان شاء الله .



بقية أخبار ابن الخطيب بسلا حرسها الله



قد قدمنا ان ابن الخطيب كان قد عزم على التخلي عن الدنيا والانقطاع الى
الله تعالى ، وانه اختار أن يكون مقامه بسلا لكونها يومئذ أعون له على مراده من
غيرها حسبما يؤخذ ذلك من مواضع من كلامه ، من ذلك انه لما وصف أمصار
الاندلس والمغرب فى مقاماته المشهورة ، وصف مدينة سلا بقوله : « العقيلة
المفضلة ، والبطيحة المخضلة ، والقاعدة المؤصلة ، والسورة المفصلة ، ذات
الوسامة والنضاره ، والجامعة بين البداوة والحضاره ، معدن القطن والكتان ،
والمدسة والمارستان ، والزاوية كأنها البستان ، والوادي المتعدد الأجفان ، القطر
الأمين عند الرجفان ، والعصير العظيم الشأن ، والاسواق السارة حتى برقيق الحبشان
اكتنفها المسرح ، والخصب الذى لا يبرح ، والبحر الذى يأسو ويجرح ، وشقتها
الوادي الذى يتم محاسنها ويشرح ، وقابلها الرباط ، الذى ظهر به من المنصور

الاغنياء ، حيث القصبة والسباط ، ثم يقع الانحطاط الى شاله مرعى الدم
وتتيجة الهمم ، ومشمخ الانوف ذوات الشمم ، وعنوان الرمم ، حيث الحسنات
المكتبة ، والافاف المرتبة ، والقباب كالازهار ، مجودة بذكر الله آناء الليل
وأطراف النهار ، وطلل حسان المثل فى الاشتهار ، وهى على الجملة من غيرها
أوفق ، ومغارمها لاحترام الملوك الكرام أرفق ، ومقبرتها المنضدة عجب فى
الانتظام ، معدودة فى الموافف العظام ، ويتأتى بها للعباد الخلوة ، وتوجد عندها
للهوم السلوة ، كما قال ابن الخطيب :

وصلت حيث السير فيمن فى الفلا فلا خاطرى لما نأى وانجلا انجلا
ولا نسخت كرى بقلبي سلوة فلما سرى فيه نسيم سلا ، سلا
وكفى بالشابل رزقا طريا ، وسمكا بالفضل حريا ، يبرز عدد قطر الديم ،
ويباع ببخس القيم ، ويعم المجاشر النائية والخيم ، اه .

وما قاله فى حق سلا من كونها تتأتى بها للعباد الخلوة ، هو كذلك معروف
عند صلحاء المغرب وعباده من لدن قديم ، ولذا لما قدم أبو العباس ابن عاشر
رضى الله عنه من الاندلس ، وتنقل فى بلاد المغرب مثل فاس ومكناسة ، لم يطب
له القرار الا بسلا ، وقد صرح رضى الله عنه بذلك حيث قال :

سلا كل قلب غير قلبى ما سلا أيسلو بفاس والاحبة فى سلا
بها خيموا فالقلب خيم عندهم فجروا دموى مرسلا ومسلسلا
ولما ذكر أبو العباس الصومعى رحمه الله فى كتابه الموضوع فى مناقب الشيخ
أبى يعزى رضى الله عنه استحباب زيارة الاولياء قال ما نصه : « ولا سيما فى
مشاهد الاخيار اذا اجتمعوا فى مكان من الامكنة المشرفة كما كانوا يجتمعون
قبل هذا برباط شاكر ، وبساحل دكالة ، وبسلا ، وبجبل العلم ، وعند الشيخ
أبى يعزى فى أيام الربيع وغير ذلك » اه .

وأقول على ذكر سلا : فقد كتب الى ، وأنا بمراكش حرسها الله ، الاخ فى الله
الفقيه الاديب المحاضر أبو عبد الله محمد بن عزوز الرباطى أصلا المراكشى
دارا ، بطاقة يقول فيها ما نصه : « الحمد لله وحده . السيد الاخ ، الذى نوب اخائه
ما تسخ ، الفقيه العلامة ، اللابس من أسلحة العلوم الدرع واللامة ، أبـا

العباس السيد أحمد الناصري سلام عليك سلاما ذكى العرف رائج الصرف ،
وبعد فقد اشتقنا الى لذيذ مذاكرتكم ، وحلو فكاھتكم ، والآن نحب من السيادة
أن تشرفونا بنقل قدمكم وتكرمونا بطلعتكم السعيدة ، بكرة غد ان شاء الله وعلى
المحبة والسلام فى فاتح رجب الفرد سنة أربع وتسعين ومائتين وألف ،
والحق بأسفلها ما نصه :

سلا البحر ما بحر بنيت بشطه كبحر علوم فيك أنشئ صالحا
فهذا هو الفياض بالعلم والتقى وذاك هو الفياض بالماء مانحا

ولم ندر هل البيتان له أو تمثل بهما ، وعلى كل حال فما قاله حفظه الله انما
حمله عليه حسن نيته وصفاء طويته وأما المكتوب اليه بهما فلا والله لا علم ولا
تقى ، الا أن يتغمدنا الله برحمته ، ثم أنى أجبنه بشر تركه للاختصار ووصلته
بأبيات أقول فيها ما نصه :

بعثت أبا عبد الله مدائحا هو الدر حسنا والشذور لوائح
فنبهت فكرا طالما بات نائما وروضت ذهنا طالما ظل جامحا
وشيدت من ذكرى وقد كان خاملا وهيجت من قلبى الشجى القرائحا
وطوقتني النعمى بتقريضك الذى به ظل مجدى للنجوم مصافحا
والا فما قدرى وان جد جده وما قيتى لو لم تكن لى مادحا
فانت أديب العصر حقا ومن غدا لعمرى لا بواب المعارف فاتحا
فخذ من أخيك العى واستر عيوبه وسامح فظنى أن تكون مسامحا
فوصفك يعنى كل أشدق بارع ولو ظل فى بحر البلاغة سابحا
فلقيت من ذى العرش كل كرامة ووقيت من هذا الزمان الطوائحا
ولا زال هذا الدهر طوعك خادما علاك وطرف السعد نحوك طامحا

ومما مدح به سلا وأهلها قول الامام العلامة الهمام أبى على الحسن بن
مسعود اليوسى رضى الله عنه :

مرسى سلا مأوى الشمم
والمجد عن طول الامم

بلد بحسبك منظر منه ومخبئره أتم
 مسرى الهموم ومسرح الابصار مسلاة الغم
 منرفلا فى حلة من حسنه جنب العلم
 كالجرة الحسناء فى كنف الهمام المحترم
 ونراه من جناته منلائنا بين الاجم
 كالدر بين زمرد فى قرط مارية انتظم
 وكوجه خود حفته السوالف فى دلم
 وكفرة فى أدهم والصبح فى جنح الاحم
 والثغر من زنجية نرنو اليه وقد بسم
 والبدر ما بين الدجا والشيب فى سود اللمم
 يعلو فوق جنبه علم تعدلى من أمم
 فكأنه تاج اللجين على جينى ذى عظم
 أو كالكير مزملا أودى بنهضته للهمم
 فى رأسه صلح وفيما تحت جبهته غمم
 أو كالجواد بأنفه من ذلك القصر الرثم
 يكفيك منه هواؤه لا خبت فيه ولا وخم
 عجا صحيح والهوى أبدا عليل ذو سقم
 وزلاله العذب الذى يشفى القواد من الضرم
 حاكى العقار وفاقها بصفاء لون الشيم
 أبناء مجد فى الالى كانوا يراعون الذمم
 من نبلم دون العويس ونبلم خلف الحرم
 ونفيسهم ققع الفلا ونفوسهم بيض الرخم
 من كل أبيض وجهه تجلى به سدف الظلم
 فى الخطب بدر لامع ولدى الندى بحر خضم
 وأحبة كانوا لنا كالماء بالراح التأم
 لم يعد بين بينا ولو الفراق بنا ألسم

البين بين جسومنا لا بين أنفسنا يحسم
 والعهد جبل ما انفصاعنه الوداد ولا انفصم
 والصدق نهج قد علا في كل أوجهه علم
 والبر مرعاه قرى من فيه للحسنى قـرم
 والنفس أرض قد كرا المعين ذوو الكرم
 والدين روض قد رعى فيه من العقبى رعم
 والعلم ورد ما حلا الا لمن نزع الحلم
 والسر برق ما أذا الا لمن غسل الاضم
 والدهر دولاب شما فيه سوى أهل الشمم
 من ذاق مورده الصرى يوما فللدنيا صرم

ولنرجع الى بقية أخبار ابن الخطيب .

ولما استقر بسلا واطمأن جنبه بها قال :

يا أهل هذا القطر ساعده القطر بيت فدلوني لمن يرفع الامر
 تشاغلنا بالدنيا ونمت مفرطا وفي شغلى أونومتى سرق العمر
 ثم حرص على لقاء الشيخ ابن عاشر رضى الله عنه حتى ظفر به فعظم
 سروره بذلك وتبجح به لاذقال فى «نفاضة الجراب» : «ولقيت من أولياء الله تعالى
 بسلا الولي الزاهد الكبير ، المنقطع القرين ، فرارا عن زهرة الدنيا وعزوفها عنها ،
 واغراقا فى الورع وشهرة بالكشف ، واجابة الدعوة وظهور الكرامات : أبا العباس
 ابن عاشر ، يسر الله تعالى لقاءه ، على تعذره ، لصعوبة تأتبه وكثافة هيئته ، قاعدا
 بين القبور فى الخلاء ، رث الهيئة مطرق الماحظ ، كثير الصمت مفرط الانقباض
 والعزلة قد خرسه أهل الدنيا وتطارحهم فهو شديد الاشمئزاز من قاصده ،
 مجرمز للوثبة من طارقه نفع الله تعالى به » اه كلامه فى «النفاضة» وقال رحمه
 الله من قصيدته العينية السلاوية التى وجهها الى سلا أيام خلف بها أهله
 وولده :

بولى الله فابدأوا بتدر واحد الاحاد فى باب الورع

ومراده بولى الله ابن عاشر المذكور .

ثم ان ابن الخطيب بعد رجوعه من مراکش جعل ينتاب رباط شالة مدفن الملوك من بنى مرين ، ومنهم السلطان أبو الحسن رحمه الله للدعاء وقراءة القرآن بها وتعاهدها ، وقد كتب بذلك الى السلطان أبي سالم وطلب منه أن يشفع له عند أهل الاندلس في رد متاعه الذي أتلّفوه عليه أيام النكبة ، ونص الكتاب : «مولاي، المرجو لاتمام الصنيعة وصلة النعمة واحراز الفخر ، أبقاكم الله تعالى تصرب بكم الامثال في البر والرضا وعلو الهمة ورعى الوسيلة ، مقبل موطىء قدمكم المنقطع الى تربة المولى والدكم ، ابن الخطيب ، من الضريح المقدس بشالة وقد حط رحل الرجاء في القبة المقدسة وتيمم بالتربة الزكية وقعد بازاء لحدالمولى أبيكم ساعة اياه من الوجهة المباركة ، وزيارة الربط المقصودة ، والترب المعظمة ، وقد عزم أن لا يبرح طوعا من هذا الجوار الكريم والدخيل المرعى حتى يصله من مقامكم ما يناسب هذا النطارح على قبر هذا المولى العزيز على أهل الارض ، ثم عليكم ، والتماس شفاعته في أمر سهل عليكم ، لا يجبر انقاد مال ولا اقتحام خطر انما هو اعمال لسان وخط بنان وصرف عزم واحراز فخر واطابة ذكر وأجر وذلك أن العبد عرفكم يوم وداعكم أنه ينقل عنكم الى المولى المقدس بلسان المقال ما يحضر مما يفتح الله تعالى فيه ، ثم ينقل عنه لكم بلسان الحال ما يتلقى عنه من الجواب وقال لي صدر دولتكم وخالصتكم وخالصة المولى والدكم سيدي الخطيب ، يعنى ابن مرزوق ، سنى الله تعالى أمله من سعادة مقامكم وطول عمركم : «أنت يا فلان والحمد لله ممن لا ينكر عليه الوفاء بهذين الفرضين ، وصدر عنكم من البشر والقبول والانعام ما صدر ، جزاكم الله تعالى جزاء المحسنين » وقد تقدم تعريف مولاي بما كان من قيام العبد بما نقله الى التربة الزكية عنكم حسبما أداه من حضر ذلك المشهد من خدامكم ، والعبد الان يعرض عليكم الجواب وهو : أنى لما فرغت من مخاطبته بمراى من الملائك الكبير ، والجسم الغفير ، أكبت على اللحد الكريم داعيا ومخاطبا وأصغيت باذننى نحو قبره وجعل فؤادى يتلقى ما يوحيه اليه لسان حاله ، فكأننى به يقول لى : « قل لمولاك يا ولدى وقرعة عيني المخصوص برضاى وبرى وستر حريمى ورد ملكى ، وصان أهلى وأكرم صنائعى ، ووصل عملى ، أسلم عليك وأسأل الله تعالى أن يرضى عنك ويقبل عليك ،

الدنيا دار غرور (والآخرة خير لمن اتقى) ، (وما الناس الا هالك وابن هالك) ولا تجد الا ما قدمت من عمل يقتضى العفو والمغفرة أو ثناء يجلب الدعاء بالرحمة ومثلك من ذكر فتذكر وعرف فما أنكر ، وهذا ابن الخطيب قد وقف على قبري وتهمم بي ، وسبق الناس الى رثائي ، وأنشدني ومجدني وبكى لي ودعا لي وهنأني بمصير أمرى اليك ، وعفر وجهه في تربتي ، وأملى لما انقطعت منى آمال الناس فلو كنت يا ولدى حيا لما وسعني أن أعمل معه الا ما يليق بي ، وأن أسنقل فيه الكثير ، وأحتقرن العظيم لكن لما عجزت عن جزائه وكلته اليك ، وأحلتة يا حبيب قلبي عليك ، وقد أخبرني انه سلب المال كثير العيال ، ضعيف الجسم ، قد ظهر في عدم نشاطه أثر السن ، وأمل ان ينقطع بجوارى ويستتر بدخلى وخدمتي ، ويرد عليه حقه بخدمتي ووجهي ، ووجوه من ضاجعني من سلفي ، ويعبد الله تعالى تحت حرمتك وحرمتي ، وقد كنت تشوفت الى استخدامه في الحياة حسبما يعلمه حبيينا الخالص المحبة ، وخطينا العظيم المزية القديم القربة ، أبو عبد الله ابن مرزوق فاسأله يذكرك ، واستخبره يخبرك ، فانا اليوم أريد أن يكون هذا الرجل خديمي بعد الممات الى أن نلحق جميعا برضوان الله تعالى ورحمته التي وسعت كل شيء ، وله يا ولدى ولد نجيب يخدم بابك ، وينوب عنه في ملازمة بيت كتابك وقد استقر بابك قراره ، وتعين بامرك مرتبه ودثاره ، فيكون الشيخ خديم الشيخ والشاب خديم الشاب هذه رغبتى منك وحاجتى اليك ، واعلم أن هذا الحديث لا بد أن يذكر ويتحدث في الدنيا ، وبين أيدي الملوك والكبراء فاعمل ما يبقى لك فخره ويتخلد ذكره وقد أقام مجاورا ضريحى تاليا كتاب الله تعالى على منتظرا ما يصله منك ويقرأه على من السعى في خلاص ماله والاحتجاج بهذه الوسيلة في جبره واجراء ما يليق بك من الحرمة والكرامة والنعمة ، فالله الله ، يا ابراهيم اعمل ما يسمع عنى وعنك فيه ، ولسان الحال أبلغ من لسان المقال . « اه والعبد يامولاي مقيم تحت حرمة وحرمة سلفه ، منتظر منكم قضاء حاجته وتعلموا وتحققوا أنني لو ارتكبت الجرائم ، ورزأت الاموال وسفكت الدماء ، وأخذت خسائف الملوك الاعزة ممن وراء النهر من التتار ، وخلف البحر من الروم ووراء الصحراء من الحبشة ، وأمكنهم الله تعالى منى من غير عهد ،

بعد ان بلغهم تدمسى بهذا الدخيل ، ومقامى بين هذه القبور الكريمة ما وسع أحد منهم، من حيث الحياء والحشمة من الاحياء والاموات وايجاب الحقوق التسي لا يغفلها الكبار للكبار، الا الجود الذى لا يتعقبه البخل ، والعفو الذى لا تفسده المؤاخذة ، فضلا عن سلطان الاندلس أسعده الله تعالى وعلا بموالاتكم ، فهو فاضل وابن ملوك أفاضل ، وحوله أكياس ما فيهم من يجهل قدركم ، وقدر سلفكم لا سيما مولاي والدكم الذى أتوسل به اليكم واليهم ، فقد كان يتبنى مولاي أبا! الحجاج ويشمله بنظره وصارخه بنفسه وأمدّه بامواله ، ثم صير الله تعالى ملكه اليكم، وأتم من أنتم ذاتا وقبيلا، فقد قرت يامولاي عين العبد بما رأت فى هذا الوطن المراكشى من وفور حشودكم وكثرة جنودكم، وترادف أموالكم وعددكم ، زادكم الله تعالى من فضله ، ولا شك عند عاقل انكم ان انحلّت عروة تأميلكم وأعرضت عن ذلك الوطن الاندلسى استولت عليه يد عدوه ، وقد علم تطارحى بين الملوك الكرام الذين خضعت لهم التيجان ، وتعلقى بشوب الملك الصالح والد الملوك الكرام مولاي والدكم ، وشهرة حرمة شالة معروفة حاش لله أن يضعها أهل الاندلس ، وما توسل اليهم قط بها الا الان وما يجهلون اغتنام هذه الفضيلة الغريبة ، وأملى منكم أن يتعين من بين يديكم خديم بكتاب كريم يتضمن الشفاعة فى رد ما أخذ لى ، ويخبر بمشواى متراميا على قبر والدكم ، ويقرر ما ألزمتكم بسبب هذا النرامى من الضرورة المهمة والوظيفة الكبيرة عليكم وعلى قبيلكم حيث كانوا ، وتطلبون منه عادة المكارمة بحل هذه العقدة ، ومن المعلوم أنى لو طلبت بهذه الوسائل من صلب ما وسعهم بالنظر العقلى الا حفظ الوجه مع هذا القبيل ، وهذا الوطن ، فالحياء والحشمة يأتیان العذر عن هذا فى كل ملة ونحلة، واذا تم هذا الغرض، ولا شك فى اتمامه بالله تعالى ، تقع صدقتكم على القبر الكريم بى ، وتعينونى لخدمة هذا المولى وزيارته وتفقدّه ، ومدح النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المولد فى جواره وبين يديه وهو غريب مناسب لبركم به ، الى أن أحج بيت الله بعناية مقامكم ، وأعود داعيا مثيا مستدعيا للشكر والثناء من أهل المشرق والمغرب ، وأتعوض من ذمتى بالاندلس ذمة بهذا الرباط المبارك يرثها ذريتى ، وقد ساومت فى شىء من ذلك منتظرا. ثمنه مما يباع

بالاندلس بشفاعتكم ، ولو ظننت أنهم يتوففون لكم فى مثل هذا ، أو يتوفع فيه وحشة أو جفاء ، والله ما طلبته ، لكنهم أسرى وأفضل ، وانقطاعى أيضا لوالدكم مما لا يسع مجدكم الا عمل ما يليق بكم فيه ، وها أنا أترقب جوابكم بما لى عندكم من القبول ، ويسعنى مجدكم فى الطلب وخروج الرسول ، لا فتضاء هذا الغرض والله سبحانه يطلع من مولاي على ما يليق به والسلام وكتب فى الحادى عشر من رجب سنة احدى وسنين وسبعمائة « وفى مدرج الكتاب بعد نثر هذه القصيدة :

مولاي ها أنا فى جوار أبيكـا	فابذل من البر المقدر فيكـا
أسمعه ما يرضيه من تحت الثرى	والله يسمعك الذى يرضيكـا
واجعل رضا اذا نهدت كتيبة	تهدى اليك النصر أو تهديكـا
واجبر بجبرى قلبه تل المنا	وتطالع الفصح المين وشيكـا
فهو الذى سن البرور بأمه	وأبيه فاشرع شرعه لبنيكـا
وابعث رسولك منذرا ومحذرا	وبما تؤمل نيله يأتيكـا
قد هز عزمك كل فطر نازح	وأخاف مملوكا به ومليكـا
فاذا سموت الى مرام شاسع	فغصونه ثمر المنا تجنيكـا
ضمنت رجال الله منك مطالبى	لما جعلتك فى الثواب شريكـا
فلئن كفيت وجوهها فى مقصدى	ورعيتها بركاتهما تكفيكـا
واذا قضيت حوائجى وأريتسى	أملا فربك ما أردت يريكـا
واشدد على قولى يدا فهو الذى	برهانه لا يقبل التشكيكـا
مولاي ما استأثرت عنك بمهجتى	انى ومهجتى التى تفديكـا
لكن رأيت جناب شالة مغنما	يضى على العز فى ناديكـا
وفروض حقك لا تفوت فوقتها	باق اذا استجزيته يجزيكـا
ووعدتنى وتكرر الوعد الذى	أبت المكارم أن يكون أفيكـا
أضفى عليك الله ستر عناية	من كل محذور الطريق يقيكـا
بقائك الدنيا تحاط وأهلها	قاله جل جلاله يقيكـا
وقال أيضا فى الغرض المذكور :	

عن باب والدك الرضى لا أبرح يأسو الزمان لاجل دا أو يجرح
ضربت خيامى فى حماه فصيتى تجنى الحميم به وبهمى تسرح
حتى يراعى وجهه فى وجهى بعناية تشفى الصدور وتشرح
أيسوغ عن مثواه سيرى خائباً ومناير الدنيا بذكرك تصدح
أنا فى حماه وأنت أبصر بالذى يرضيه منك فوزن عقلك أرجح
فى مثلها سيف الحمية ينضى فى مثلها زناد الحفيظة يقدح
وعسى الذى بدأ الجميل يعيده وعسى الذى سد المذاهب يفتح

فأجابه السلطان أبو سالم رحمه الله بما صورته : « من عبد الله المستعين بالله ، ابراهيم أمير المسلمين ، المجاهد فى سبيل رب العالمين ، ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين ، أبى الحسن ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين يوسف بن يعقوب بن عبد الحق أيد الله أمره وأعز نصره الى الشيخ الفقيه الاجل الاسنى الاعز الاحظى ، الاوجه الانوه الصدر الاحفل المصنف البليغ الاعرف الاكمل أبى عبد الله ابن الشيخ الاجل الاعز الاسنى الوزير الارفع الانجد الاصيل الاكمل المرحوم البرور أبى محمد بن الخطيب وصل الله عزته ووالى رفقته ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد حمد الله تعالى ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله المصطفى الكريم ، والرضا على آله وصحبه أعلام الاسلام ، وأئمة الرشد والهدى وصلة الدعاء لهذا الامر العلى العزيز المنصور المستعنى بالنصر الاعز والفتح الاسنى ، فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم بلوغ الامل ونجح القول والعمل ، من منزلنا الاسعد بضة وادى ملوية يمنه الله ، وصنع الله جميل ومنه جزيل ، والحمد لله ، ولكم عندنا المكانة الواضحة الدلائل ، والعناية المتكفلة برعى الوسائل ، ذلكم بما تميزتم به من التمسك بالجناب العلى المولوى العلوى جدد الله تعالى عليه ملابس غمرانه ، وسقاه غيوث رحمته وحنانه ، وبما أهديتم الينا من التقرب لينا بخدمة ثراه الطاهر ، والاشتغال بمطارف حرمة السامية المظاهر ، والى هذا وصل الله حظوتكم ووالى رفعتكم ، فانه ورد علينا خطابكم الحسن عندنا قصده ، المقابل

بالاسعاف المستعذب ورده، فوقفنا على ما نصه، واستوفينا ما شرحه وقصه، فآثرنا حسن تلطفكم في التوسل بأكبر الوسائل إلينا، ورعينا أكمل الرعاية حق ذلكم الجناب العزيز علينا، وفي الحين عينا لكمال مطلبكم وتمام مأربكم والتوجه بخطابنا في حقكم والاعتماد بوقفكم خديمينا أبا البقاء بن تاشكورت، وأبا زكرياء ابن فرقاجة أنجدهما الله وتولاهما، وأمس تاريخه انفصلا مودعين الى الغرض المعلوم بعد التأكيد عليهما فيه، وشرح العمل الذي يوفيه، فكونوا على علم من ذلكم، وابسطوا له جملة آمالكم، وانا لنرجو ثواب الله في جبر أحوالكم وبرء اعتلالكم، والله سبحانه يصل مبرتكم، ويتولى تكرمتكم، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته كتب في الرابع والعشرين من رجب سنة احدى وستين، فراجعه ابن الخطيب بما نصه: «مولاي خليفة الله بحق، وكبير ملوك الارض عن حجة، ومعدن الشفقة والحكمة برهان وحكمة، أبقاكم الله تعالى على الدرجة في المنعمين، وافرى الحظ عند جزاء المحسنين، وأراكم ثمرة بر أبيكم في البنين، وصنع لكم في عدوكم الصنع الذي لا يقف عند معتاد، وأذاق العذاب الاليم من أراد في مثابتكم بالحد، عبدكم الذي ملككم رقه، وآوتم غربته، وسترتم أهله وولده، وأسنتم رزقه، وجبرتم قلبه، يقبل موطىء الاخمص الكريم من رجلكم الطاهرة، المستوجبة بفضل الله تعالى لموقف النصر الفارغة هضبة العز المعملة الخطوة في مجال السعد ومسير الحظ. ابن الخطيب من شالة التي تأكد بملككم الرضى احترامها، وتجدد برعيتكم عهدا، واستبشر بملككم دفينها، وأشرق بحسناتكم نورها، وقد ورد على العبد الجواب المولوى البر الرحيم، المنعم المحسن بما يليق بالملك الاصيل، والقدر الرفيع، والهمة السامية، والعزة القعساء من رعى الدخيل، والنصرة للذمام والاهتزاز لبر الاب الكريم، فثاب الرجاء وانبعث الامل، وقوى العضد وزار اللطف، فالحمد لله الذي أجرى الخير على يدكم الكريمة، وأعانكم على رعى ذمام الصالحين، المتوسل اليكم أولا بقبورهم ومتعبداتهم وتراب أجدائهم، ثم بقبر مولاي ومولاكم ومولى الخلق أجمعين، الذي تسبب في وجودكم واختصكم بحبه، وغمركم بلطفه وحنانه، وعلمكم آداب الشريعة وأورثكم ملك الدنيا، وهيأتكم دعواته بالاستقامة

الى ملك الآخرة بعد طول المدى وانفساح البقاء ، وفي علومكم المقدسة ما
تضمنت الحكايات عن العرب من النصرة عن طائر داست أفراخه نافذة في جوار
رئيس منهم ، وما انتهى اليه الامتعاض لذلك مما أهينت فيه الانفس وهلك
الاموال ، وقصارى من امتعض اذالك أن يكون كبعض خدامكم من عرب
تأسنا فما الظن بكم وأتمم الكريم ابن الكريم ابن الكريم فيمن
لجأ أولا الى حماكم بالاهل والولد، عن حسنة تبرعتم بها، وصدقة حملتكم الحرية على
بذلها، ثم فيمن حط رحل الاستجارة بضريح أكرم الخلق عليكم داعم العين ،
خافق القلب ، واهى الفرعة ، يغطي بردائه ، ويسنجير بعليائه ، كأننى
تراميت عليهم فى الحياة، أمام الذعر يذهل العقل ، ويحجب عن التميز بقصر
داره ومضجع رقاده، ما من يوم الا وأجهر بعد التلاوة: ياليعقوب، يالمرين ،
نسأل الله تعالى أن لا يقطع عنى معروفكم ، ولا يسلبنى عنايتكم ، ويستعملنى ما
بقيت فى خدمتكم ، ويتقبل دعائى فيكم ، ولحين وصول الجواب الكريم نهضت
الى القبر المقدس ، ووضعت بازائه وقلت : يامولاي يا كبير الملوك، وخليفة الله
وبركة بنى مرين صاحب الشهرة والذكر فى المشرق والمغرب عبدك المنقطع اليك
الترامى بين يدى قبرك ، المتوسل الى الله ثم ولدك بك ، ابن الخطيب ، وصله
من مولاه ولدك ما يليق بمقامه من رعى وجهك ، والتقرب الى الله برعيك ،
والاشتجار فى مشرق الدنيا ومغربها ببرك ، وأتم من أتم من اذا صنع صنعة
كملها ، واذا من منة تممها ، واذا أسدى يدا أبرزها طاهرة بيضاء غير معيبة ولا
ممنونة ولا منتقصة ، وأنا بعد تحت ذيل حرمتك وظل دخيلك ، حتى يتم أملى
ويخلص قصدى ، وتحف نعمتك بى ويطمئن الى مأمك قلبى، ثم قلت للطلبة أيها
انسادة بنى وبينكم تلاوة كتاب الله تعالى منذ أيام ومناسبة النحلة وأخوة التأليف بهذا
الرباط المقدس والسكنى بين أظهركم ، فأمنوا على دعائى باخلاص من قلوبكم ،
واندفعت فى الدعاء والتوسل الذى أرجو أن يتقبله الله تعالى ولا يضيعه ، وخاطب
العبد مولاه شاكرا لنعمته مشيدا بصنيعته ومسرورا بقبوله ، وشأنه من التعلق
والتطارح شأنه ، حتى يكمل القصد ، ويتم الغرض معبور الوقت بخدمة يرفعها
ودعاء يردده والله المستعان » اهـ

ولما وصل كتاب السلطان أبي سالم الى أهل الاندلس أعظموا وسيلته ،
وفبلوا شفاعته ، وردوا الى ابن الخطيب ما تأتي رده مما كان ضاع له وأتلف عليه ،
واسنمر مقيما بسلا سنتين وزيادة ، ثم استدعاه سلطانه الغنى بالله الى الاندلس
بعد رجوعه اليها واحتوائه على ملكها ، فأجاب حياء لا رغبة ، ومكرها لا بطلا ،
الى أن كان ما نذكره من شأنه بعد ذلك ان شاء الله ، ونوادره بسلا وما جرياته
كثيرة ، وفيما ذكرناه كفاية .



انتقاض الحسن بن عمر الفودودي وخروجه بتادلا

ثم مقتله عقب ذلك



قد قدمنا ان السلطان أبا سالم لما استولى على ملك فاس والمغرب عقد
للحسن بن عمر على مراكش ، ووجهه اليها تخففا منه وريبة بمكانه من الدولة
فاستقر بها وتأنلت له بها رياسة نفسها عليه أهل مجلس السلطان وسعوا فيه عنده
حتى تنكر له وأظلم الجو بينهما وأحس الحسن بن عمر بذلك فخشى على
نفسه ، وخرج من مراكش في صفر سنة احدى وستين وسبعمائة فلحق بتادلا
منحرفا عن السلطان ومرتكبا للخلاف ، فتلقاء بنو جابر من عرب جشم وأجاروه
واعصو صبوا عليه ، فسرح اليه السلطان أبو سالم وزيره الحسن بن يوسف
الورتاجنى فاحتل بتادلا ، وانشمر الحسن بن عمر الى الجبل بها فاعتصم به
ومعه كبير بنى جابر الحسن بن علي الوردى ، فأحاطت بهم العساكر وأخذوا
بمخفقهم ، وداخل الوزير بعض أهل الجبل من برابرة صناكة فى الثورة بهم ،
وسرب اليهم المال فثاروا بهم وانفض جمعهم ، وتقبضوا على الحسن بن عمر
وقادوه برمته الى الحسن بن يوسف فاعتقله ، وانكفأ راجعا به الى الحضرة
فدخلها فى يوم مشهود استركب السلطان فيه الجند وجلس ببرج الذهب مقعده
من ساحة البلد ، وحمل الحسن بن عمر على جمل فطيف به بين تلك الجموع ،
ولما قرب من مجلس السلطان أوما الى تقيل الارض من فوق جملة ، ثم ركب
السلطان الى قصره ، وانفض الجمع وقد شهر الحسن بن عمر وأصحابه فصاروا

عبرة لمن اعتبر .

ولما دخل السلطان قصره ، جلس على كرسیه واستدعى خاصته وجلساءه ، وأحضر ابن عمر فوبخه ، وقرر عليه ذنوبه ، فتلوى بالمعاذير وفزع الى الانكار . قال ابن خلدون : « حضرت هذا المجلس يومئذ فيمن حضره من الخاصة فكان مقاما تسيل فيه العيون رحمة وعبرة » . ثم أمر به السلطان فسحب على وجهه ، وتفت لحيته وضرب بالعصى ، وثل الى محبسه ثم قتل بعد ليال قعصا بالرماح خارج البلد ونصب شلوه بباب المحروق رحمه الله تعالى .



نهوض السلطان أبي سالم الى تلمسان واستيلاؤها



لما استوسق للسلطان أبي سالم ملك المغرب ومحا أثر الخوارج منه سمت همته الى تملك تلمسان كما كان لايه وأخيه من قبل ، وأكد عزمه على ذلك ما كان من فرار عبد الله بن مسلم الزرد الى عاملهم على درعة اليها فأجمع السلطان أبو سالم للنهوض اليها ، وعسكر بظاهر فاس الجديد منتصف سنة احدى وستين وسبع مائة ، ولما توافت لديه الحشود ، وتكاملت بسدته الجنود ، ارتحل الى تلمسان واتصل خبر نهوضه بسلطانها أبي حمو ابن يوسف الزياني ، ووزيره عبد الله ابن مسلم الزرد الى فنادوا في العرب من بني عامر بن زغبة وبني معقل فأجابوهم كافة الا شردمة قليلة من الاحلاف ، ثم خرج أبو حمو وشيعته عن تلمسان الى الصحراء والتفت عليه العرب بحلها .

ولما دخل السلطان أبو سالم تلمسان واستولى عليها خالفه أبو حمو في عربه الى المغرب فنزلوا آكرسيف ووطاط وبلاد ملوية وحطموا زروعها وانتسفوا بركتها وخربوا عمرانها ، وبلغ السلطان أبا سالم ما كان من افسادهم فأهمه أمر المغرب ، وكان في جملة من بني زيان محمد بن عثمان ابن السلطان (الاستقصا - رابع - 3)

أبى تاشفين، ويكنى: أبا زيان، فعقد له على تلمسان، وأعطاه الآلة وجمع له جيشا من مغراوة وبنى توجين، ودفع لهم أعطياتهم، وانكفا راجعا الى فاس، فأجفل أبو حمو والعرب أمامه، ثم خالفوه الى تلمسان فطردوا عنها أبا زيان واستولوا عليها، وثبت قدم أبى حمو بها، وعاد أبو زيان الى المغرب لاحقا بالسلطان أبى سالم قبله، وعقد المهادنة مع أبى حمو واستقر الامر على ذلك. وقد كان ابن الخطيب عند ما بلغه استيلاء السلطان أبى سالم على تلمسان هنأه بقصيدة طويلة يقول فى مطلعها:

أطاع لسانى فى مديحك احسانى وقد لهجت نفسى بفتح تلمسان
ويقول فى أثنائها وقد ألم بشيء من علم الاحكام النجومية ليل السلطان
اليه:

ولله من ملك سعيد ونسبة	قضى المشتري فيها بعزلة كيوان
وسجل حكم العدل بين بيوتها	وقوفا مع المشهور من رأى يونان
فلم تخش سهم القوس صفحة بدرها	ولم تشك فيها الشمس من يخس ميزان
ولم يعترض مبتزها قطع قاطع	ولا نازعت نوبهرها كف عدوان
تولى اختيار الله حسن اختيارها	فلم يحتج الفرغان فيها لفرغان
ولا صرفت فيها دقائق نسبة	ولا حققت فيها طوالع بلدان



وفادة السودان من أهل مالى على السلطان أبى سالم

واغرابهم فى هديتهم بالزراقة الحيوان المعروف



قد تقدم لنا ما جرى من المواصلات بين السلطان أبى الحسن والسلطان منسا موسى وأخيه أو ابنه من بعده منسا سليمان وتردد الوفود واسناء الهدايا بينهم وقد كان السلطان منسا سليمان قد هيا هدية نفيسة بقصد أن يعثها الى السلطان أبى الحسن مكافأة له على هديته فهلك السلطان أبو الحسن خلال ذلك، ثم هلك السلطان منسا سليمان بعده، واختلف أهل مالى واقترب أمرهم وتقاتلوا

الملك الى أن جمع الله كلمتهم على السلطان منسا زاطة ، واستوسق له الامر
 نظر في أعطاف ملكه وأخبر بشأن الهدية التي كان منسا سليمان قد هياها
 المغرب فأمر بانفاذها اليه وضم اليها الزرافة الحيوان الغريب الشكل العظيم
 كل المختلف الشبه بالحيوانات ، وفصلوا بها من بلادهم فوصلوا الى حضرة
 في صفر من سنة اثنتين وستين وسبعمائة

قال ابن خلدون : وكان يوم وفادتهم يوما مشهودا جلس لهم السلطان
 الذهب بمجلسه المعد لعرض الجنود ، ونودي في الناس بالبروز الى
 حراء، فبرزوا ينسلون من كل حذب حتى غص بهم الفضاء وركب بعضهم
 لاذحام على الزرافة اعجابا بخلقها ، وحضر الوفد بين يدي السلطان
 رسالتهم بتأكيد الود والمخالصة والعذر عن ابطاء الهدية بما كان من
 ف أهل مالى وتوائبهم على الامر ، وتعظيم سلطانهم وما صار اليه ،
 جمان يترجم عنهم وهم يصدقونه بالنزع في أوتار قسيهم ، عادة معروفة لهم ،
 السلطان بان جعلوا يحنون التراب على رؤوسهم على سنة ملوك العجم ،
 الشعراء في معرض المدح والتهنئة ووصف الحال ، ثم ركب السلطان
 صره ، وانفض ذلك للجمع ، وقد طار به طائر الاشتهار ، واستقر الوفد تحت
 السلطان أبي سالم الى أن هلك ، قبل انصرافهم فوصلهم القائم بالامر من بعده
 رفوا الى مراکش ، ثم منها الى ذوى حسان عرب السوس الاقصى من بنى
 المتصلين ببلادهم ، ومن هناك لحقوا بسلطانهم . والامر كله لله .
 وكان مما قيل من الشعر في ذلك اليوم : قول ابن خلدون من قصيدة يقول
 طلعا :

قدحت يد الاشواق من زند وهفت بقلبي زفرة الوجد

الى ان قال في وصف الزرافة :

برقيمة الاعطاف حالية	موشية بوشائع البسرد
بحشية الانساب ما أنست	فى موحش اليباء بالقسرد
سمو بجيد بالغ صعدا	شرف الصروح بغير ما جهد
لمالت رؤوس الشامخات به	ولربما قصرت عن الوهد

فقطت اليك تنائفا وصلت
تحدى على استصعابها ذللا
بسعودك اللائى ضمن لنا
جاءتك فى وفد الاحابش لا
وافوك انضاء تقلبهم
كالطيف يستقرى مضاجعه
يثنون بالحسنى التى سبقت
ويرون لحظك من وفادتهم
يا مستعينا جل فى شرف
جازاك ربك عن خليفه
وبقيت للدينا وساكنها
وقول الكاتب البارع أبى عبد الله بن زمرك الاندلسى من قصيدة يقول
فى مطلعها :

لولا تألق بارق التذكار
لكنه مهما تعرض خافقا
الى أن قال فى الغرض المذكور :

وغريبة قطعت اليك على الونى
تسيه طيته التى قد أمهنا
يقتادها من كل مشتمل الدجا
تشدو بحمد المستعين حداتها
ان مسهم الفح الهجير أبلهم
خاضوا بها لجج الفلا فتخلصت
سلمت بسعدك من غوائل مثلها
وأنتك ياملك الزمان غريبة
موشية الاعطاف رائقة الحلى
راق العيون اديسها فكأنسه

ما صاب واكف دمعى المدرار
قدحت يد الاشواق زند أوارى
بيدا تبيد بها هموم السارى
والركب فيها ميت الاخبار
فكأنما عيناه جذوة نار
يتعللون به على الاكوار
منه نسيم ثنائك المعطار
منها خلوص البدر بعد سرار
وكفى بسعدك حاميا لدمار
قيد النواظر نزهة الابصار
دقمت بدائعها يد الاقدار
روض تفتح عن شقيق بهار

ما بين مبيض وأصفر فاقبج
 يحكى حدائق نرجس في شاهق
 تحدو قوائم كالجدوع وفوقها
 وسمت بجيد مثل جذع مائل
 تستشرف الجدران منه ترائبها
 تاهت بكلكها وأتلع جيدها
 خرجوا لها الجم الغفير وكلهم
 كل يقول لصحبه قوموا انظروا
 ألقى ببابك رحلها ولطالما
 علمت ملوك الارض أنك فخرها
 يتبأون به وان بعد المدي
 وارفع لواء الفخر غير مدافع
 واهناً بأعياد الفتوح مخسولا
 واليكها من روض فكرى نفحة
 فى فصل منطقها ورائق رسمها
 وتميل من أصغى لها فكأننى

سال اللجين به خلال نضار
 تنساب فيه أرقام الانهار
 جبل أشم بنوره متسوارى
 سهل التعطف لين خوار
 فكانما هو قائم بمنار
 ومشى بها الاعجاب مشى وفار
 متعجب من لطف صنع البسارى
 كيف الجبال تقاد بالاسيسار
 ألقى الغريب به عصا التسيار
 فتسابت لرضاك فى مضمار
 من جاهك الاعلى أعز جوار
 واسحب ذبول العسكر الجرار
 ما شئت من نصر ومن أنصار
 شف التناء بها على الازهار
 مستمتع الاسماع والابصار
 عاطيته منها كؤس عغار

مقتل السلطان أبي سالم رحمه الله والسبب فى ذلك

كان السلطان أبو سالم رحمه الله قد غلب على هواه الخطيب أبو عبد
 الله بن مرزوق وألقى زمام الدولة بيده ، فقم خاصة السلطان وحاشيته ذلك
 عليه وسخطوا الدولة من أجله ، ومرضت قلوب أهل الحل والعقد من تقدمه
 فتربصوا بالدولة الدوائر الى ان كانت أواخر سنة اثنتين وستين وسبعمائة ،
 فتحول السلطان أبو سالم عن دار الملك من فاس الجديد الى القصبة من فاس
 القديم ، واختط بها ايوانا فخما لجلوسه ، فلما استولى عمر بن عبد الله بن
 على بن سعيد الفودودي أحد كبراء الدولة ووزرائها على دار الملك ، اذ كان

السلطان أبو سالم قد خلفه أمينا عليها، حدثته نفسه بالتوثب، وسهل ذلك عليه ما كان قد عرفه من مرض القلوب على السلطان لمكان ابن مرزوق، فداخل قائد جند النصارى غرسية بن أنطول، واتعدوا لذلك ليلة الثلاثاء السابع عشر من ذى القعدة من السنة المذكورة، فعمدوا الى تاشفين الموسوس ابن أبي الحسن فخلعوا عليه، وألبسوه شارة الملك وقربوا له مركبا وأجلسوه مجلس السلطان، وأكرهوا شيخ الحامية والناشبة محمد بن الزرقاء على البيعة، وجأهروا بالخلعان وقرعوا الطبول ودخلوا الى بيت المال ففرضوا العطاء من غير تقدير ولا حساب، وماج الجند بفاس الجديد بعضهم فى بعض، واختطفوا ما وصلوا اليه من العطاء ثم اتهبوا ما كان بالمخازن الخارجية من السلاح والعدة، وأضرموا النيران فى بيوتها سترا على ما ضاع منها، وأصبح السلطان أبو سالم بمكانه من قصبة فاس القديم، وكان قد تحول اليها فرارا من قاطع فلكى خوفه اياه بعض منجميه فكان ابلاء فيه موكلا بالمنطق، فلما علم بالكائنة ركب واجتمع اليه من حضر من أوليائه، وغدا على فاس الجديد وطاف بها يروم اقتحامها فامتعت عليه، ثم اضطرب معسكره بكدية العرائس لحصارها ونادى فى الناس بالاجتماع اليه، ولما كان وقت الهاجرة دخل فسطاطه للقبولة فتسائل الناس عنه الى فاس الجديد فوجا بعد فوج بمرأى منه الى أن انفض عنه خاصته وأهل مجلسه فطلب النجاء بنفسه، وركب فى لمة من الفرسان وفيهم وزيراه سليمان بن داود ومسعود بن عبد الرحمن بن ماساي، ومقدم الموالى والجند باباه سليمان بن ونصار، وأذن لابن مرزوق فى الدخول الى داره، ومضى هو على وجهه فيمن معه، ولما غشيهم الليل انفضوا عنه حتى بقى وحده، ورجع الوزيران الى دار الملك فتقبض عليهما رئيس الثورة عمر بن عبد الله الفودودى، ومشاركه فيها غرسية بسن انطول النصرانى، واعتقلاهما متفرقين، وبعث عمر بن عبد الله الطلب فى أثر السلطان أبي سالم فعثروا عليه نائما من الغد فى بعض المجاشر بوادى ورغة وقد غير لباسه اختفاء بشخصه وتواريا عن العيون بمكانه، فتقبضوا عليه وحملوه على بغل وطيروا بالخبر الى عمر بن عبد الله فأزعج لتلقيه شعيب بن ميمون بن داود، وفتح الله بن عامر بن فتح الله السدراتى وأمرهما بقتله

وانفاذ رأسه ، فلقياه بخندق القصب ازاء كدية العرائس فأمرأ بعض جند
النصارى أن ينولى ذبحه ففعل ، وحملوا رأسه فى مخلاة ووضعوه بين يدى
الوزير التائر ومشيعته ، وكان ذلك يوم الخميس الحادى والعشرين من ذى
القعدة سنة اثنتين وستين وسبعمائة ودفن بالقلعة خارج باب الجيسة بأعلى جبل
العرض المعروف بجبل الزعمران (*)

قال ابن الخطيب فى الاحاطة : « كان السلطان أبو سالم رحمه الله بقية
البيت وآخر القوم دمانة وحياء وبعدا عن الشرور وركونا للعافية » قال : وأنشدت
على قبره الذى ووريت به جثته قصيدة أدت فيها بعض حقه :

بنى الدنيا بنى لمع السراب * لدوا للموت وابنوا للخراب
ومن أعيان وزرائه: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق العجيسى الخطيب
المشهور الذى مر ذكره آنفا .

ومن قضاة عسكره : أبو القاسم محمد بن يحيى الاندلسى البرجى .
ومن أعيان كتابه : الرئيس أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون صاحب
التاريخ .

وأبو القاسم (*) عبد الله بن يوسف بن رضوان التجارى من أهل مالقة صاحب
كتاب السياسة وغيره ، ومما نظمه هذا الفاضل عن اذن السلطان أبى سالم رحمه
الله ليكتب فى طرة قبة رياض الغزلان من حضرته قوله :

(*) ومن اولاده : السلطان أبو العباس احمد ، والسلطان أبو الفضل محمد ، ومحمد آخر .
(*) أبو القاسم ابن رضوان صاحب كتاب السياسة . لما وقعت هزيمة طريف
قرب القيروان على أبى الحسن رجع أبو القاسم هذا الى الاندلس وبقي بها الى ان تم
الأمر لأبى عنان فرجع حينئذ للمغرب وكلفه أبو عنان بكتابة العلامة اما صاحب درة
الحجال فانه ذكر كاتبين من هذه العائلة احدهما : اسمه محمد بن يوسف بن رضوان المتوفى
سنة ٨٦٨ وثانيهما يسمى أبا القاسم بن محمد بن يوسف بن رضوان المتوفى سنة ٧٨٣ اما
الكاتب أبو القاسم عبد الله فقد ترجمه فى جذوة الاقتباس وذكر انه توفى بآنفا ودفن
بمقبرة الحاج صالح سنة ٧٣٣ راجع ترجمته طبع فاس

هذا محل المنى بالامن مغمسور
 نأوى النعيم به ما شئت من ترف
 ويطلع الروض منه مصنعا عجبا
 ويسطع الزهر من أرجائه أرجا
 مغنى السرور سقاء الله ما حملت
 لنظر الى الروض تنظر كل معجبة
 من النسيم به يغنى القرا فقرا
 وهامت الشمس فى حسن الظلال به
 كأنما الطير فى افائها صدحت
 والدوح ناعمة تهتز من طرب
 والنهر شق بساط الارض تحسبه
 ينساب للجنة الخضراء أزرقه
 هذى مصانع مولانا التى جمعت
 وهذه القبة الغراء ما نظرت
 ولا يصورها فى الفهم ذو فكر
 ولا يرام بحصر وصف ما جمعت
 فيها المقاصير تحمىها مهابة
 كأنها الافق تبدو النيرات به
 وينشأ المزن فى أرجائه وله
 وينهمى القطر منه وهو منسكب
 وتخفق الريح منه وهى ناسمة
 ويشرق الصبح منه وهو من غرر
 وتطلع الشمس فيه من سنا ملك
 ومضى فى مدح السلطان والله تعالى يتغمد الجميع برحمته بمنه وكرمه.

من حله فهو بالامان مجبور
 تهوى محاسنه الولدان والحدور
 يضاحك النور من لآلئه النور
 ينافح الند نشر منه منشور
 غر الغمام وحلته الازاهير
 مما ارتضاء لرأى العين تحيىر
 دراهم النور تبديد وتشير
 ففرقت فوقه منها دنائير
 بشكر مالکها والفضل مشكور
 همسا وصوت غناء الطير مجهور
 سيفاً ولكنه فى السلم مشهور
 كالایم جد انسياب وهو مذکور
 شمل السرور وأمر السعد مأمور
 لشكلها العين الاعز تنظير
 الا ومنه لكل الحسن تصوير
 من المحاسن الا صد تقصير
 لله ما جمعت تلك المقاصير
 ويستقيم بها فى السعد تسيير
 من غبر الشجر انشاء وتسخير
 ماء من الورد يذكو منه تعطير
 مما أهب به مسك وكافور
 غر تلالاً منهن الاساريير
 تسم الدهر منه وهو مسرور



الخبر عن دولة السلطان أبي عمر تاشفين الموسوس ابن أبي الحسن المرينى



هذا السلطان كان محجوبا لوزيره عمر بن عبد الله الفودودى لا يملك معه ضرا ولا نفعا . أمه : أم ولد اسمها ميمونة ، صفته : طويل القامة ، عظيم الهيكل بعيد ما بين المنكبين ، أعين أدعج ، وكان فارسا بطلا قوى الساعد الا أنه كان ناقص العقل .

ولما ثار عمر بن عبد الله بالسلطان أبى سالم وسعى فى هلاكه الى أن قتل كما مر استبد بامر الدولة ونصب هذا الموسوس يمويه به على الناس فبويج ليلة الثلاثاء التاسع عشر من ذى القعدة سنة اثنين وستين وسبعمائة حسبما سبق ، وكان نقصان عقل تاشفين من أجل الاسر الذى أصابه بوقعة طريف أيام والده السلطان أبى الحسن الى أن افتدى وبقي ناقص العقل مختل المزاج (*) الى أن كان من أمره ما كان .



الفتك بغرسية بن انطول قائد النصارى ومقتل جنده معه والسبب فى ذلك



لما قبض عمر بن عبد الله على الوزيرين مسعود بن عبد الرحمن بن ماساى ، وسليمان بن داود سجنهما متفرقين فأخذ اليه ابن ماساى لمكان صهره منه ودفع لغرسية سليمان بن داود ، وكان سليمان بن ونصار قد فر مع السلطان أبى سالم كما مر ، ولما رجع عنه فيمن رجع نزل على غرسية فقبله وأكرمه . وكان يعاقره الخمر ففاوضه ذات ليلة فى الثورة بعمر بن عبد الله واعتقاله ،

(*) انظر ما كتبه المؤلف فى هذه المسألة فى كتابه « كشف العرين عن ليوث بنى

مرين » اثناء كلامه على دولة السلطان تاشفين الموسوس بن أبى الحسن أيضا

واقامة سليمان بن داود المسجون بداره مقامه لما هو عليه من السن ورسوخ القدم في الامر ، ونما الخبر بذلك الى عمر بن عبد الله فارتاب ، وكان خلوا من العصية ففزع الى قائد المركب السلطاني من ناشبة الاندلس ورماتها ، وهو يومئذ ابراهيم البطروجي ، فعاقده على أمره ، وبايعه على الاستماتة دونه ، ثم رأى أن ذلك لا يكفيه ففزع ثانيا الى يحيى بن عبد الرحمن شيخ بني مرين وصاحب شوارهم ، فشكا اليه فأشكاه ، ووعدته الفتك بابن انطول وأصحابه وانبرم عقد ابن انطول ، وسيلمان بن ونصار أيضا على عمر بن عبد الله وغدوا الى القصر ، وداخل ابن انطول طائفة من النصارى استظهارا بهم ، وتوافت بنو مرين بمجلس السلطان على عاداتهم ، وحضر ابن انطول ، والبطروجي ، ويحيى ابن عبد الرحمن ، وغير هؤلاء من الوجوه ، فسأل عمر بن عبد الله من ابن انطول تحويل سليمان بن داود من داره الى السجن فأبى ، وذن به عن الاهانة ، حتى سأل مثلها من ابن ماساي صاحبه ، فامر عمر بالتقبض عليه فكسر في وجوه الرجال ، واختارط سكينه للمدافعة ، فتواثبت بنو مرين عليه وقتلوه لحينه ، واستلحموا من وجدوا بالدار من جند النصارى عند دخولهم مع قائدهم ، وفر بعضهم الى معسكرهم ، ويعرف بالملاح جوار فاس الجديد ، وأرجف الغوغاء بالمدينة أن ابن انطول قد غدر بالوزير ، فقتلوا جند النصارى حيث وجدوهم من سكك المدينة ، وتزاحفوا الى الملاح لاسلحام من بقي به منهم ، وركبت بنو مرين لحماية جندهم من معرة الغوغاء ، وانتهب يومئذ الكثير من أموالهم وآنياتهم وأمتعتهم ، وقتل النصارى أيضا كثيرا من مجان المسلمين كانوا يعاقرون الخمر بالملاح ، ثم سكنت الهيعة وما كادت .

واستبد عمر بن عبد الله بدار الملك ، واعتقل سليمان بن ونصار الى الليل ثم بعث من قتله بمحبسه ، وحول سليمان بن داود الى بعض الدور من دار الملك فاعتقله بها واستولى على أمره ، ثم خاطب عامر بن محمد الهنتاسي في اتصال اليد به واقتسام ملك المغرب بينه وبينه ، وبعث اليه بابي الفضل ابن السلطان أبي سالم اعتده عنده ليوم ما ، ثم فسد ما بينه وبين مشيخة بني مرين فاجتمعوا على كبيرهم يحيى بن عبد الرحمن وعسكروا باب الفتوح واستدعوا

عبد الحليم بن أبي علي ابن السلطان أبي سعيد من تلمسان على ما نذكره .



ظهور عبد الحليم بن أبي علي بن أبي سعيد ومحاصرته لفاس الجديد ثم فرارها عنها



قد قدمنا في أخبار السلطان أبي الحسن أن أخاه أبا علي صاحب سجلماسة كان قد انتقض عليه فامكنه الله منه فقتله وكفل أولاده فلم يميز بينهم وبين أولاده في شيء من الأشياء ، ولما أفضى الأمر إلى أبي عنان بعث جماعة من اخوته وقرابته إلى الأندلس تحت حياطة ابن الأحمر ، وكان فيهم أولاد أبي علي هؤلاء ثم بعد حين سرحوا وقدموا تلمسان على سلطانها أبي حمو بن يوسف فكانوا عنده إلى هذا التاريخ فلما فسد ما بين عمر بن عبد الله وشيوخ بني مرين بعثوا (*) إلى تلمسان جملة منهم لاستقدام عبد الحليم المذكور فسرّحه أبو حمو ، وأعانه بشيء من الآلة ، وجمع عليه من رغب في طاعته ، وزحف إلى فاس فتلقتهم جماعة بني مرين بسبوا ، ونزلوا على فاس الجديد يوم السبت سابع محرم سنة ثلاث وستين وسبعمائة ، واضطربوا معسكرهم بكدية العرائس ، وحاصروا دار الملك سبعة أيام ، وتتابعت وفودهم وحشودهم ، ثم إن عمر بن عبد الله برز يوم السبت القابل في مقدمة السلطان تاشفين بمن معه من جند المسلمين والنصارى رامية وناشبة ، ووكل بالسلطان من جاء به في الساقة على التعبية المحكمة ، وناوشهم الحرب فزحفوا إليه فاستطرد لهم ليتمكن الناشبة من عقرهم من الأسوار حتى فشت فيهم الجراحات ، ثم صمم نحوهم فانفرج القلب وانفضت الجموع ، ثم زحف السلطان تاشفين في الساقة فابذعروا في الجهات ، واقترب بنو مرين إلى مواطنهم ، ولحق يحيى بن عبد الرحمن بمراكش مع

(*) راجع ما عند يحيى ابن خلدون في بغية الرواد صحيفة ٩٥ ج ٢ طبع الجزائر

مبارك بن ابراهيم شيخ الخلط ، ولحق عبد الحليم واخوته بتازا بعد ان شهد لهم رجال الدولة بصدق الجلال وحسن البلاء في ذلك المقام .
ثم ان الوزير عمر بن عبد الله راجع بصيرته في تقديم المعتوه للامر ، وعلم ان الامر لا يستقيم له بذلك ، فبادر باستقدام أبي زيان محمد بن أبي عبد الرحمن يعقوب ابن السلطان أبي الحسن ، وكان عند الطاغية بدار الحرب فقدم ، وخلع الوزير المذكور سلطانه الموسوس يوم الاثنين الحادى والعشرين من صفر سنة ثلاث وستين وسبعمائة فكانت دولته ثلاثة أشهر ويومين ومات وسنه ستون سنة ، والله تعالى أعلم .



الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبي زيان محمد بن أبي عبد الرحمن يعقوب بن أبي الحسن المرينى



هذا السلطان كان محجوباً للوزير عمر بن عبد الله أيضا كنيته: أبو زيان، لقبه: المتوكل على الله ، أمه: أم ولد اسمها فضة . صفته : آدم اللون شديد الادمة ، معتدل القامة ، منفرج الانف ، دقيق العينين .

وقال ابن الخطيب في الاحاطة : حاله فاضل سكون ، منقاد مشغل بخاصة نفسه ، قليل الكلام حسن الشكل ، درب بركض الخيل ، مفوض للوزراء ، عظيم التأنى لاغراضهم ، وكان قبل ولايته عند الطاغية (*) بالاندلس فر اليه خوفا على نفسه ، ولما التبت الامور على عمر بن عبد الله طلبه الى الطاغية فسمح به بعد اشتراط واشتطاط وفصل من اشبيلية في المحرم فاتح سنة ثلاث وستين وسبعمائة ونزل بسبته ، وبها سعيد بن عثمان من قرابة الوزير عمر بن عبد الله أرصده لقدمه ، فطير اليه بالخبر ، فحينئذ خلع عمر تاشفين الموسوس ، وبعث الى السلطان

(*) انظر ما كتبه المؤلف في هذا الموضوع في كتابه « كشف العرين عن ليوث بني مرين » اثناء الكلام على دولة هذا السلطان رحمه الله

أبى زيان بالبيعة والآلة والفساطيط ، ثم جهز عسكريا للقائه ، فتلقوه بطنجة ، وأغذ السير الى الحضرة فنزل منتصف صفر بكدية العرائس ، واضطرب معسكره بها وتلقاه يومئذ الوزير عمر بن عبد الله الياباني وبايعه ، وأخرج فسطاطه فاضطرب بمعسكره وتلوم السلطان أبو زيان هنالك ثلاثا ثم دخل في اليوم الرابع الى قصره واقعد أريكنه وتودع ملكه .

وقال ابن الخطيب في الاحاطة : « كان دخوله داره مغرب ليلة الجمعة بطالع الثامن من السرطان ، وبه السعد الاعظم كوكب المشتري من السيارة السبعة » اه ولما تم له الامر خاطبه ابن الخطيب من سلا مهنا له بقوله :

يا ابن الخلائف يا سمي محمد	يامن علاه ليس يحصر حاصر
أبشر فانت مجدد الملك الذي	لولاك أصبح وهو رسم دائر
من ذا يعاند منك وارثه الذي	بعوده فلك المشيئة دائر
أأقت اليك يد الخلافة أمرها	اذ كنت انت لها الولي الناصر
هذا وبينك للصريح وبينها	حرب مخرسة وبحر زاخر
من كان هذا الصنع أول أمره	حسنت له العقبى وعز الآخر
مولاي عندي في علاك محبة	والله يعلم ما تكن ضمائر
قلبي يحدثني بانك جابر	كسرى وحظى منك حظ وافر
برى جدودك قد حططت حقيتي	فوسيلتي لعلاك نور باهر
وبذلت وسعي واجتهادي مثل ما	يلقى للملك سيف أمرك عامر
فهو الولي لك الذي اقتحم الردى	وقضى الغزيمة وهو سيف باتر
وولى جدك في الشدائد عند ما	خذلت علاه قبائل وعشائر
فاستهد منه النصيح واعلم انه	في كل معضلة طيب ماهر
ان كنت قد عجلت بعض مدائحى	فهى الرياض وللرياض بواكر
ثم أتبعها بشر أضر بنا عنه اختصارا والله تعالى الموفق .	



وفادة ابن الخطيب من سلا على السلطان أبي زيان بن أبي عبد الرحمن

رحمهما الله



قال في «الاحاطة»: وفدت على السلطان أبي زيان بن أبي عبد الرحمن بن أبي الحسن من محل الانقطاع بسلا وأنشدته قولي:

لمن علم في هضبة الملك خفاق	افاقت به من غشية الهرج آفاق
تقل رياح النصر عنه غمامة	تمد لها أيد وتخضع أغناق
وبيعة شوري أحكم السعد عقدها	وأعمل اجماع عليها واصفـاق
فضى عمر فيها بحق محمد	فسجل عهد للوفاء وميثاق
أحلما ترى عيناى أم هي فترة	أعندكما في مشكل الامر مصداق
وفاض لفضل الله في الارض تبتغى	ومجتمعات لا تريب وأسـواق
وسرح تهنيه الكلاءة بالكـلا	وفلح لسقى الغيث قام له سـاق
وقد كان طيف الحلم لا يعمل الخطا	وللفتنة العمياء في الارض اطباق
وللغيث امساك وفي الارض رجة	وللدين والدنيا وجوم واطراق
فكل فريق فيه للبغي رايسة	وكل طريق فيه للغيث طـراق
أجل انه من آل يعقوب وارث	يحن له البيت العتيق ويشـتاق
له من جناح الروح ظل مسجف	ومن رفرف العز الالهى رستاق
أطل على الدنيا وقد عاد ضوءها	دجى وعلى الاحداق للذعر احداق
فأشرقت الارضاء من نور ربها	وساح بها لله لطف واشفـاق
فمن ألسن بالشكر لله أعلنت	وكان لها من قبل همس واطباق
وليس لامر أبرم الله ناقـض	وليس لمسعى النجح في الله اخفاق
محمد قد أحيت دين محمد	وللخلق أدماء تفيض وارمـاق
ولو لم تثب غطى على شفق الضحا	دم لسيوف البغي في الارض مهراق
فأيمن بمشحون من الفلك سابح	له باختيار الله حط وايسـاق

اليك وصفح الماء أزرق وفراق
تضل الحجى سهم من السعد رشاق
وصحت من التوفيق واليمن أوفاق
ومستبعد أن يهمل الخلق خلاق
وبالشر والايام سم وترياساق
له فى مجال السعد عدو واعناق
تفيض على العافين أم هى اوراق
فلم يجد اطناب ولم يغن اعراق
غمام ندى ان أخلف الغيث غيداق
بدور لها فى ظلمة الروع اشراق
ففيها جنى ملء الاكف وايراق
وجدك قد فاق الملوك وان فاقوا
لالىء والمجد المؤئل نساق
هم الاصل فى العلياء والناس اليحاق
فان حاربوا راعوا وان سالموا راقوا
فهم للمعالى والمكارم عشاق

تزر على أعناقهم منه أطواق
ولم تدر ما ضمت من الذكر أوراق
ومن دون ما أموه للفتح اغلاق
جريرة من أبدى لك العذر أخلاق
وتهفو حلوم القوم والقوم حذاق
ولله ارفاد عليهم وارفاق
خزائنه ما ضرها قط انفلاق
وان حشدت طسم وعاد وعملاق
تخوم لمختط الصليب وأعماق

أقلك والدأماء تظهر طاعنة
الى هدف السعد انبرى منه والدجا
فخطت لتقويم القوام جداول
تبارك من أهـاك للخلق رحمة
هو الله يباو الناس بالخير فتنة
سمت منك أعناق الورى لخليفة
وقالوا بنان ما استقل بكفه
وأطنب فيك المادحون وأغرقوا
ألست من القوم الذين أكفهم
ألست من القوم الذين وجوههم
رياض اذا العافى استظل ظلالها
أبوك ولى العهد لو سالم الردى
فمن ذاله جد كجدك أو أب
وحسب العلا فى آل يعقوب أنهم
أسود سروج أو بدور أسرة
يطول لتحصيل الكمال سهادهم
ومنها :

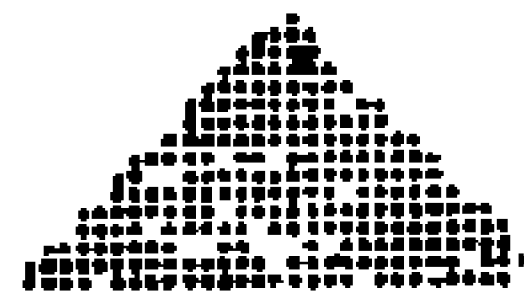
لقد نسيت احسان جدك فرقة
أجازت خروج ابن ابنه عن ترائه
ومن دون ما راموه لله قـندرة
خذ العقو وابذل فيهم العرف ولتسع
فربما تنبو مهندة الطبى
وما الناس الا مذنب وابن مذنب
ولا نرج فى كل الامور سوى الذى
اذا هو أعطى لم يضر منع مانع
عرفت الردى واستأثرت بك للعدا

فيسر لليسرى وأحيى بك الورى
فجاز صنيع الله وازدد بشكره
وأوف لمن أوفى وكاف الذى كفى
وتهنيك يا مولى الملوك خلافة
فقد بلغت أقصى المنى بك نفسها
فلا راع منها السرب للدهر راع
أمولاي راع الدهر سربى وغالى
وليس لكسرى غيرك اليوم جابر
ولى فيك ود واعتداد غرسته
وقد عيل صبرى فى ارتقابى خليفة
وأنت حسام الله والله ناصر
وأنت الامان المستجار من الردى
وأهون ما يرجى لديك شفاعنة
ودونكها من ذائع الحمد مخلص
إذا قال اما كل سمع لقواله
ودم خافق الاعلام بالنصر كلما

وللروع ارعاد عليك وابسراق
مواهب جود غيثها الدهر دفاق
فانت كريم طهرت منك اعراق
شجتها تباريح اليك وأشواق
وكم فاز بالوصل المهنا مشتاق
ولا نال منها جدة السعد اخلاق
فطرفى مذعور وقلبي خفق
ولا ليدى الا بمجدك اعلاق
فراقت به من يانع الحمد أوراق
تحل به للضرغنى أوهاق
وأنت أمين الله والله رزاق
إذا راع خطب أو توقع املاق
إذا لم يكن عزم حثيث وارهاق
له فيك تقييد يروق واطلاق
فمصغ وأما كل أنسف فنشاق
ذهبت لمسى لم يكن فيه اخفاق

قال : « وعدت منه ببر كبير واحترام شهير » : يشير بذلك الى ما أكرمه به
وكتب له من الظهير الذى يتضمن كمال الاحترام والتوقير ، ونصه : « هذا ظهير
كريم من أمير المسلمين فلان أيده الله ونصره ، وسنى له الفتح المبين ويسره ،
للشيخ الفقيه الاجل الاسنى الاعز الاحظى ، الارفع الامجد الاسمى الاوحد
الانور الارقى العالم العلم الرئيس الاعرف المتفنن الابرع ، المصنف المفيد
الصدر الاحفل ، الافضل الاكمل ، أبى عبد الله ابن الشيخ الفقيه الوزير الاجل
الاسنى الاعز الارفع الامجد الوجيه الانوه الاحفل ، الافضل الحبيب الاصيل
الاکمل ، المبرور المرحوم أبى محمد ابن الخطيب قابله أيده الله بوجه القبول
والاقبال ، وأضفى عليه ملابس الانعام والافضال ، ورعى له خدمة
السلف الرفيع الجلال ، وما تقرر من مقاصده الحسنة

فى خدمة أمرنا العال ، وأمر فى جملة ما سوغه من الآلاء
الوارفة الظلال ، الفسيحة المجال ، بان يجدد له حكم ما بيده من الاوامر
المتقدم تاريخها ، المتضمنة تمشية خمسمائة دينار من الفضة العشرية فى كل شهر
عن مرتب له ولولده الذى لنظره من مجبى مدينة سلاحرسها الله ، ومن حيث جرت
العادة ان تمشى له ، ورفع الاعتراض بابها فيما يجلب من الادم والاقوات على
اختلافها من حيوان وسواه ، وفيما يستفيدة خدامه بخارجها واحوازها من غن
وقطن وكتان وفاكهة وخضر وغير ذلك فلا يطلب فى شىء من ذلك
بمغرم ولا وظيف ولا يتوجه فيه اليه بتكليف ، يتصل له
حكم جميع ما ذكر فى كل عام تجديدا تاما واحتراما عاما ،
اعلن بتجديد الحظوة واتصالها ، واتمام النعمة واكمالها ، من تواريخ الاوامر
المذكورة الى الآن ومن الآن الى ما يأتى على الدوام واتصال الايام ، وأن يحمل
جانبه فيمن يشركه أو يخدمه محمل الرعى والمحاشاة فى السخر مهما عرضت ،
والوظائف اذا افترضت ، حتى يتصل له تالد العناية بالطارف ، وتتضاعف أسباب
المنن والعارف بفضل الله ، وتحرر له الازواج التى يحرثها بتالماغت من كل
وجيبة ، وتحاشى من كل مغرم أو ضريبة بالتحريير التام بحول الله وعونه ،
ومن وقف على هذا الظهير الكريم فليعمل بمقتضاه وليمض ما أمضاه ان شاء الله ،
وكتب فى العاشر من شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وستين وسبعمائة ، « وكتب
فى التاريخ » اه وقوله وكتب فى التاريخ هو العلامة السلطانية فى ذلك الزمان
يكتب بقلم غليظ ، وبعض ملوك المغرب يكتب عند العلامة : « صح فى التاريخ » .



وفادة عامر بن محمد الهنتاتي على السلطان ابي زيان بن ابي عبد الرحمن رحمهما الله



كان للوزير عمر بن عبد الله اليباني مودة ومصافاة مع الرئيس الشهير أبي ثابت عامر بن محمد الهنتاتي كبير جبل درن والبلاد المراكشية ، وكان الوزير عمر المذكور قد بعث اليه بصهره وظهره على الملك مسعود بن عبد الرحمن ابن ماساي يكون عنده عدة وعتادا ليوم ما ، فلما بويح السلطان أبو زيان استقدم عمر بن عبد الله صهره المذكور لوزارته ، وكان عامر بن محمد مجمعا القدوم على السلطان المذكور ، فقدم في صحبته مسعود ، ونزلا من الدولة بخير منزل . وعقد السلطان أبو زيان لمسعود المذكور على وزارته بإشارة الوزير عمر ابن عبد الله فاضطلع بها ، ودفعه عمر اليها استمالة اليه وثقة بمكانه واستظهارا بعصيته ، وعقد مع عامر بن محمد الحلف على مقاسمة المغرب شق الابلمة ، وجعل اماره مراكش لابي الفضل ابن السلطان أبي سالم اسعافا لغرض عامر ابن محمد في ذلك .

وخطب اليهم عامر بنت السلطان أبي بكر الحفصي التي توفي عنها السلطان أبو غنان(*) فاجابوه ، وحملوا أولياءها على العقد عليها ، وانكفأ راجعا الى مكان عمله بمراكش يجر الدنيا وراءه عزا وثروة وتابعا ، وذلك في جمدي الاولى من سنة ثلاث وستين وسبعمائة ، فاستقل بأمر الناحية الغربية من مراكش وجبال المصامدة وما اليها من الاعمال واستبد بها ، ونصب أبا الفضل ابن السلطان أبي سالم صورة ، واستوزر له وتمكن سلطانه وعلا ذكره ، وصارت كأنها دولة مستقلة ، فصرف اليه النازعون من بني مرين عن الدولة وجوه مفرهم ، ولجأوا اليه فأجارهم على السلطان واجتمع اليه منهم ملا ، واتسع الخرق

(*) والصحيح ابو الحسن لان المصاهرة لم تنعقد بين ابي غنان والحفصيين راجع ابن خلدون ج ٢ صحيفة ٤٧٢ وتاريخ الدولتين للزركشي صحيفة ٨٣ وصحيفة ٨٤

على الراقع ، واضطربت الاحوال بالمغرب ، وخرج على السلطان أبى زيان الامير عبد الحليم بن أبى على بن أبى سعيد ، وتغلب على سجلماسة وأعمالها ، ثم غلب عليه أخوه عبد المؤمن بن أبى على فخرج عبد الحليم الى المشرق لقضاء فريضة الحج ، واستمر عبد المؤمن بسجلماسة ، وأقام بها دولة كما كان لوالده من قبل الى أن فتحها الوزير مسعود بن عبد الرحمن بن ماسى وأضافها الى مملكة فاس ، ثم انتقض الوزير مسعود أيضا وبايع الامير عبد الرحمن بن أبى يفلوسن بن أبى على ، ونصبه للامر وصار يشوش به على الدولة ، وشرق عمر ابن عبد الله بدائه فى أخبار طويلة ، ولما لم يتم له أمر عبر هو وسلطان البحر من مرسى غساسة الى الاندلس فاتح سنة سبع وستين وسبعمائة ، وأقبلا على الجهاد واستراح الوزير عمر وسلطان أبو زيان من شغبهما . والله غالب على أمره .



مقتل السلطان أبى زيان بن أبى عبد الرحمن رحمه الله



لما طال استبداد الوزير عمر بن عبد الله على السلطان أبى زيان وحجره الله اذ كان وضع عليه الرقباء والعيون حتى من حرمه وأهل قصره عزم على الفتك بالوزير المذكور ، وتناجى بذلك مع بعض ندمائه وأعدله طائفة من العبيد كانوا يختصون به ، ففما ذلك الى الوزير بواسطة بعض الحرم كانت عينا له عليه فعاجله ، وكان قد بلغ من الاستبداد عليه ان كان الحجاب مرفوعا له عن خلوات السلطان وحرمه ، فدخل عليه وهو فى وسط حُسمه فطردهم عنه ، ثم غطه حتى فاض ، وأمر به فالقى فى بئر بروض الغزلان ، واستدعى الخاصة فُأدراهم مكانه بها ، وأنه سقط عن دابته وهو سكران ، وذلك فى محرم فاتح سنة ثمان وستين وسبعمائة كذا عند ابن خلدون . وقال فى «الجدوة»: «توفى يوم الاحد الثانى والعشرين من ذى الحجة سنة سبع وستين وسبعمائة وله ثمان

وعشرون سنة ، ودفن بجامع قصره فكانت دولته أربع سنين وعشرة أشهر ويوما واحدا ، والله أعلم .



الخبر عن دولة السلطان أبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن

رحمه الله



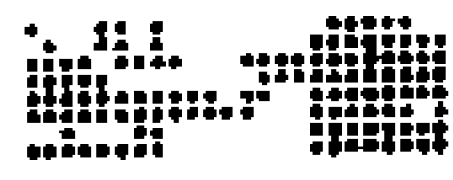
هذا السلطان هو الذي أنعش دولة بنى مرين بعد تلاشيها ، وأعاد إليها شبابها بعد هرمها وتقاضيها ، وأزال عنها وصمة الحجر والاستبداد ، وأعادها من العز إلى حالها المعاد ، وهو الذي ذكره ابن خلدون في أول تاريخه الكبير وألفه برسمه ، وحلى ديباجته باسمه ، أمه : مولدة اسمها مريم ، صفته : آدم اللون شديد الادمة ، طويل القامة ، يشرف على الناس بطوله ، نحيف الجسم ، أعين أدعج أخنس ، في وجهه أثر جدري . وكان عفا متمسكا بالدين ، محبا في الخير وأهله ، لم يشرب خمر ولا وقع في فاحشة قط ، وبالجملية فقد كان من صالحى الملوك رحمه الله .

ولما كان من الوزير عمر بن عبد الله الياباني إلى السلطان أبي زيان رحمه الله ما كان من الخلق واللقاء في البر ، استدعى عبد العزيز بن أبي الحسن هذا ، وكان في بعض الدور من القصبة بفاس محتاطا عليه من قبل الوزير المذكور ، فأحضره بالقصر ، وأجلسه على سرير الملك وبايعه ، وفتحت الابواب لبنى مرين وسائر الخاصة والعامة فازدحموا على تقبيل يده ، معطين الصفقة بطاغنه ، فتم أمره وثبت ملكه وذلك يوم الأحد الثاني والعشرين من ذى الحجة سنة سبع وستين وسبعمائة ، ثم إن الوزير عمر جرى معه على عادته من الاستبداد ، ومنع التصرف في شيء من أمور الملك فأنف السلطان عبد العزيز من ذلك وتأفف منه ، ودارت بينه وبين الوزير أمور إلى أن عمل السلطان على الفتك به فأعد له جماعة من الخصيان بزوايا داره ، ثم أحضره ووبخه وثار به أولئك الخصيان

فتناولوه هبوا بالسيوف ، وصاح الوزير المذكور صيحة أسمع بها بطاتته خارج
الدار فوثبوا على الابواب فكسروها ، واقتحموا الدار فاذا صاحبهم مخرج بدمائه
قد فرغ منه فولوا الادبار هاربين ، ثم تتبع السلطان عبد العزيز حاشية الوزير
بالاعتقال والقتل حتى أتى على الجميع فى خبر طويل ، واستبد بملكه واضطلع
به وأدار الامور فيه على ما ينبغي والله تعالى أعلم .



انتقاض أبى الفضل بن أبى سالم ثم مقتله بعد ذلك



قد قدمنا أن أبا الفضل بن أبى سالم كان قد عقد له الوزير عمر بن عبد الله
على مراکش اسعافا لكافله عامر بن محمد الهنتاني ، فلما فتك السلطان عبد العزيز
بالوزير المذكور سولت لابي الفضل نفسه مثلها فى عامر بن محمد لاستبداده
عنه ، وأغراه بذلك بطاتته فأحس عامر بالشر فتمارض بداره من مراکش ،
ثم استأذنه فى الصعود الى معتصمه من الجبل ليمرضه هنالك حرمة وأقاربه ،
وارتحل بجملته واحتل بحصنه وكان أعز من الابلق الفرد ، فيئس أبو الفضل
من الاستمكان منه ، ثم أغرته بطاتته اذ فاتهم عامر بالفتك بعبد المومن بن ابي
على ، وكان قد انضاف اليه بعد اجفاله عن سبعمائة ، فسكر أبو الفضل ذات
ليلة وبعث عن قائد الجند من النصارى فأمره بقتل عبد المومن بمكان معتقله
من قصبة مراکش فجاء برأسه اليه ، وطار الخبر بذلك الى عامر فارتاع وحمد
الله اذ خلصه من غائلته وبعث ببيعته الى السلطان عبد العزيز ، وأغراه بأبى
الفضل ورغبه فى ملك مراکش ، ووعدته بالمظاهرة ، فأجمع السلطان أمره على
النهوض اليها ، ونادى فى الناس بالعطاء ، وقضى أسباب حركته ، وارتحل من
فاس سنة تسع وستين وسبعمائة ، وقد استبد أبو الفضل بمراكش وأعمالها ،
وأقام بها رسم الملك ، واستوزر واستلحق وجعل شوراه لمبارك بن ابراهيم
ابن عطية الخلطى .

ولما نهض السلطان عبد العزيز من فاس اتصل خبره بأبى الفضل وهو منازل لعامر بن محمد فانفض معسكره ولحق بنادلا ليعتصم بجبل بنى جابر منها ، فتبعه السلطان عبد العزيز اليها ونازله ، وأخذ بمخنقه وقاتله فقل عسكره ، ثم داخل بعض بنى جابر فى جر الهزيمة عليه على مال يعطيه لهم ففعلوا ، وانهزمت جيوشه وتقبض على أشياعه وسبق مبارك بن ابراهيم الى السلطان عبد العزيز فاعتقله الى أن قتله مع عامر بن محمد كما نذكر .

ولحق أبو الفضل بقبائل صناكة وراء بنى جابر فداخل بنو جابر فى شأنه ، وبذلوا لهم عن السلطان مالا دثرا فى اسلامه فأسلموه ، وبعث السلطان اليهم وزيره يحيى بن ميمون فجاء به أسيرا ، وأحضره أمام السلطان فوبخه ، ثم اعتقله بفسطاط مجاور له ، ثم غط من الليل فكان مهلكه فى رمضان سنة تسع وستين وسبعمائة لضى ثمان سنين من امارته على مراکش ، وبعث السلطان عبد العزيز الى عامر بن محمد يخبر طاعته فأبى عليه ، وجاهر بالخلاف الى ان كان من شأنه ما نذكره .



انتقاض عامر بن محمد الهنتاتى وحصار السلطان عبد العزيز اياالا

وظفر لابه



كان عامر بن محمد الهنتاتى مجير السلطان أبى الحسن من ابنه أبى عنان على ما وصفنا من بلوغ الغاية فى الرياسة والاعتزاز على الدولة وطول الاستبداد بمراكش وأحوازها ، وكان قد حصل فى مدة رياسته على ثروة عظيمة وجاء كبير ، وكان له معتصم بجبل درن أعز من بيض الانوق قد حصن فيه ماله وسلاحه وذخيرته ، وكان كلما هاجه هائج صعد اليه وأمن على نفسه ، فلما صفا الامر للسلطان عبد العزيز جعل عامرا هذا من أهم أمره فنصب له واستعد لقتاله وعقد على وزارته لآبى بكر بن غازى بن يحيى بن الكاس ونهض اليه من فاس سنة سبعين وسبعمائة فحاصره فى جبله سنة كاملة . ولما طال الحصار على

عامر وشيعته اختلفت كلمتهم عليه وفسد ما بينه وبين ابن أخيه فارس بن عبد العزيز بن محمد ، فبعث الى السلطان وسهل له الطريق لاقتحام الجبل ، فزحفت العساكر والجنود وشارفت المعتصم ، ولما استيقن عامر أن قد أحيط به بعث الى ابنه أبي بكر أن يلحق بالسلطان مخازنا له ومشيرا عليه بالتى هى أحسن وأسلم ، فالتقى الولد بنفسه الى السلطان فقبله ، وبذل له الامان وألحقه بجملته ، وانتبذ عامر عن الناس وذهب لوجهه ليخلص الى السوس فردده الثلج ، وقد كانت السماء أرسلت به منذ أيام حتى تراكم بالجبل بعضه على بعض وسد المسالك فافتحمه عامر حتى هلك فيه بعض حرمة ونفق مركوبه ، وعاین الهلكة العاجلة فرجع أدراجه مختفيا حتى آوى الى غار مع أدلاء كان قد استخلصهم ، وبذل لهم مالا على أن يسلكوا به ظهر الجبل الى صحراء السوس ، فأقاموا ينظرون امساك الثلج وقد شدد السلطان عبد العزيز فى التنقير عنه والبحث ، فعثر عليه بعض البربر بالغار المذكور ، فسيق الى السلطان فأحضره بين يده ووبخه فاعتذر واعترف بالذنب ورغب فى الاقالة فحمل الى مضرب بنى له بازاء فسطاط السلطان واعتقل هنالك ، وانطلقت الايدى على مغافل عامر ودياره فانتهب من الاموال والسلاح والذخيرة والزرع والافوات مالا عين رأت ولا أذن سمعت .

واستولى السلطان على الجبل ومعاقله فى رمضان من سنة احدى وسبعين وسبعمائة لحول من يوم حصاره ، وعقد على هتاتة لابن أخى عامر وهو قارن ابن عبد العزيز بن محمد بن على الهتاتى ، وارتحل الى فاس فاختل بها آخر رمضان المذكور ودخلها فى يوم مشهود برز فيه الناس ، وحمل عامر وسلطانه تاشفين من بنى عبد الحق كان نصبه للامر مموها به على عادته ، فحملا معا على جملين وقد أفرغ عليهما لباس رث ، وعبثت بهما أيدي الاهانة فكان ذلك عرة لمن رآه .

ولما قضى السلطان عبد العزيز نسك عيد الفطر أحضر عامرا فقرعه بذنوبه ، وأتى بكتاب بخطه يخاطب فيه أبا حمو بن يوسف الزياتى ويستجده على السلطان فشهد عليه به وأمر السلطان بامتحانه فلم يزل يجلد حتى انتثر لحمه وضرب بالعصى

حتى ورمت أعضاؤه، وهلك بين يدي الوزعة، وجنب تاشفين سلطانه الى مصر عه فقتل
 قعصا بالرماح وجنب مبارك بن ابراهيم الخلطي من محبسه بعد الاعتقال فالحق
 بهم، ولكل أجل كتاب، وصفا الجو للسلطان عبد العزيز من المنازعين وتفرغ
 لغزو تلمسان على ما نذكره ان شاء الله .



ارتجاع الجزيرة الخضراء من يد الاسبانيول



ود فدمنا ما كان من استيلاء الطاغية على الجزيرة الخضراء أيام السلطان
 أبي الحسن رحمه الله فاستمرت في ملكتهم الى هذا التاريخ فنشأت بينهم فتنة
 وتقاتلوا على الملك وأعروا ثغورهم الموالية للمسلمين من الحامية والجند فبقيت
 عورة، وتشوف المسلمون الى ارتجاع الجزيرة الخضراء التي قرب عهدهم
 بانتظامها في ملكة المسلمين .

وكان السلطان عبد العزيز في شغل عن ذلك بفتنة أبي الفضل بن أبي سالم
 وعامر بن محمد وانتفاضهما، فبعث الى ابن الاحمر صاحب الاندلس أن
 يزحف اليها بعساكره وعليه عطاؤهم وامدادهم بالمال والاساطيل على أن تكون
 مشوبة جهاده خالصة له، فأجاب ابن الاحمر الى ذلك، وبعث اليه السلطان عبد
 العزيز باحمال المال، وأوعز الى أساطيله بسبته فانعمرت واقلعت حتى احتلت
 بمرسى الجزيرة الخضراء لحصارها، وزحف ابن الاحمر بعساكر المسلمين
 على أثرها بعد ان قسم فيهم العطاء وأزاح العلل وأعد الآلات للحصار، فنازلها
 أياما قلائل، ثم أيقن النصاري بالهلكة لبعدهم عن الصريح ويأسهم من مدد
 ملوكهم، فألقوا باليد وسألوا النزول على الصلح، فأجابهم ابن الاحمر اليه،
 ونزلوا عن البلد وأقيمت فيه شعائر الاسلام ومحيت منه كلمة الكفر، وكتب
 الله أجرها لمن أخلص في معاملته (*) وكان ذلك سنة سبعين وسبعمائة،

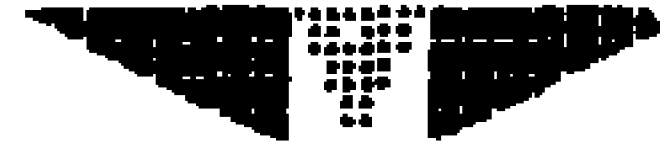
(*) انظر الاحاطة ج ٢ - صحيفة ٥٦

ولى ابن الاحمر عليها من قبله ولم تزل الى نظره الى أن وقع الاخيار على هدمها خشية استيلاء النصرانية عليها مرة أخرى فهدمت أعوام الثمانين وسبعمائة أصبحت خاوية كأن لم تغن بالامس .



نهوض السلطان عبد العزيز الى تلمسان واستيلاؤها

وفرار سلطانها ابي حمو بن يوسف عنها



كان أبو حمو بن يوسف الزياني قد فسد ما بينه وبين عرب سويد وقبض على بعض رؤسائهم محمد بن عريف فاستصرخوا عليه السلطان عبد العزيز ، وكانت القوارص لا تزال تسري اليه من أبي حمو المذكور فصادفوا منه صاغية الى ما التمسوا منه ، واعتزم على النهوض الى تلمسان ، وبعث الحاشرين الى الجهات المراكشية فتوافى الناس اليه على طبقاتهم ، واجتمعوا عنده أيام منى سنة احدى وسبعين وسبعمائة فافاض العطاء وأزاح العلل ، ولما فضى نسك عبد الاضحى عرض الجند ونهض الى تلمسان فاحتل بتازا .

واتصل خبره بابي حمو فجمع الجموع وهم باللقاء ثم اختلفت كلمة أصحابه وتفرق عنه العرب من بنى معقل فاجفل هو وأشياعه من بنى عامر بن زغبة فدخلوا القفر .

وتقدم السلطان عبد العزيز فاحتل بتلمسان يوم عاشوراء من سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة فدخلها في يوم مشهود ، واستولى عليها وعقد لوزيره أبي بكر ابن غازي بن الكاس على عساكر مرين والعرب وسرحه في اتباع أبي حمو فأدركه ببعض بلاد زناتة للشرق فاجهضوه عن ماله ومعسكره فاتهب بأسسره واكتسحت أموال العرب الذين معه ونجا بذمائه الى مصاب ، وتلاحق به ولده وقومه متفرقين على كل مفازة ، ثم دخلوا القفر بعد ذلك ودوخ الوزير المذكور بلاد المغرب الاوسط وشرد عصاته واستنزل ثواره في أخبار طويلة .

واستولى السلطان عبد العزيز على سائر الوطن من الامصار والاعمال ،
وعقد عليها للولاة والعمال واستوسق له ملك المغرب الاوسط كما كان لسلفه
واستمر مقيما بتلمسان الى أن كان ما ذكره .



نزوع الوزير ابن الخطيب عن سلطان الغني بالله

الى السلطان عبد العزيز بتلمسان



قد قدمنا ما كان من رجوع الغني بالله ابن الاحمر الى ملكه بالاندلس سنة
ثلاث وستين وسبعمائة ، ولما استولى على غرناطة وثبت قدمه بها بعث عن مخلفه
بناس من الاهل والولد ، والقائم بالدولة يومئذ عمر بن عبد الله فاستقدم عمر
ابن الخطيب من سلا وبعثهم الى نظره ، فسر السلطان ابن الاحمر بمدمه
ورده الى منزله . ودفع اليه تدبير المملكة وخلط بينه بدمائه وأهل خلوته ،
وانفرد ابن الخطيب بالحل والعقد ، وانصرفت اليه الوجوه وعلقت به الآمال
وغشى بابه الخاصة والكافة ، وغصت به بطانة السلطان وحاشيته فتوافقوا على
السعاية فيه ، وقد صم السلطان عن قبولها ، ونما بذلك الخبر الى ابن الخطيب
فتسمر عن ساعده للرحلة عن الاندلس والحق بالمغرب ، وكان له حين اليه
ورغبة في الايالة المرينية من قبل ذلك ، فقدم الوسائل الى السلطان عبد العزيز
وأوعز اليه بما عزم عليه من اللحق بحضرته فوعده السلطان بالجميل وبسط
أمله ، فحينئذ استأذن السلطان الغني بالله في تفقد الثغور الغربية من أرض
الاندلس فاذن له ، وسار اليها في جماعة من فرسانه ، ومعه ابنه علي فلما حاذى
جبل طارق مال اليه ، فخرج قائد الجبل لتلقيه ، وقد كان السلطان عبد العزيز
أوعز اليه بذلك وجهاز اليه الاسطول من حينه ، فاحتل بسبته ثم سار منها فقدم
على السلطان عبد العزيز بتلمسان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة ، فاهتزت له
الدولة وأركب السلطان خاصته لتلقيه وأحله بمجلسه محل الامن والغبطة ،

ومن دولته بمكان الشرف والعزة ، وأخرج لوقفه كاتبه أبا يحيى بن أبي مدين
سفيراً الى الاندلس فى طلب أهله وولده فجاء بهم على أكمل الحالات من الامن
والتكرمة ، ثم نزل بعد ذلك مدينة فاس القديمة فاستكثر بها من شراء الضياع
ونأنق فى بناء المساكن واغتراس الجنات وحفظت عليه رسومه السلطانية
وتوقيراته ، وأقام مطمئناً بخير دار عند أعز جار .



وفاة السلطان عبد العزيز بن أبي الحسن رحمه الله



كان السلطان عبد العزيز قد أصابه مرض التحول فى صغره ولاجل
ذلك تجافى السلطان أبو سالم عن بعثه مع الابناء الى الاندلس فأقام بالمغرب ،
ولما شب أفاق من مرضه وصلاح بدنه ثم عاوده وجعه فى مشواه بتلمسان وتزايد
نحوه ، ولما كمل الفتح واستفحل الملك اشتد به الوجع فصابره وكنمه عن الناس
خشية الارجاف ثم عسكر خارج تلمسان للحاق بالمغرب .

ولما كانت ليلة الخميس الثانى والعشرين من ربيع الآخر سنة أربع
وسبعين وسبعمائة قضى نجه رحمه الله بظاهر تلمسان بين أهله وولده وسيفى
الى فاس فدفن بجامع قصره ، وسنه يومئذ أربع وعشرون سنة ، وكانت دولته
ست سنين وأربعة أشهر (*) .

ومن نظمه ما ذكره ابن الأحمر فى « نثر الجمان » مديلاً بيتى والده السلطان
أبى الحسن اللذين هما قوله :

أرضى الله فى سر وجهه — وأحمى العرض من دنس ارتياب
وأعطى الوفر من مالى اختياراً — وأضرب بالسيوف طلى الرقاب
فقال هو وأحسن :

[☆] ومن اولاده : السلطان محمد السعيد ومحمد وعبد الله .

وأرغب خالفى فى العفو عنى وأطلب حله يوم الحساب
وأرجو عونه فى عز نصر على الاعداء محروس الجنباب
وعبدك وافف بالباب فارحم عيدا خائفألم العقـباب

❦

الخبر عن دولة السلطان السعيد بالله أبي زيان محمد بن عبد العزيز
ابن أبي الحسن

❦❦❦

هذا السلطان ممن ولى الامر وهو صبي ، وفيه ألف ابن الخطيب كتابه
المسمى : « باعلام الاعلام بمن بويج من ملوك الاسلام قبل الاحتلال » كنيته : أبو زيان .
أمه : عائشة بنت القائد فارح العليج ، صفته : آدم اللون شديد الادمة .

ولما مات السلطان عبد العزيز رحمه الله بظاهر تلمسان خرج الوزير أبو
بكر بن غازى بن الكاس على الناس ، وقد احتمل أبا زيان ابن السلطان عبد
العزيز ، فعزاهم عن سلطانهم ثم طرح ابنه بين أيديهم ، فازدحموا عليه باكين
متفجعين يعطونه الصفقة ويقبلون يديه للبيعة ، ثم أخرجوه للمعسكر وأنزلوه
بفساطيط أبيه وتم أمره وكفله الوزير المذكور فكان اليه الابرام والنقض ،
والصبي كالعدم ، اذ لم يكن فى سن التصرف .

ثم ان الوزير ارتحل بالناس وجد السير فدخل حضرة فاس وأجلس
الصبي لبيعة العامة فبايعوا ، ثم توافت لديه وفود الامصار على العادة ، واستبد
الوزير أبو بكر واستعمل على الجهات وجلس بمجلس الفصل واشتغل بامر
المغرب ابراما ونقضا .

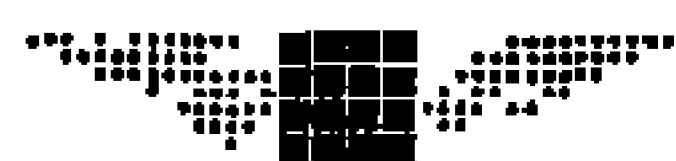
ولما فصل بنو مرين عن تلمسان عاد اليها سلطانها أبو حمو ابن يوسف
الزيانى ، والتفت عليه بنو عبد الواد من كل جانب ومحا دعوة بنى مرين من
ضواحي المغرب الاوسط وأمصاره ، واتصل الخبر بالوزير أبي بكر بن غازى فهم
بالنهوض اليه ثم ثنى عزمه ما كان من خروج الامير عبد الرحمن بن أبي

يفلوسن بن أبي علي بن أبي سعيد بن يحيى بطوية، فإن السلطان ابن الأحمر كان قد سرحه من الأندلس صحبة وزيره مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي لطلب ملك المغرب تسغيا على الوزير أبي بكر بن غازي، ثم أتبعه بالأمير أبي العباس أحمد ابن السلطان أبي سالم الذي كان محتاطا عليه بطنجة، فزحف الأمير أبو العباس المذكور إلى فاس وظاهره ابن عمه الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن فحاصروا الوزير أبا بكر بن غازي وسلطانه أبا زيان بن عبد العزيز، وضربوا على فاس الجديد سياجا بالبناء للحصار، وأنزلوا به أنواع القتال بعد أن بعث ابن الأحمر رسله إلى الأمير عبد الرحمن باتصال اليد بابن عمه الأمير أبي العباس ومظاهرتة على ملك سلفه بفاس واجتماعهما لمنازلتهما، وعقد بينهما الاتفاق والمواصلة وأن يختص عبد الرحمن بملك سلفه من سجل ماسة وأعمالها، فتراضيا وزحفا إلى فاس كما قلنا، وأمدهم ابن الأحمر بجمع من جنده، فاستمر الحال على حصار فاس إلى أن أذعن الوزير أبو بكر لخلع سلطانه أبي زيان ومبايعة الأمير أبي العباس، فخلعه يوم الأحد السادس من محرم فاتح سنة ست وسبعين وسبعمائة وغرب إلى الأندلس فكانت دولته سنة وثمانية أشهر وأربعة عشر يوما والله غالب على أمره .



الخبر عن الدولة الأولى للسلطان المستنصر بالله

أبي العباس أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن



هذا السلطان يقال له : ذو الدولتين لأنه ولي الملك مرتين كما سيأتي .
أمه : حرة بنت أبي محمد السبائي . كنيته : أبو العباس ، لقبه : المستنصر بالله ، صفته : أبيض اللون ربة تعلوه صفرة رقيقة، أدعج أسود الشعر أكحل الحاجبين ضيق البلج أسيل الخدين براق الثنايا جميل الوجه مليح الصورة ظريف المنزع لطيف الشماثل حسن الشكل إذا ركب ، بويغ أولا بطنجة في شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين وسبعمائة ، ثم بويغ البيعة العامة بالمدينة البيضاء بعد استيلائه

عليها يوم الاحد السادس من محرم سنة ست وسبعين وسبعمائة ، وكان الامير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن عند ما أشرفوا على فتح فاس شرط عليهم ولاية مراکش عوضا عن سجلماسة فعدوا له على كره مخافة ان تفرق كلمتهم ولا ينم أمرهم ففعلوا ، وطووا له على انكث فارتحل الى مراکش واستولى عليها ، ثم فارقه وزيره مسعود بن عبد الرحمن وأجاز البحر الى الاندلس فاستقر بها في ايلة ابن الاحمر .

واستقل السلطان أبو العباس بن أبي سالم بملك فاس وأعمالها ، واستوزر محمد بن عثمان بن الكاس وفوض اليه أموره فغلب على هواه وجعل أمر الشورى الى سليمان بن داود فاستقل بها وحاز رئاسة المشيخة ، واستحكمت المودة بينه وبين ابن الاحمر وجعلوا اليه المرجع في نقضهم وابعادهم ، فصار له بذلك تحكم في الدولة المرينية وأصبح المغرب كأنه من بعض أعمال الاندلس وذلك بما كان لابن الاحمر من اعانة السلطان أبي العباس على ملك المغرب حتى تم له ، وبما كان تحت يده من أبناء الملوك المرشحين للامر ، فكان أبو العباس وحاشيته يصانعون له لاجل ذلك ، والله تعالى أعلم .



محنة الوزير ابن الخطيب ومقتله رحمه الله



لما لجأ ابن الخطيب الى بنى مرين وأصاب عندهم دارا وقرارا عز ذلك على ابن الاحمر ، وسعى بطاقته عنده في ابن الخطيب لعداوتهم له ، ثم بلغه انه يغري السلطان عبد العزيز بتملك أرض الاندلس وقطع دعوة بنى الاحمر منها ، فعظم عليه ذلك ودبر الحيلة في قتل ابن الخطيب ، وتبع أعداؤه كلمات زعموا أنها صدرت منه في بعض تأليفه فاحصوها عليه ورفعوها الى قاضي غرناطة أبي الحسن النباهي فاسترعاها وسجل عليه بالزندقة ، وبعث ابن الاحمر برسيم الشهادة مع هدية لم يسمع بمثلا الى السلطان عبد العزيز وطلب منه اقامة الحد على ابن الخطيب أو اسلامه اليه ، فصم السلطان عبد العزيز ' عن ذلك وأنف

لذمته أن تخفر ولجواره أن يؤذى ، وقال للوفد : « هلا انتقمتم منه وهو عندكم وأنتم عالمون بما كان عليه ، وأما أنا فلا يخلص اليه بذلك أحد فما كان في جوارى » ثم وفر الجراية والافطاع له ولبنيه ولمن جاء من فرسان الاندلس في جملته .

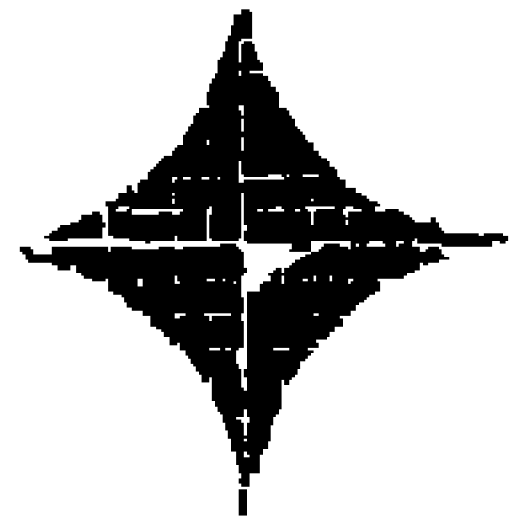
ثم لما مات السلطان عبد العزيز رحمه الله وولى ابنه أبو زيان وقام بأمره الوزير أبو بكر بن غازى عاود ابن الاحمر الكلام في شأن ابن الخطيب وبعث بهدية أخرى الى الوزير المذكور وطلب منه اسلامه اليه ، فابى الوزير وأساء الرد ، وعادت رسل ابن الاحمر اليه مخفقين ، وقد رهبوا سطوته ، فعند ذلك عمد ابن الاحمر الى الامير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ، وكان عنده بالاندلس فأطمعه في ملك المغرب وأركبه البحر ، فقذف به بساحل بطوية من بلاد الريف تشغيا على الوزير أبي بكر بن غازى كما مر ، ثم تاب له رأى آخر فأغرى محمد بن عثمان بن الكاس وهو ابن عم أبي بكر بن غازى المذكور ، وكان يومئذ بسبته قائما على ثغرها ، فداخله في البيعة لابن العباس بن أبي سالم ، وكان يومئذ بسبته محتاطا عليه في جملة من القرابة ، والتزم أن يمدد بالمال والرجال حتى يتم أمره ، لكن بشرط أن ينزل له عن جبل طارق ، ويبعث له بالقرابة الذين هم بطنجة ليكونوا تحت يده ، ويسلم اليه ابن الخطيب متى قدر عليه ، فكان الامر كذلك ، فان السلطان أبا العباس لما استولى على الامر نزل لابن الاحمر عن جبل طارق فمحا دعوة بني مرين من وراء البحر ، ثم ملك بعد ذلك سبته فاستولى عليها ، وبعث اليه بالقرابة المذكورين فأوسع لهم جنبه بغرناطة ، ثم قبض السلطان أبو العباس ووزيره محمد بن عثمان على ابن الخطيب وطيرا بالاعلام لابن الاحمر ، فحينئذ بعث وزيره أبا عبد الله بن زمرك ، وكان من تلاميذة ابن الخطيب وبه تخرج ، فقدم على السلطان أبي العباس وأحضروا ابن الخطيب بالمشور في مجلس الخاصة وأهل الشورى من الفقهاء ، وعرضوا عليه بعض كلمات وقعت له في بعض كتبه فعظم عليه النكير فيها فوبخ ونكل ، وامتنحن بالعذاب بمشهد ذلك الملاء ، ثم ثل الى محبسه ، وتفاوضوا في قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه فافتى بعض الفقهاء بقتله ، ففسد سليمان بن داود اليه

بعض الاوغاد من حاشيته فطرقوا السجن ليلا ومعهم زعانفة من أهل الاندلس
جاءوا في ليف ذلك الوفد فقتلوه خنقا في محبسه وأخرجوا شلوه من الغد
فدفن في مقبرة باب المحروق ، ثم أصبح من الغد طريحا على شافة قبره وقد
جمعوا له أعوادا فأضرموها عليه نارا فاحترق شعره واسود بشره ، وأعيد الى
حضرتة ، وكان في ذلك انتهاء محنته ، وعجب الناس من هذه السفاهة التي جاء
بها سليمان بن داود واعتدوها من هناته ، وعظم النكير فيها عليه وعلى قومه وأهل
دولته .

وكان ابن الخطيب رحمه الله أيام مقامه بالسجن يتوقع مصيبة الموت
فتجيش هواتفه بالشعر يبكي نفسه فمما قال في ذلك :

بعدنا وان جاورتنا اليبوت	وجئنا بوعظ ونحن صموت
وأنفسنا سكنت دفعة	كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا عظاما فصرنا عظاما	وكنا نقوت فها نحن قنوت
وكنا شمس سماء العالا	غربنا فناحت عليها السموت
فكم جدلت ذا الحسام الطبى	وذو البخت كم جدلته البخوت
وكم سيق للقبر في خرقعة	فتى ملئت من كساء التخوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيب	وفات ومن ذا الذى لا يفوت
فمن كان يفرح منكم له	فقل يفرح اليوم من لا يموت

وكانت نكبته رحمه الله أوائل سنة ست وسبعين وسبعمائة ، وعند الله
تجتمع الخصوم .



بقية اخبار امير مراکش عبد الرحمن بن ابي يفلوسن رحمه الله



قد تقدم لنا ما كان من معاقدة السلطان أبي العباس والامير عبد الرحمن ابن أبي يفلوسن على ولاية سجلماسة أولا ثم التعويض عنها بمراكش ثانيا ، فلما فتح السلطان أبو العباس فاسا وفي للامير عبد الرحمن بعقده فصار الى مراکش واستولى عليها وعلى أعمالها ، واقتسمت مملكة المغرب الاقصى يومئذ بنصفين .

وكان الحد بين الدولتين ثغر آزموور فكانت في ايلة صاحب فاس ، وما وراءها الى مراکش في ايلة صاحب مراکش ، ثم كانت بينهما بعد ذلك مواصلات ومناقضات ومسلمات ومحاربات يطول جلبها ، واتصل ذلك الى منتصف سنة أربع وثمانين وسبعمائة فظفر السلطان أبو العباس بعبد الرحمن بعد محاصرته بقصبة مراکش تسعة أشهر ، ولما أشرف السلطان أبو العباس على فتحها وانفض الناس من حول الامير عبد الرحمن ونزلوا من الاسوار فاجين الى السلطان وبقي هو في قصبته منفردا بات ليلته يراود ولديه على الاستماتة وهما: سليم وأبو عامر ، وركب السلطان أبو العباس من الغد في التعمية الى القصبة فاقتحمها بمقدمته ولقيه الامير عبد الرحمن وولدها مسابقين الى الميدان ومباشرين القتال بين أبواب دورهم فجالوا معهم جولة قتل فيها الولدان قتلهم على بن ادريس وزيان بن عمر الوطاسي .

قال ابن خلدون : « وطالما كان زيان يمتري ثدى نعمتهم ويجر ذيله خيلاء في جاههم فذهب مثلا في كفران النعمة وسوء الجزاء والله لا يظلم مثقال ذرة » وكان ذلك خاتم جمدي الآخرة سنة أربع وثمانين المذكورة لمضي عشر سنين من امارة عبد الرحمن على مراکش ، ثم رحل السلطان أبو العباس منقلبا الى فاس وقد استولى على سائر أعمال المغرب وظفر بعدوه ودفع النازعين عن ملكه والله غالب على أمره .

ذكر الشاوية وبيان نسبهم وأوليتهم وشرح لقبهم وتسميتهم



ذكر ابن خلدون أن الشاوية من واد حسان بن أبي سعيد الصيحي نسبة إلى صبيح بالتصغير بطن من سويد ، وسويد إحدى قبائل بني مالك بن زغبة الهلالين ، وكان دخول حسان وأخيه موسى ابني أبي سعيد إلى المغرب الأقصى أيام السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله ، قدموا في صحبة عبد الله بن كندوز العبد الوادي ثم الكمي ، وكان عبد الله هذا قد نزع عن يغمراسن بن زيان إلى السلطان يعقوب المذكور فقدم عليه قبل فتح مراكش ، فاهتز السلطان يعقوب لقدمه وأحله بالمكان الرفيع من دولته وأنزل قومه بجهات مراكش وأقطعهم البلاد التي كفتهم مهماتهم وجعل انتجاع ابله ورواحله وسائر ظهره في أحيائهم ، فقدم عبد الله بن كندوز على رعايتها حسان وأخاه موسى الصيحيين وكانا عارفين برعاية الإبل والقيام عليها فاقاموا يتقلبون في تلك البلاد ويتعدون في نجعتها إلى أرض سوس ، وكانت ماشية السلطان يعقوب منفردة في سائر المغرب فجمعها لعبد الله بن كندوز ، وجمعها عبد الله لحسان الصيحي المذكور ، فكان حسان مباشر أمور السلطان في شأن تلك الماشية ويطالعه بمهامه فحصلت له مداخلة معه جلبت إليه الحظ حتى ارتفع قدره ، ونشأ بنوه في ظل الدولة وعزها وتصرفوا في الولايات منها وانفردوا بخطة الشاوية فلم تنزل ولايتها متوارثة فيهم منقسمة بينهم لهذا العهد إلى ما كانوا يتصرفون فيه من غير ذلك من الولايات ، وكان لحسان من الولد علي ويعقوب وطلحة وغيرهم ، ومن حسان هذا تفرعت شعوبهم في ولده قال ابن خلدون : « وهم لهذا العهد يتصرفون في الدولة على ما كان لسلفهم من ولاية الشاوية والنظر في رواحل السلطان والظهر الذي يحمل من الإبل ولهم عدد وكثرة ونباهة في الدولة » اه قلت : ولفظ الشاوية نسبة إلى الشاء التي هي جماعة الغنم مثلاً قال الصحاح : « والنسبة إلى الشاء شأوى قال الراجز :

لا ينفع الشاوى فيها شاته * ولا حماراه ولا علاته

وان سميت به رجلا قلت شائى وان شئت شاوى ، اه .

واعلم أن الشاوية اليوم يطلقون على سكان تامسنا من قبائل شتى بعضها عرب وبعضها زناتة وبربر غير أن لسان الجميع عربى ، وكان أصل جمهورهم من هؤلاء الذين ذكر ابن خلدون ، ثم انضفت اليهم قبائل أخرى ، واختلطوا بهم فأطلق على الجميع شاوية تغليبا ، وهكذا وقع فى سائر عرب المغرب الأقصى المواطنين بتلوله فانهم وقع فيهم اختلاط كبير حتى نسوا أنسابهم وأصولهم الاولى الا فى النادر ، وذلك بسبب تعاقب الاعصار وتناسخ الاجيال وتسوالى المجاعات والاتجاجات ووقعات الملوك بهم فى كثير من الاحيان وتفريق بعضهم من بعض ونقل بعضهم الى بلاد بعض ، ومع ذلك فأسماؤهم الاولى لا زالت قائمة فيهم لم تتغير الى الان فمنها يهتدى القطن الى التقير عن أنسابهم والحق فروعهم باصولهم متى احتاج الى ذلك . والله تعالى أعلم .



نهوض السلطان ابي العباس الى تلمسان وفتحها وتخريبها



لما نهض السلطان أبو العباس الى مراکش وحاصر بها عبد الرحمن بن أبي يفلوسن خالفه الى المغرب أبو حمو بن يوسف الزياني فى جمع من أولاد حسين عرب معقل وذلك باغراء عبد الرحمن المذكور ، فدخلوا الى أحواز مكناسة وعاثوا فيها ثم عمدوا الى مدينة تازا فحاصروها سبعا وخربوا قصر الملك هنالك ومسجده المعروف بقصر تازروت وبينما هم على ذلك بلغهم الخبر اليقين بفتح مراکش وقتل الامير عبد الرحمن فاجفلوا من كل ناحية ومر أبو حمو فى طريقه الى تلمسان بقصر ونزمار بن عريف السويدي فى نواحي بطوية المسمى بمراة فهدمه .

ووصل السلطان أبو العباس الى فاس فأراح بها أياما ثم أجمع النهوض الى تلمسان فاتتهى الى تاوريرت ، وبلغ الخبر الى أبي حمو فاضطرب رأيه

واعتمر على الحصار وجمع أهل البلد عليه فاستعدوا له ، ثم بدا له فخرج فى بعض تلك الليالى بولده وأهله وخاصته وأصبح مخيما بالصفيصف فأهرع أهل البلد اليه بعيالهم وأولادهم متعلقين به تفاديا من معرة هجوم العسكر عليهم فلم يزعه ذلك عن قصده ، وارتحل ذاهبا الى البطحاء ، ثم قصد بلاد مغراوة فنزل فى بنى بوسعيد قريبا من شلف وأنزل أولاده الاطغر وأهله بحصن تاجحمومت وجاء السلطان أبو العباس الى تلمسان فملكها واستقر بها أياما ثم هدم أسوارها وفصور الملك بها باغراء وليه ونزمار جزاء بما فعله أبوحمو فى تخريب قصر تازروت وحصن مرادة ، ثم خرج من تلمسان فى اتباع أبى حمو ونزل على مرحلة منها وهناك بلغه الخبر باجازه موسى بن أبى عنان من الاندلس الى المغرب ، وأنه خالفة الى دار الملك فانكفا راجعا عوده على بدئه ورجع أبوحمو الى تلمسان فاستقر ملكه بها الى أن كان ما نذكره ان شاء الله .



خلع السلطان أبى العباس بن أبى سالم وتغريبه الى الاندلس والسبب فى ذلك



قد قدمنا ما كان من تحكم ابن الاحمر فى مملكة المغرب ودالته على السلطان أبى العباس بما أنه كان السبب فى ولايته وبما تحت يده من القرابة المرشحين الذين أرصدهم للتشبيب على دار الملك بالمغرب متى رأى من أحدهم ما لا يوافق هواه ، وكان مع كثرة تحكمه فيهم يتجنى عليهم فى بعض الاوقات بما يأتونه من تقصير فى شفاعه أو مخالفة فى أمر لا يجدون عنها محيصا فيضطغن ذلك عليهم ، وكان يعتقد على السلطان أبى العباس بشيء من هذه الهنات ،

فلما نهض الى تلمسان واستولى عليها سنة خمس وثمانين وسبعمائة اتصل بابن الاحمر أن دار الملك يقاس قد بقيت عورة من الجند والحامية فانتهاز الفرصة وبادر يتسريح موسى بن السلطان أبى عنان الى المغرب واستوزر له مسعود بن عبد

الرحمن بن ماسى رئيس الفتنة وقطب رحاها ، وكان عنده بالاندلس بعبد مفارقة عبد الرحمن بن أبى يفلوسن ، فنزل موسى بن أبى عنان سبته فاستولى عليها وسلمها لابن الأحمر فدخلت فى طاعته ، ثم تقدم الى فاس فدخلها من يومه واستقر قدمه بها .

واتصل الخبر بالسلطان أبى العباس وهو بتلمسان فجاء مبادرا ونزل بتازا فأقام بها أربعا ثم تقدم الى الموضع المعروف بالركن فانتقض عليه رؤساء جيشه وتسلبوا الى موسى طوائف وأفرادا ولما رأى ما نزل به رجع الى تازا بعد ان انتهب معسكره وأضرمت النار فى خيامه وذلك يوم الاحد الموفى ثلاثين من ربيع الاول سنة ست وثمانين وسبعمائة .

ثم بعث موسى بن أبى عنان من أتاه بالسلطان أبى العباس فى الامان فقدم عليه وقيده وبعث به الى ابن الأحمر فبقى عنده محتاطا عليه الى أن كان من أمره ما نذكره ان شاء الله .

وكانت دولته هذه عشر سنين وشهرين وأربعة وعشرين يوما ، ومن وزرائه فى هذه الدولة : محمد بن عثمان بن الكاس المجذولى ومن كتابه : عبد المهيم بن أبى سعيد بن عبد المهيم الحضرمى تفعمد الله الجميع برحمته .

❦

الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبى فارس موسى

ابن أبى عنان بن أبى الحسن



أمه : مولدة اسمها تاملالت ، صفته : أسمر مائل الى السواد قصير القامة جاحظ العينين عظيم اللحية تملأ صدره قائم الانف واذا تكلم يملأ لسانه فمه فيخرج من بين شفتيه وينحرك فيقبح كلامه ، بويح يوم الخميس الموفى عشرين من شهر ربيع الاول سنة ست وثمانين وسبعمائة وقام بامر دولته وزياره مسعود بن ماسى مستبدا عليه ، ولما استقر أمره بالحضرة وجه اليه ابن الأحمر أمه وعباله وكانوا عنده وهناه وزيره أبو عبد الله بن زمرك بتوشيح يقول فى

مطلعه :

قد نظم الشمل أتم انتظام
وضاحك الروض تغور الغمام
الى أن قال فى آخره :

مولاي يهنيك . وحق الهنا
قد فزت بالفخر ونيل المنى
وقرت العين وزال العناء
ولم يزل ملكك حلف الدوام
يتلو عليك الدهر بعد السلام
قد نظم الشمل كنظم السعود
وأجز السعد جميع الوعود
وكلما مر صنع يعود
يحوز فى النخيل أوفى نصيب
نصر من الله وفتح قريب



خروج الحسن بن الناصر بغمارة ونهوض الوزير ابن ماساى اليه

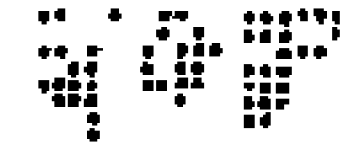


كان الحسن بن الناصر بن أبى على بن أبى سعيد قد لحق من مقره بالاندلس بحضرة تونس فى سبيل طلب الملك ، وكان الوزير مسعود بن ماساى قد قتل محمد بن عثمان بن الكاس وافترقت حاشيته فى الجهات فطلبوا بطن الارض دون ظهرها ، ولحق منهم ابن أخيه العباس بن المقداد بتونس فعر على الحسن بن الناصر بها فتاب له رأى فى الرجوع به الى المغرب لطلب الامر ، فخرج به من تونس وقطع المفاوز الى أن انتهى الى جبال غمارة ونزل على أهل الصفيحة منهم فأكرموا مثواه ومنقلبه وأعلنوا بالقيام بدعوته ، واستوزر للعباس ابن المقداد .

وبلغ الخبر الى مسعود الوزير فجهز العساكر مع أخيه مهدى بن عبد الرحمن بن ماساى فحاصره بجبل الصفيحة أياما فامتنع عليه فنهض اليه مسعود بنفسه على ما تذكره .



وفاة السلطان موسى بن ابي عنان رحمه الله



لما كان من استبداد ابن ماساي على السلطان موسى ما قدمناه استكف من ذلك وداخل بطاته في الفتك به فمما ذلك اليه وحصلت له نفرة من السلطان طلب لاجلها البعد عنه وبادر الى الخروج لدافعة الحسن بن الناصر القائهم بغمارة ، واستخلف على دار الملك أخاه يعيش بن عبد الرحمن بن ماساي ، فلما انتهى الى قصر كتامة بلغه الخبر بوفاة السلطان موسى ، وكانت وفاته في جمدي الآخرة طرقة المرض فهلك ليوم ليلة من مرضه ، وكان الناس يرمون يعيش أخا الوزير بأنه سمه ، فإله ابن خلدون .

وقال ابن القاضي في الجدوة : « توفي السلطان موسى بن أبي عنان مسموما يوم الجمعة الثالث من شهر رمضان سنة ثمان وثمانين وسبعمائة وله احدى وثلاثون سنة فكانت دولته سنتين وأربعة أشهر وولى بعده محمد بن أحمد بن أبي سالم » اهـ

ومن كتابه: أبو الفضل محمد بن محمد بن أبي عمرو التميمي وأبو القاسم محمد بن سودة المري ، ومن قضاته : أبو عبد الله محمد بن محمد المغيلي والله تعالى أعلم .



الخبر عن دولة المنتصر بالله السلطان ابي زيان محمد بن ابي العباس

ابن ابي سالم بن ابي الحسن



أمه: حرة وهي رقية بنت السلطان أبي عنان، صفته: أبيض اللون قائم الاتف أسيل الخدين ، بويع بعد خاله موسى بن أبي عنان يوم الجمعة الثالث من شهر رمضان سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، وسنه يوم بويع خمس سنين

وخلع يوم الجمعة الخامس عشر من شوال من السنة المذكورة وغرب الى الاندلس مع أبيه فكانت دولته ثلاثة وأربعين يوما تحت استبداد الوزير مسعود عفا الله عنه .



الخبر عن دولة السلطان الواثق بالله أبي زيان محمد بن أبي الفضل بن أبي الحسن



أمه : أم ولد اسمها عسيلة ، صفته : أسود اللون عظيم الخلق رطب الوجه طويل القامة والساقين ممتلئ الأنف عظيم الساعدين ، وكان قبل ولايته عند ابن الأحمر بالاندلس في جملة القراية ، ولما استوحش الوزير مسعود من السلطان موسى بن أبي عنان بعث ابنه يحيى الى ابن الأحمر يسأل منه إعادة السلطان أبي العباس الى ملكه فأخرج ابن الأحمر من الاعتقال وجاء به الى جبل الفتح يروم اجازته الى العدو ، فلما توفي السلطان موسى بدا للوزير مسعود في أمره ودس لابن الأحمر في رده وأن يبعث اليه بالواثق هذا ورآه أليق بالاستبداد والحجر فأسعفه ابن الأحمر في ذلك ورد السلطان أحمد الى مكانه بالحمراء وجيء بالواثق فحضر بجبل الفتح عنده فاجازه الى سبتة ، واتفق أن جماعة من الحاشية انتقضوا على الوزير مسعود ولحقوا بسبتة فقدم عليهم الواثق بها ورجعوا به الى المغرب وتقلبوا في نواحيه الى أن وصلوا الى جبل مغيلة قرب فاس ، فبرز الوزير مسعود في العساكر ونزل قبالتهم وقاتلهم هنالك أياما ثم وقع الاتفاق على أن يبايع مسعود للواثق بشرط الاستبداد فتم العقد على ذلك .

قال في «الجدوة» : بويح السلطان الواثق بالله أبو زيان محمد بن أبي الفضل يوم الجمعة الخامس عشر من شوال سنة ثمان وثمانين وسبعمائة وقام بأمره الوزير مسعود بن ماساي ، ثم حدثت الفتنة بين الوزير المذكور وابن الأحمر بسبب أن الوزير طلب منه إعادة سبتة الى الايالة المرينية وكان موسى بن أبي

عنان قد نزل له عنها كما مر وكان طلبه على سبيل الملاطفة فاستشاط ابن الأحمر غضبا وأساء الرد فجهز ابن ماساي العساكر لحصار سبتة مع العباس بن عمر ابن عثمان الوسناني ويحيى بن علال بن أمصمود والرئيس محمد بن أحمد الابكم من بني الأحمر فاستولى عليها ، ثم سرح ابن الأحمر السلطان أبي العباس من اعتقاله وبعثه الى المغرب لطلب ملكه وللتشغيب على ابن ماساي الجاحد لاحسانه ، فعبر السلطان أبو العباس البحر الى المغرب فاحتل سبتة واستولى عليها ، ثم تقدم الى فاس فحاصرها وضيق على ابن ماساي وسلطانه الواصل بالله ، وأهرع الناس الى الدخول في طاعته حتى من مراکش ، فاستمر الحصار على فاس الجديد ثلاثة أشهر ، ثم أذن الوزير مسعود للطاعة على شرط أن يبقى وزيرا ويغرب سلطانه الى الاندلس فاجيب وخلع الواصل بالله ، ثم خرج الى السلطان أبي العباس فإيعه وتقدم أمامه فدخل دار ملكه يوم الخميس خامس رمضان سنة تسع وثمانين وسبعمائة ، ولحين دخوله قبض على الواصل بالله فقيده وبعث به الى طنجة فقتل بها بعد ذلك وسنه يوم قتل ثمان وثلاثون سنة وبها قبر .

ومن وزرائه : يعيش بن علي بن فارس اليباني ومسعود بن رحو بن ماساي ، ومن كتابه : منصور بن أحمد بن محمد التميمي ، وأبو يحيى محمد ابن محمد بن أبي القاسم بن أبي مدين ، ومن قضاته : أبو يحيى محمد بن محمد السكاك رحمهم الله تعالى بمنه .



الخبر عن الدولة الثانية للسلطان أبي العباس بن أبي سالم بن أبي الحسن



لما دخل السلطان أبو العباس حضرة فاس الجديد في التاريخ المتقدم ببيع البيعة العامة في اليوم الثالث من دخوله وهو يوم السبت السابع من رمضان سنة تسع وثمانين وسبعمائة لمضي ثلاث سنين وخمسة أشهر وستة أيام من

خلعه .

ولما ملك أمر نفسه قبض على الوزير ابن ماساي وعلى اخوته وحاشيته
وامنعهم امتحانا بليغا فهلكوا من العذاب ، ثم سلط على مسعود من العذاب
والانتقام ما لا يعبر عنه واعتد عليه بما كان يفعله في دور بني مرين النازعين
عنه اليه ، فانه كان متى هرب منهم أحد عمد الى بيوته فنهبا فامر السلطان
أبو العباس بعقابه في اطلالها فكان يؤتى به الى كل بيت منها فيضرب عشرين
سوطا الى أن يرح به العذاب وتجاوز الحد ، ثم أمر به فقطعت أربعته فهلك
عند قطع الثانية وذهب مثلا للآخرين .



ظهور محمد بن عبد الحليم بن ابي علي بسجلماسة ثم اضمحلالة بعد ذلك



قد قدما أن الامير عبد الحليم بن أبي سعيد كان تغلب على سجلماسة
ثم غلبه عليها أخوه عبد المؤمن ، وسافر عبد الحليم الى المشرق فهلك في سفرته
تلك ، وكان قد ترك ابنه محمدا هذا رضيعا فشب متقلبا بين الدول من ملك الى
آخر على أن أكثر مقامه انما كان عند أبي حمو صاحب تلمسان ، ولما حاصر
السلطان أبو العباس فاس الجديد كان محمد هذا عند العرب الاحلاف ،
فلما اشتد الحصار على مسعود بن ماساي دس الى الاحلاف أن ينصوا محمد
ابن عبد الحليم للامر ويجلبوا به على المغرب ليأخذ بحجزة السلطان أبي العباس
عنه ففعلوا ودخل محمد بن عبد الحليم سجلماسة فملكها حتى اذا استولى السلطان
أبو العباس على فاس الجديد وأوقع بمسعود بن ماساي واخوته خرج محمد بن عبد
الحليم عن سجلماسة ولحق باحياء العرب فسارت طائفة منهم معه الى أن أبلغوه
مأمنه ونزل على أبي حمو بتلمسان الى أن هلك فسار الى تونس ونزل على
صاحبها أبي العباس الحفصي ، ثم ارتحل بعد وفاته الى المشرق لحج القرية
والله تعالى أعلم .

نكبة الكاتب ابن أبي عمرو وحرركات بن حسون ومقتلهما



كان محمد بن محمد بن أبي عمرو التميمي ، وقد تقدم ذكر والده ، في دولة السلطان أبي عنان كاتباً عند السلطان أبي العباس في دولته الأولى ، فلما خلع وولى موسى بن أبي عنان تقرب اليه بسالف المخالصة لآبيه من أبي عنان فقد كان أعز بطاقته كما مر ، فاستخلصه السلطان موسى للشورى ورفع منزلته على منازل أهل الدولة وجعل اليه كتابة علامته على المراسم السلطانية كما كان لآبيه ، وكان يفاوضه في مهماته ويرجع اليه في أموره حتى غص به أهل الدولة وسعى هو عند السلطان موسى في جماعة من بطانة السلطان أبي العباس فاتى عليهم النكال والقتل لكلمات كانت تجرى بينهم وبينه في مجالس المنادمة عند السلطان أبي العباس حقدوا عليهم ، فلما ظفر بالخط من السلطان موسى سعى بهم عنده فقتلهم ، وكان القاضي أبو اسحق ابراهيم الزيناسني من بطانة السلطان أبي العباس وكان يحضر مع ندمائه فحقد عليه ابن أبي عمرو وأغرى به السلطان موسى فضربه وأطافه ، وجاء بها شعاء غريبة في القبح ، ثم سفر ابن أبي عمرو عن سلطانه موسى الى الاندلس فكان يمر بمجلس السلطان أبي العباس من محل اعتقاله فلا يلم به وربما يلقاه فلا يحييه ولا يوجب له حقاً ، فأحفظ ذلك السلطان أبا العباس فلما رد الله عليه ملكه وفرغ من ابن ماساي قبض على ابن أبي عمرو هذا وأودعه السجن ثم امتحنه بعد ذلك الى أن هلك تحت الساط وحمل الى داره ، وبينما أهله يحضرونه الى قبره اذا بالسلطان قد أمر بان يسحب في نواحي المدينة ابلاغاً في النكال فحمل من نعشه وقد ربط في رجله حبل وسحب في سكك المدينة ثم ألقى على بعض المزابل .

ثم قبض السلطان على حرركات بن حسون شيخ العرب وكان مجلباً في الفتنة ، وكان العرب المخالفون من معقل لا أجاز السلطان أبو العباس الى سبته

وحركات هذا بتادلاء راودوه على طاعة السلطان فامتنع أولا ثم أكرهوه وجاءوا به الى السلطان فطوى على ذلك حتى اذا استقام أمره وملك حضرة فاس الجديد قبض عليه وامسح به الى أن هلك . والى الله عاقبة الامور .



اخبار تلمسان واستيلاء السلطان ابي العباس عليها



كان السلطان أبو حمو بن يوسف الزياني قد عاد الى تلمسان وثبت قدمه بها كما قلنا الى أن خرج عليه ابنه أبو تاشفين آخر سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ف وقعت بينهما حروب وشرق أبوه بدائه ، ثم عادت له الكرة عليه في أخبار طويلة ، فاستمد أبو تاشفين السلطان أبا العباس فامده بابنه الامير أبي فارس ووزير محمد بن يوسف بن علال عقد لهما على جيش كثيف من بنى مرين وغيرهم ، فانتصر أبو تاشفين على أبيه فقتله وبعث برأسه الى السلطان أبي العباس ، ثم تقدم فدخل تلمسان آخر سنة احدى وتسعين وسبعمائة واستمر بها مقيما لدعوة السلطان أبي العباس فكان يخطب له على منابر تلمسان ويبعث اليه بالضريبة كل سنة كما شرط على نفسه عند توجيه العساكر معه واستمر على ذلك الى أن مات سنة خمس وتسعين وسبعمائة (*) ، فتغلب على تلمسان أخوه الامير يوسف بن أبي حمو .

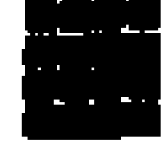
ولما اتصل الخبر بالسلطان أبي العباس خرج من الحضرة الى تازا ومن

(*) وكان نازعه اخوه ابو زيان بن ابي حمو صاحب الجزائر وزحف اليه مرارا فلم يغن شيئا ثم وفد على السلطان ابي العباس متطارحا عيله على الانتصاف من اخيه فاقام عندها مدة ثم اسعجه وجهازه عسكرا الى تلمسان منتصف سنة ٧٩٥ فانهى الى تازا وهناك اتصل به خبر وفاة ابي تاشفين وحينئذ خرج السلطان ابو العباس من فاس انظر « كشف العرين » للمؤلف

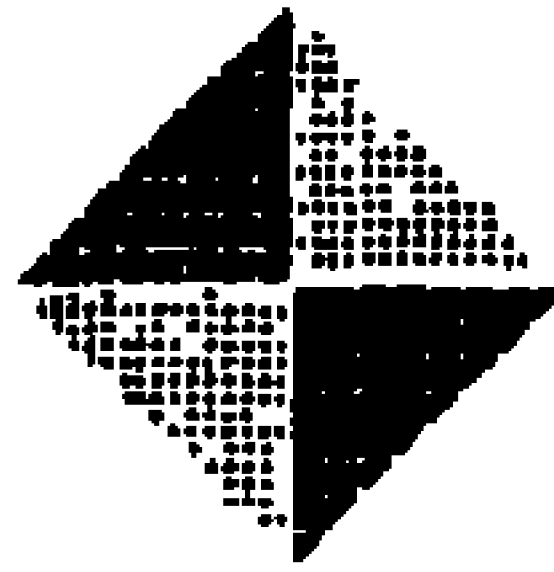
هنا لك بعث ابنه الامير أبا فارس في العساكر الى تلمسان فاستولى عليها وأقام فيها دعوة والذة وفر يوسف بن أبي حمو الى بعض الحصون فاعتصم به الى أن كان ما نذكره .



وصول هدية صاحب مصر السلطان الظاهر برقوق الى السلطان أبي العباس بتازا والسبب في ذلك



كان العلامة الرئيس ولي الدين ابن خلدون قد استوطن في آخر عمره مصر القاهرة ونزل من سلطاتها بالمنزلة الرفيعة قال رحمه الله : « وكان يوسف ابن علي بن غانم أمير أولاد حسين من معقل ثم من أولاد جرار منهم قد حج سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة ، واتصل بصاحب مصر الملك الظاهر برقوق أول ملوك الجراكسة من الترك قال : فتقدمت الى السلطان المذكور فيه وأخبرته بمحله من قومه فاكرم تلقيه وحمله بعد قضاء حجه هدية الى صاحب المغرب يطره فيها بتحف من بضائع بلده على عادة الملوك ، فلما قدم يوسف بها على السلطان أبي العباس أعظم موقعها وجلس في مجلس حفل لعرضها والمباهاة بها وشرع في المكافأة عليها بمتخير الجياد والبضائع والثياب حتى اذا استكمل من ذلك ما رضى وعزم على بعثها مع يوسف بن علي حاملها الاول وانه يبعث بها من موضع مقامه بتازا اخترمه المنية دون ذلك .



وفاة السلطان أبي العباس بن أبي سالم رحمه الله



كانت وفاة السلطان أبي العباس بسجل مقامه من تازا وهو يشارف أحوال ابنه أبي فارس ووزيره صالح بن حمو اليباني وكان قد قدمهما لفتح تلمسان والبلاد الشرقية فصابه حمامه هناك ليلة الخميس السابع من محرم فاتح سنة ست وتسعين وسبعمائة وحمل الى فاس فدفن بالقلة وسنه يومئذ تسع وثلاثون سنة فكانت دولته الثانية ست سنين وأربعة أشهر ، ومن وزرائه في هذه الدولة: صالح بن حمو اليباني ومحمد بن يوسف بن علال الصنهاجي، ومن حجابيه : أبو العباس أحمد بن علي القبائلي، ومن كتابه: الشريف أبو القاسم محمد بن عبد الله الحسيني السبتي، والقائد محمد بن موسى بن محمود الكردي، ويحيى بن الحسن بن أبي دلامة التسولي، ومن قضاته: القاضي أبو اسحق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الزيناسني : قال في «الجدوة» : وكان السلطان أبو العباس شاعرا مقلقا بديع التشبيه فمن نظم فوله :

أما الهوى يا صاحبي فألقته وعهدته من عهد أيام الصبا
ورأيت قوت النفوس وحليها فتخذته دينا الى ومذهبها
وليسيت دون الناس منه حلة كان الوفاء لها طرازا مذهبها
لكن رأيت له الفراق منفصا لا بفراقنا لا مرجبا «

ومن أخبار السلطان أبي العباس ما حكاه في «نفح الطيب» : «أن الاديب الكاتب أبا الحسن علي ابن الوزير لسان الدين ابن الخطيب كان مصاحباً للسلطان أبي العباس هذا ، فحضر معه ذات يوم في بستان سمح فيه ماء المذاكرة الهتان وقد أبدى الاصيل شواهد الاصفرار وأزمع النهار لما قدم الليل على الفرار فقال السلطان أبو العباس لما لان جانبه وسالت بين سرحات البستان جداوله ومذانبه :

يا فاس اني وايم الله ذو شغف بكل ربع به مغناه يسينسي

وقد أنست بقرب منك يا أملى ونظرة فيكم بالانس تحينسى
فأجابه أبو الحسن ابن الخطيب بقوله المصيب :
لا أوحس الله ربعا أنت زائر يا بهجة الملك والدنيا مع الدين
يا أحمد الحمد أبقاك الاله لنا فخر الملوك وسلطان السلاطين»
ومن أخباره أيضا : أن كاتبه أبا زكرياء يحيى بن أحمد بن عبد المنان دخل
عليه عشاء فقال له : «أنعم الله صباح مولانا» فأنكر السلطان ذلك وظن انه ثمل ففتطن
أبو زكرياء لما صدر منه وتدارك ذلك فأنشد مرتجلا (*) :
صبحته عند المساء فقال لى ماذا الكلام وظن ذاك مزاحا
فأجبتة اشراق وجهك غرنى حتى توهمت المساء صباحا

الخبر عن دولة السلطان المستنصر بالله أبي فارس عبد العزيز
ابن أبي العباس بن أبي سالم رحمه الله

من الاتفاق الغريب : أن سلطان فاس والمغرب في هذا التاريخ كان اسمه عبد العزيز بن أحمد ، و سلطان تونس و إفريقية كان اسمه أيضا عبد العزيز ابن أحمد ، وكانت ولايتهما في سنة واحدة الا أن مدة الحفصي طالت جدا .
أم هذا السلطان : أم ولد اسمها جوهر ، صفته : شاب السن ربعة من القوم أدعج العينين جميل الوجه .

لما توفي السلطان أبو العباس بن أبي سالم رحمه الله بتازا كان ابنه أبو فارس هذا يتلمسان فاستدعاه رجال الدولة منها فقدم عليهم بتازا وبايعوه بها يوم السبت التاسع من محرم سنة ست وتسعين وسبعمائة ، ولما تم أمره أطلق أبا زيان بن أبي حمو الزياتي وكان معتقلا عنده بفاس لا لتجأته الى أبيه من قبل في خبر ليس تفصيله من غرضنا ، وبعثه الى تلمسان أميرا عليها من قبله ، فسار اليها أبو زيان وملكها وأقام فيها دعوة السلطان أبي فارس ، ثم خرج عليه أخوه

(☆) انما تمثل بهما

يوسف بن أبي حمو واتصل باحياء بنى عامر بن زغبة وعزم على الاجلاب عليه بهم فسرب أبو زيان فيهم الاموال فقتلوه وبعثوا اليه برأسه فسكنت أحوال تلمسان وذهبت الفتنة بذهاب يوسف واستقامت أمور دولة السلطان أبي فارس قاله ابن خلدون ، وهو آخر ما ورخه من دولة للمغرب .

واعلم أن ما نسوقه بعد هذا من الاخبار عن هذه الدولة المرينية لم يسمح لنا الوقت بالوقوف عليه في تأليف يخصها أو موضوع يقص أخبارها نسقا وينصها ، وإنما تتبعنا ما أثبتناه من ذلك في مواضع ذكرت فيها بحسب التبع لا بالقصد الاول وعلى الله تعالى في الهداية الى الصواب المعول .

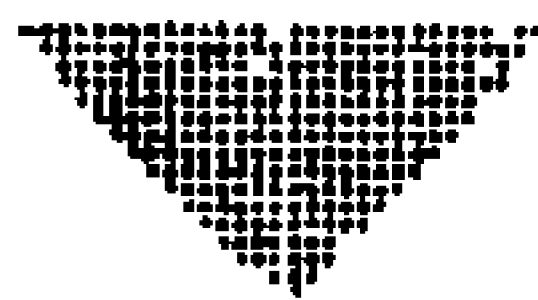


بقية اخبار السلطان عبد العزيز ووفاته



قالوا: كان السلطان عبد العزيز بن أبي العباس رحمه الله كبر الشفقة رقيق القلب منقبضا عن الغدر متوقفا في سفك الدماء وكان فارسا عارفا برخص الخيل ويحسن قرض الشعر ويحب سماعه فمن نظمته ، وقد نزل المطر ، يشكر الله تعالى عليه ، قوله :

الله يلطف بالعباد فواجب أن يشكروا في كل حال نعمته
فهو الذي فيهم ينزل غيثه من بعد ما قنطوا وينشر رحمته
توفي رحمه الله يوم السبت ثامن صفر سنة تسع وتسعين وسبعمائة
ودفن مع أبيه بالقلعة فكانت دولته ثلاث سنين وشهرا ومن وزرائه : صالح بن
حمو الياباني ويحيى بن علال بن أمصمود الهسكوري ومن كتابه : يحيى بن
الحسن بن أبي دلامة ومن قضاته : عبد الحليم بن أبي اسحق الزناسني رحمه الله
تعالى بمنه .



الخبر عن دولة السلطان المستنصر بالله ابي عامر عبد الله ابن ابي العباس بن ابي سالم رحمه الله تعالى



هذا السلطان شقيق الذي قبله ، أمه : الجواهر المتقدمة . صفته : أدعج العينين حسن الانف لامى العذار . بويغ بعد أخيه عبد العزيز يوم السبت الثامن من صفر سنة تسع وتسعين وسبعمائة ، وكان التصرف والنقض والإبرام فى هذه المدة كلها للوزراء وتوفى السلطان المذكور بعد صلاة العصر من يوم الثلاثاء الموفى ثلاثين من جمادى الآخرة سنة ثمانمائة ، فكانت دولته سنة وخمسة أشهر سوى أيام ، ومن وزرائه : صالح بن حمو ويحيى بن علال ، ومن قضاته : عبد الرحيم اليزنابسى ، ومن حجابه : أبو العباس أحمد بن على القبائلى وفارح بن مهدى العليج والله تعالى أعلم .

وأما أخبار الغنى بالله ابن الأحمر بالاندلس فإنه كان أسقط رئاسة الجهاد من بنى مرين بها ومحا رسمها من مملكته أيام أجاز عبد الرحمن بن أبى يفلوسن للتشغيب على أبى بكر بن غازى بن الكاس حسبما تقدم . وصار أمر الغزاة والمجاهدين اليه وباشر أحوالهم بنفسه واستمر الحال على ذلك الى أن هلك سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة ، فولى مكانه ابنه أبو الحجاج يوسف وبايعه الناس وقام بأمره خالد مولى أبيه وتقبض على اخوته : سعد ومحمد ونصر فكان آخر العهد بهم ولم يوقف لهم بعد على خبر ، ثم سعى عنده فى خالد القائم بدولته وأنه أعد السم لقتله وان يحيى بن الصائغ اليهودى طيب دارهم قد داخله فى ذلك ففتك بخالد وتناوشته السيوف بين يديه لسنة أو نحوها من ملكه ، ثم حبس الطبيب المذكور فذبح فى محبسه ، ثم هلك سنة أربع وتسعين وسبعمائة لستين أو نحوها من ولايته .

وقد وقفت لبعض الاصبنيولين ، واسمه : منويل باولو القشتلى ، على كتاب موضوع فى أخبار المغرب الأقصى فنقلت منه بعض أخبار لم أجدها الا عنده

(الاستمما - راجع - 6)

وهو وان كان ينقل الغث والسمين والرخيص والثمين الا أن الناقد البصير يميز حصباءه من دره ويفرق بين حشفه وثمره، فمن ذلك انه حكى عن السلطان أبى الحجاج المذكور ما صورته قال : « كانت مراسلات السلطان المرينى، يعنى السلطان أبا العباس مع السلطان يوسف بن الغنى بالله صاحب غرناطة حسنة في الظاهر تدل على الموافقة والمحبة وكان المرينى فى الباطن يحب الاستيلاء على مملكة غرناطة ولما لم يمكنه ذلك بالسيف عدل الى اعمال الحيلة فاهدى الى السلطان أبى الحجاج كسى رفيعة أحدها مسمومة فلبسها فهلك لحيته ومع ذلك فلم يدرك المرينى غرضه فانه لم يلبث الا يسيرا حتى توفى أيضا « اهـ . ولما توفى أبو الحجاج بويج ابنه محمد بن يوسف وقام بأمره القائد أبو عبد الله محمد الخصاصى من صنائع أبيه، قال ابن خلدون: «والحال على ذلك لهذا العهد» ولندكر ما كان فى هذه المدة من الاحداث :

« توفى سنة خمسين وسبعمائة كان الوباء الذى عم المسكونة شرقا وغربا على ما نبهنا عليه فيما مضى .

وفى سنة خمس وستين وسبعمائة توفى الولى الزاهد أبو العباس أحمد ابن عمر بن محمد بن عاشر الاندلسى نزيل سلا العارف المشهور قال أبو عبد الله بن سعد التلمسانى فى كتابه : «النجم الثاقب فيما لاولياء الله من المناقب» : كان ابن عاشر أحد الاولياء الابدال معدودا فى كبار العلماء مشهورا باجابة الدعاء معروف بالكرامات مقدما فى صدور الزهاد منقطعا عن الدنيا وأهلها ولو كانوا من صالحى العباد ملازما للقبور فى الخلاء المتصل ببحر مدينة سلا منفردا عن الخلق لا يفكر فى أمر الرزق ، وله أخبار جلية وكرامات عجيبة مشهورة ممن جمع الله له العلم والعمل وألقى عليه القبول من الخلق شديد الهيئة عظيم الثوقار كثير الخشية طويل التفكير والاعتبار ، قصده أمير المؤمنين أبو عثمان وأرتحل اليه سنة سبع وخمسين وسبعمائة فوقف ببابه طويلا فلم يأذن له وإنصرف وقد امتلأ قلبه من حبه واجلاله ثم عاود الوقوف ببابه مرارا فما وصل اليه فبعث اليه بعض أولاده بكتاب كتبه اليه يستعطفه لزيارته ورؤيته فأجابه بما قطع رجاءه منه وأيأسه من لقائه فاشتد حزنه وقال : « هذا ولى من

أولياء الله تعالى حجه الله عنا « اه . ومناقب الشيخ ابن عاشر وكراماته كثيرة وقد ألف فيها أبو العباس ابن عاشر الحافى من علماء سلا كتابه المسمى «بتحفة الزائر فى مناقب الشيخ ابن عاشر» فانظره .

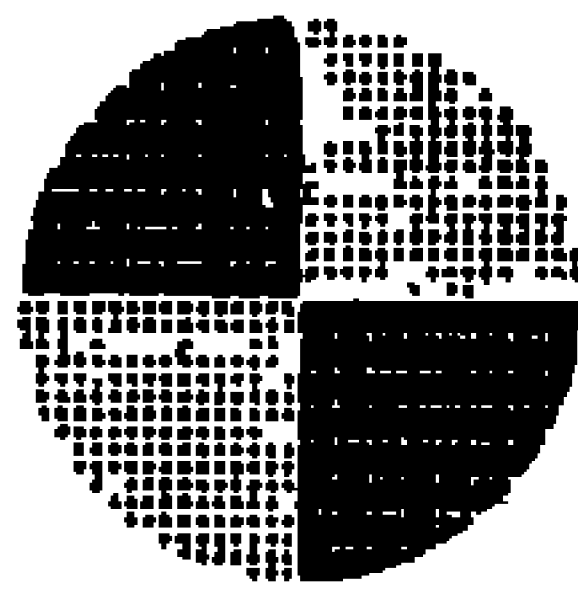
وفى سنة ست وسبعين وسبعمائة وهى السنة التى قتل فيها ابن الخطيب كان الجوع بالمغرب قال أبو العباس ابن الخطيب القسنطينى . المعروف : بابن قنفذ فى كتابه «انس الفقير» ما حاصله : «انه رجع من هجرته بالمغرب الاقصى فى السنة المذكورة الى بلده قسنطينة فاجتاز فى طريقه بتلمسان» قال : وفى هذه السنة كانت المجاعة العظيمة وعم الخراب المغرب فأقامت بتلمسان نحو شهر أنتظر تيسر سلوك الطريق فالتجأت الى قبر الشيخ أبى مدين ودعوت الله عنده فوقع ما أملته وارتحلت بعد أيام يسيرة فرأيت فى الطريق من الخير ما كان يتعجب منه من شاهده ، وكان أمر الطريق فى الخوف والجوع بحيث أن كن من تقدم عليه يتعجب من وصولنا سالمين ، ثم عند ارتحالنا من عنده يتأسف علينا حتى ان منهم من يسمعا ضرب الاكف خلفنا تحسرا علينا حتى انتهى سفرنا على وفق اختيارنا والحمد لله .

وفى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة توفى الشيخ الفقيه المحدث أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عمران الفنزاري السلاوى المعروف بابن المجرباد صاحب «لامية الجمل» «وشرح الدرر» وغيرهما من التأليف الحسان ، قال صاحب «بلغة الامنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبته فى الدولة المرينية ميين مدرس وأستاذ وطبيب» فى حق الشيخ المذكور : «كان محدثا حافظا راوية له معرفة بالرجال والمغازى والسير وكان رجلا صالحا حسن السيرة صادق اللهجة انتفع به الناس وظهرت بركته على كل من عرفه أو لازم مجلسه أو قرأ عليه من صغير أو كبير» قال : « وذلك عندنا معروف . بسبته مشهور بين أهلها وانتقل الى بلده سلا وتوفى بها فى السنة المذكورة » قلت : ويقبره مشهور بها الى الآن وعليه قبة صغيرة وهو من مزارات سلا خارج باب المعلقة منها عن يمين الخارج على نحو غلوة وأهل سلا يسمونه سيدى الامام السلاوى رحمه الله ورضى عنه

وفي سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة توفي الشيخ الامام العارف المحقق الزباني أبو عبد الله محمد بن ابراهيم النفري المعروف بابن عباد شارح (الحكم العطائية) وأحد تلامذة الشيخ ابن عاشر المذكور آنفاً، قال صاحبه وأخوه في الله الشيخ أبو زكرياء السراج في حقه مانصه: «كان حسن السميت طويل الصمت كثير الوقار والحياء جميل اللقاء حسن الخلق والخلق على الهمة متواضعا معظما عند الخاصة والعامة، نشأ ببلدة رندة على أكمل طهارة وعفاف وصيانة وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، ثم اشتغل بعد بطلب العلوم النحوية والادبية والاصولية والفروعية حتى رأس فيها وحصل معانيها، ثم أخذ في طريق الصوفية والمباحثة عن الاسرار الالهية حتى أشير اليه وتكلم في علوم الاحوال والمقامات والعلل والآفات وألف فيها تأليف عجيبة وتصانيف بديعة غريبة، وله أجوبة كثيرة في مسائل العلوم نحو مجلدين، ودرس كتباً وحفظها كلها أو جلها» الى أن قال: «ولقي بسلا الشيخ الحاج الصالح السني الزاهد الورع أحمد بن عاشر وأقام معه ومع أصحابه سنين عديدة قال رحمه الله: «قصدهم لوجدان السلامة معهم»، وتوفي رحمه الله بفاس بعد صلاة العصر من يوم الجمعة ثالث رجب من السنة المذكورة وحضر جنازته السلطان أبو العباس بن أبي سالم فمن دونه وهمت العامة بكسر نعشه تبركا به رحمه الله ورضي عنه.

-- ومن فوائده التي نقلها عن شيخه ابن عاشر ما ذكره في رسائله قال: «كنت قد ما خرجت في يوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم صائما الى ساحل البحر فوجدت هنالك سيدي الحاج أحمد بن عاشر رحمه الله ورضي عنه وجماعة من أصحابه ومعهم طعام يأكلونه فأرادوا مني الاكل فقلت: اني صائم فنظر الى سيدي الحاج نظرة منكرة وقال لي: «هذا يوم فرح وسرور يسقط في مثله الصوم كالعيد» فتأملت قوله فوجدته حقا وكأنه أيقظني من النوم» اهـ واعلم انه في آخر هذا القرن الثامن تبدلت أحوال المغرب بل وأحوال المشرق ونسخ الكثير من عوائد الناس ومألوفاتهم وأزيائهم. قال ابن خلدون في مقدمة تاريخه بعد أن ذكر أن الاحوال العامة للآفاق والاجيال والاعصار هي أس المؤرخ الذي تبني عليه أكثر مقاصده ما نصه: «وأما لهذا العهد وهو

آخر المائة الثامنة فقد انقلبت أحوال المغرب الذي نجح شاهدوه وتبدلت
 بالجملة ، واعتاض من أجيال البربر أهله على القدم بمن طرأ فيه من لدن
 المائة الخامسة من أجيال العرب بما كثروهم وغلبوهم وانتزعوا منهم عامة
 الاوطان، وشاركوهم فيما بقى من البلدان بملكهم وبأسهم ، هذا الى ما نزل
 بالعمران شرقا وغربا فى منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذى
 تحيف الامم وذهب باهل الجيل وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها ،
 وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها فقلص من ظلالها وقنل
 من حدها وأوهن من سلطانها وتداعت الى التلاشي والاضمحلال أحوالها ،
 وانتقص عمران الأرض بانتقاص البشر فخربت الامصار والمصانع ، ودرست
 السبل والمعالم ، وخلت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل وتبدل الساكن
 وكأنى بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب لكن على نسبة ومقدار عقرانه ،
 وكأنما نادى لسان الكون فى العالم بالخمول والانقباض فبادر بالاجابة والله
 وارث الارض ومن عليها ، واذا تبدلت الاحوال جملة فكأنما تبدل الخلق من
 أصله ونحول العالم بأسره وكأنه خلق جديد وتشاء مستأنفة وعالم محدث ،
 الى آخر كلامه رحمه الله، فافهم هذه الجملة وتفطن لاحوال الدول التى سردنا
 أخبارها فيما مضى وأحوال التى نسرد أخبارها فيما بعد وتأمل الفرق بين ذلك
 والسبب فيه والله تعالى الموفق للصواب بمنه .



الخبر عن دولة السلطان ابي سعيد عثمان بن ابي العباس

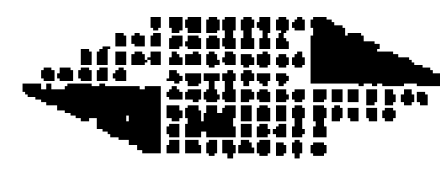
ابن ابي سالم



هذا السلطان هو ثالث الاخوة الاشقاء من بنى ابي العباس الذين ولوا الامر من بعدهم ولاء. أمه: الجوهرة أم أخويه قبله. بويغ بعد صلاة العصر له من يوم الثلاثاء الموفى ثلاثين من جمادى الآخرة سنة ثمانمائة وسنة يومئذ ست عشرة سنة وكان النقض والابرار وسائر التصرفات في دولته للوزراء والحجباب والسلطان متفرغ لاستيفاء لذاته ، ومن أكبر حجابه : أبو العباس القبائلي الذي نذكر خبره الآن .



حجابه ابي العباس القبائلي ونكبته ومفتله والسبب في ذلك (*)



بيت بنى القبائلي بيت مشهور في الوزارة والحجابه والكتابة من لدن الدولة الموحدية بمراكش الى هذا التاريخ ، وكان الرئيس الفقيه أبو العباس أحمد بن علي القبائلي كاتباً مشهوراً وحاجباً مذكوراً وكان قد بذل الاقران وتصدر على الاعيان وبلغ من الجاه ونفوذ الكلمة مبلغاً عظيماً ، وكان يحابي بالخطط السلطانية الاقارب والارحام لا يعدل بها عن سواهم فاضطغت عليه القلوب وكثرت فيه السعايات الى أن نفذ أمر الله فأوقع به السلطان أبو سعيد وقعة شنعاء كان من خبرها: انه كان للحاجب المذكور ولد اسمه عبد الرحمن وكان من فضلاء وقته ، وكان لعبد الرحمن هذا ولد اسمه علي وكان من نجباء الابناء فكان لجدّه ابي العباس لذلك ميل اليه ومحبة وافقتان به ، فاتفق أن

(*) انظر ترجمة القبائلي هذا في «الضوء اللامع» للسخاوي ولا بد، بقدا فادج ١ صفحة ٤٧

مرض هذا الحافد ذات يوم فنزل جده أبو العباس من الحضرة بفاس الجديد لعيادته بدار ولده عبد الرحمن من عدوة القرويين من فاس القديم وكانت الدار بزقة الجيلة من الطالعة فبات الشيخ عند حافده تلك الليلة ، وكان منذ ولي خطة الحجابة لم يغب عن دار الملك ليلة واحدة بل كان يأخذ في ذلك بالحزم بحيث يسد أبواب الحضرة ويفتحها ويأشتر سائر الامور السلطانية بنفسه ، فلما أراد الله انفاذ قدره غطى على عقله وبصره فتساهل في تلك الليلة وبعث ولده أبا القاسم ليقوم مقامه في غلق الابواب وفتحها مع صاحب السقيف ومساهمه في القيام بالامور السلطانية أبي محمد عبد الله الطريفي الا تسي ذكره فغلقا الابواب على العادة ، ولما كان الصباح من الغد تقدم الولد أبو القاسم لآخذ المفاتيح من دار الخلافة فأخرجت اليه وتولى فتح الابواب وحده دون أن يحضر الطريفي المشارك له في ولاية السقيف ، فلما جاء أبو محمد المذكور ورأى الابواب مفتحة بدون حضوره أخذه من ذلك ما قدم وما حدث وأسرها في نفسه حتى اذا كان المساء وحضر الوقت المعهود لغلق الابواب طلع للحضرة ولد آخر من ولد الحاجب القبائلي يعرف بأبي سعيد فآذره أبو محمد فسد الابواب في وجهه قبل أن يصل اليه وأمسك المفاتيح عنه واستبد بها فطلب منه أبو سعيد أن يفتح له الباب فتجهمه وامتنع وكأنه أمر دبر بليل ، ثم تقدم القائد أبو محمد المذكور الى السلطان أبي سعيد فاعلمه بما اتفق له مع اولاد الحاجب فأوعز اليه السلطان أن لا يفتح الباب بعد غلقه الا وقت فتحه المعتاد وزاد في الوصية بان لا يفتح ولا يغلق الا بمحضر السعيد ابن السلطان أبي عامر رحمه الله . ولما رجع أبو سعيد الى والده بعدوة القرويين من فاس أعلمه بما اتفق له مع القائد الطريفي فامتلاء غيظا وقامت قيامته وكانت فيه دالة على السلطان فتخلف عن الحضور ولم يذكر ما قالته الحكماء : (اذا عادت من يملكك فلا تلمه انه يهلكك) ، ثم استعطفه السلطان فأبى أن يعطف ثم بعث اليه براءة بخطه ليزيل ما صدره من الموجدة فكتب الحاجب جوابها ، وأقسم أن لا يطأ بساطا فيه فارح بن مهدي العليج وكان فارح هذا بعين التجلة من السلطان فلما وقف السلطان أبو سعيد على جواب الحاجب حمى أنفه وأظلمت الدنيا

فى عينيه وأمر بالايقاع بالحاجب فى الحين فذبح هو وولده عبد الرحمن يوم
الخميس الموفى ثلاثين من شوال سنة اثنتين وثمانمائة ، وكان عبد الرحمن
هذا فاضلا شاعرا فمن شعره فى الغزل قوله :

أتسمع فى الهوى قول اللواحى	وقد أبصرت خشف بنى رياح
نزال خلف الصب المعنى	من الوجد المبرح غير صاح
وقد قتلت ولا اثم عليها	مراض جفوته كل الصحاح
يقول ولحظه بالعقل يزرى	على م تطيل وصفى وامتداحى
فقلت فنون سحر فيك راقست	قضت للقلب بالعشق الصراح
جبينك والمقلد والثايبا	صباح فى صباح فى صباح

وبقى الحافد أبو الحسن على بن عبد الرحمن المذكور مرتبا فى جملة
الكتاب وكان فاضلا شاعرا أيضا ولما مرض السلطان أبو سعيد فى شعبان سنة
سبع وثمانمائة وصح من مرضه وهنأته الشعراء بقصائد كثيرة فكان من جملتهم
أبو الحسن المذكور فقال :

هنيئا لنا ولكل الانام	براحة فخر الملوك الهمام
امام أقام رسوم العـ	وحل من المجد أعلى السنام
به قرت العين لما بدا	صحيحا وما ان به من سقام
وهل هو الا كبر الدجا	يوارى قليلا وراء الغمام
ويظهر طورا فيجلو به	عن الناس يا صاح ساجى الظلام
أو الليث يعكف فى غيله	فتحذر منه السباع اهتجام
أمولاي عثمان بحر الندى	ومردى العداة ونجل الكرام
لقد رفع الله مقداركم	فنفسى الفداء لكم من امام
أمولاي عبدك قد ضره	أقول رضاكم وبعد المرام
وأضحى كئيبا لابعادكم	مشوقا لتقيل ذاك المقام
فكن راحما يا امام الورى	عطوفا بمملوكك المستهام
لعل الذى ناله ينقضى	وتشمل منك هبات جسام
فأيذك الله بالنصر ما	ترنم فوق الغصون حمام

حجابه فارح بن مهدي وأوليته وسيرته



قال ابن خلدون : « فارح بن مهدي من معلوجي السلطان يعني أبا العباس وأصله من موالى بنى زيان ملوك تلمسان » اهـ. وقال في «الجدوة» : «هو من موالى السلطان أبى سعيد بن أبى العباس» . ولا منافاة بين الكلامين والله أعلم . ولما قتل أبو العباس القبائلى ولّى الحجابة من بعده فارح بن مهدي هذا . قال في «الجدوة» : ولم يكن من أهل العلم لكنه كان شيخا مجربا للامور عارفا مجيدا فى التدبير قد أعطى الرياسة حقها والخطط مستحقها وكان ممسكا عنانه فلا يميل مع نفسه ولا يسحب أردانه ولا يوحش سلطانه موسوما عند الخلافة بالأمانة ملحوظا لديها بعين المروءة والصيانة . وكان السلطان أبو سعيد يعتنى به لاجل كبر سنه وتربيته الحرة : آمنة بنت السلطان أبى العباس (*) كانت تبدى له وجهها فى حالى صغرها وكبرها فكانت له بذلك مزية لم تكن لغيره . بهذا ذكره التاورتى ولعل فيه تعريضا بالحاجب قبله . ولما تكلم أبو عبد الله محمد العربى الفاسى فى كتابه : «مرآة المحاسن» على مدينة تيجساس وصفها بقوله : «انها فى شرقى تطاوين على مسيرة يوم منها فى موضع كثير الحجارة والصخر فى سفح جبل من غربيها وتحتها من شمالها جرف كثير الصخر عظيمه على مكسر موج البحر ولها نهر نفاع يجلب اليها منه جدول ولها بسيط تركبه الجداول من كل جهة فتسقى الزرع والكتان والثمار فأهلها فى أمن من القحط » الى أن قال : «ولم تزل عامرة الى حدود ثمانمائة فجلا عنها أهلها بسبب جور فارح بن مهدي انوالى عليها من قبل بنى مرين فخلت من سكانها وانتقلوا الى القبائل وغيرها ولم يزل سورها مائلا الى الآن » اهـ : قلت : وفى هذه المدة خربت تطاوين القديمة أيضا فزعم منويل فى تاريخه : أن قراصين المسلمين من أهل تطاوين وغيرهم كانت تغير على سواحل اصبايا وتغنم مراكبها ولما كانت سنة ألف وأربعمائة مسيحية الموافقة لسنة ثلاث وثمانمائة هجرية بعث الطاغية الريكى الثالث شكواذرة لغزو تطاوين ومراكبها فانتهدت الى وادى مرتيل وأفسدت قراصين

(*) آمنة المريمية التى ينسب اليها البستان (للمؤلف)

المسلمين التي به ثم نزلت عساكر الاصبينول للبر فافتحمت مدينة تطاوين بعد أن جلا أهلها عنها وخربتها وعانت فيها وبقيت خربة نحو تسعين سنة ثم جدد بناؤها على يد الرئيس أبي الحسن على المنظري الغرناطي كما سيأتي . وكانت وفاة فارح بن مهدي في الثاني والعشرين من ربيع الاول سنة ست وثمانمائة والله تعالى أعلم .



حجاجة أبي محمد الطريفي وسيرته



لما توفي الحاجب فارح بن مهدي ولي الحجاجة من بعده أبو محمد عبد الله الطريفي وكان من فضاء الحجاب وهو الذي بنى مسجد السوق الكبير بفاس الجديد وحبس عليه كذا كثيرة فكان ذلك من حسناته الباقية نفعه الله بقصده .



حدوث الفتنة بين السلطان أبي سعيد والسلطان أبي فارس الحفصي والسبب في ذلك



لما توفي السلطان أبو العباس الحفصي صاحب تونس ولي الامر من بعده ابنه أبو ورس المذكور فوزع الوظائف من الامارة والوزارة وولاية الاعمال على اخوته فاعتضد بهم ، وكان من جملتهم أخوه أبو بكر بن أبي العباس بقسنطينة فنازعه بها ابن عمه الامير أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء الحفصي صاحب بونة وألح عليه في الحصار فصمد اليه السلطان أبو فارس الحفصي وأوقع به على سيوس وقعة شنعاء انتهت به هزيمتها الى فاس مستصرخا صاحبها ، وهو يومئذ أبو فارس المريني ، فأقام أبو عبد الله بفاس الى سنة عشر وثمانمائة في دولة السلطان أبي

سعيد فاتفق أن فسد ما بين السلطان أبي فارس الجفصي وبين اعراب افريقية من سليم فقدمت طائفة منهم حضرة فاس مستجدين السلطان أبا سعيد على صاحبهم أبي فارس فألفوا عنده الامير أبا عبد الله المنهزم بسيوس كما مر، فعقد له السلطان أبو سعيد على جيش من بنى مرين وغيرهم وبعنه مع العرب فلما انتهى الى بجاية تلقنه اعراب افريقية طائفة وهون عليه المرباط شيخ حكيم منها أمر تونس فرد الجيش المريني وقصدها بمن انضم اليه من الحشود فأخذ بجاية من أبي يحيى وفر في البحر، وعقد أبو عبد الله عليها لابنه المنصور ثم زحف الى السلطان أبي فارس فخالفه الى بجاية فافتكها من يد ابنه المنصور ووجه به مع جماعة من كبار أهلها معتقلين الى الحضرة، وعقد عليها ل احمد ابن أخيه ونهض لقتال ابن عمه أبي عبد الله المذكور فنزع المرباط عنه الى السلطان أبي فارس لعهد كان بينهما، فانفض جمع أبي عبد الله وقتل واحتز رأسه ووجهه السلطان أبو فارس مع من علقه باباب المحروق احد ابواب فاس اغاظة للسلطان أبي سعيد وذلك سنة اثنى عشرة وثمانمائة . ثم تحرك السلطان أبو فارس الى جهة المغرب قاصدا أخذ الثار من السلطان أبي (*) سعيد فاستولى على تلمسان ثم قصد حضرة فاس فلما شارفها جنح السلطان أبو سعيد الى السلم فوجه اليه بهدايا جليلة فقبل ذلك أبو فارس وكافاً عليه وانكفاً راجعا الى خضرته، ولحقته في طريقه بيعة أهل فاس وانتظم له ملك المغرب وبايعه صاحب الاندلس أيضا قاله صاحب « الخلاصة النقية » وهو الاديب أبو عبد الله محمد الباجي أحد كتاب الدولة التركية بتونس .



(*) كان زحف أبي فارس الى المغرب سنة ٨٢٧ كما عند الزركشى صبعة ١١٠ وهلك أبو سعيد سنة ٨٢٣ وعليه فاز السلطان المريني الماخوذ منه الثار هو احد الملوك الذين تعاقبوا على مملكة المغرب قبل السلطان عبد الحق كما يعلم تحقيق ذلك في تاليفنا الموضوع في تاريخ المغرب فراجعته تستفد والله اعلم للمؤلف

استيلاء البرتقال على مدينة سبتة أعادها الله



كان جنس البرتقال وهو البردقيز في هذه السنين قد كثر بعد القلة واعتز بعد الذلة وظهر بعد الخمول وانتعش بعد الذبول فانتشر في الاقطار وسما الى تملك الامصار فانتهى الى أطراف السودان بل وأطراف الصين على ما قيل ، وألح على سواحل المغرب الأقصى فاستولى في سنة ثمان عشرة وثمانمائة على مدينة سبتة أعادها الله بعد محاصرته لها حصارا طويلا ، وسلطان المغرب يومئذ أبو سعيد بن أحمد صاحب الترجمة ، وسلطان البرتقال يومئذ خوان الاول

وذكر منويل في تاريخه : أن سلطان المغرب يومئذ عبد الله بن أحمد أخو أبي سعيد المذكور وسيأتي كلامه بتمامه .

وذكر صاحب «نشر المثنى» : في كيفية استيلاء البرتقال على سبتة قصة تشبه قصة قصير مع الزباء قال : « رأيت بخط من يظن به التثبت والصدق أن النصارى جاءوا بصناديق مقفلة يوهمون أن بها سلعا وأنزلوها بالمرسى كعادة المعاهد من وذلك صبيحة يوم الجمعة من بعض شهور سنة ثمان عشرة وثمانمائة وكانت تلك الصناديق مملوءة رجالا عددهم أربعة آلاف من الشباب المقاتلة فخرجوا على حين غفلة من المسلمين واستولوا على البلد وجاء أهله الى سلطان فاس مستصرخين له ، وعليهم المسوح والشعر والوبر والنعال السود رجالا ونساء وولدانا فانزلهم بملاح المسلمين ثم ردهم الى الفحص قرب بلادهم لعجزه عن نصرتهم حتى تفرقوا في البلادوا الامر لله وحده » قال : « وسمعت من بعضهم أن الذي جرأ النصارى على ارتكاب تلك المكيدة هو أنهم كانوا قد قاطعوا أمير سبتة على أن يفوض اليهم انصرفت في المرسى والاستبداد بغلتها ويذلوا له خراجا معلوما في كل سنة فكان حكم المرسى حينئذ لهم دون المسلمين ولو كان المسلمون هم الذين يلون حكم المرسى ما تركوهم ينزلون ذلك العدد من الصناديق مقفلة لا يعلمون ما فيها والله أعلم بحقيقة الامر » .

ولما استولى البرتقال على سبتة اعتنى بها وحصنها واستمرت فى ملكتهم مدة تزيد على مائتين وخمسين سنة تم ملكها منهم طاغية الاصبنيول فى سبيل مهادنة وشروط انعقدت بينهم بمدينة أشبونة فى حدود الثمانين وألف ، وأخبار السلطان أبى سعيد كثيرة ، وقد أرخ دولته وسيرته الكاتب أبو اسحق ابراهيم بن أحمد التاورتى رحمه الله . وتوفى السلطان المذكور سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ، وولى الامر من بعده ابنه عبد الحق الاخير ، كذا ذكره فى « جذوة الاقباس » . وقد ذكر منويل فى أمر أبى سعيد ووفاته ما يخالف هذا ، قال : « لما كانت دولة السلطان أبى سعيد المرينى كان المسلمون أهل جبل طارق قد سئموا ملكة ابن الاحمر صاحب غرناطة وتحققوا بان المرينى أقوى منه شوكة وأقدر على تخليصهم مما عسى أن يالهم به الاصبنيول من حصار ونحوه ، فبعثوا اليه يخطبون ولايته ويعرضون عليه الدخول فى طاعته ان هو أمدهم بما يدفعون به فى نحر ابن الاحمر فأعجب أبا سعيد ذلك وللحين بعث اليهم أخاه عبد الله بن أحمد المعروف بسيدى عبو ومعه طائفة من الجيش امدادا لهم وكان قصد أبى سعيد بعث أخيه عبد الله للحصول على احدى الفائدتين : اما فتح جبل طارق ان كان الظهور له ، أو الاستراحة منه ان كان عليه ، لانه كان يشوش عليه فجاء الاخ المذكور حتى نزل بازاء جبل طارق ففتح أهل البلد الباب وأدخلوه وأدخلوا جنده ، وتحصن قائد الغرناطى وعسكره بقلعة الجبل وطير الاعلام بذلك الى صاحبه ، فبعث اليه جيشا قويت به نفسه فنزل من القلعة وانضم اليه مدده وقاتلوا جيش المرينى فهزموه ، وقبضوا على عبد الله باليد وعلى جماعة من أصحابه وبعثوا بهم أسرى الى صاحب غرناطة ، فعمد صاحب غرناطة الى عبد الله وأنزله فى محل معتبر وأحسن اليه ، فتخلف ظن السلطان أبى سعيد فيما كان يحب لآخيه من التلق وغازله فعل ابن الاحمر معه من الاحسان والابقاء عليه ، ثم ان أبا سعيد دبر حيلة بان بعث من قبله رجلا الى أخيه ليسقيه السم ويستريح منه ، مع أن غوغاء أهل المغرب وقبائله المنحرفة عن السلطان كانوا قد تشوفوا لقدمه عليهم وقيامهم معه ، فبطلت حيلة أبى سعيد فى السم ولم يحصل

على طائل . ثم ان ابن الاحمر اتفق مع عبد الله على أن يمدّه بالعسكر والمال ويسرحه الى المغرب ليسنولى على ملكه ويأخذ له بالثار من أخيه ، فقبل عبد الله ذلك وأمدّه ابن الاحمر وسرحه الى المغرب ، فلما احل به تبعه عدد وافر من قبائله الذين كانوا مستقلين لوطأة أبى سعيد ، فهض اليه أبو سعيد فكانت الكرة عليه ورجع مفلولا فى سير من الجند الى فاس فتقبض عليه أهلها وسجنوه وأعلنوا بنصر أخيه عبد الله ، وفتحوا الباب فدخل الحضرة واستولى عليها وتم أمره ، وسجن أخاه أبا سعيد الى أن مات . قال : « ولما استقل عبد الله بأمر المغرب كله هدأت الرعية واستقامت الاحوال ، الا أنه تكدر عيشه بذهاب سبته التى استولى عليها طاغية البرتقال خوان الاول بعد ما حاصرها أشد الحصار ، وكان ذلك على السلطان من أعظم النحوس ، وتكدر المسلمون غاية لفوات هذه المدينة العظيمة منهم . ثم ثاروا على السلطان عبد الله واعتورته إرماعهم حتى فاظ ، ولما قتل تنازع الملك بعده اثنان من اخوته ، وبعد قتال شديد ولم ينتصف احد منهما من صاحبه اتفق أهل الحل والعقد على أن يولوا عبد الحق بن أبى سعيد » اه كلام منويل . وهذا السلطان عبد الله الذى زاده منويل بين أبى سعيد وعبد الحق لم يذكره صاحب « جذوة الاقباس » ويعد أن يكون هذا الخبر الذى ساقه منويل لا أصل له والله أعلم بحقيقة الامر .

ومن جملة حجاب السلطان أبى سعيد الرئيس أبو فارس عبد العزيز بن أحمد المليانى . قال فى « الجذوة » : « أصله من زرهون وتولى حجابة السلطان المذكور » قال : « فغدر مولاه ومخدومه ، وهتك ستره ، وخرب داره وعبت بحريمه ، وقتل أولاده واخوانه ، ورفع الاذئاب ، وحط الرؤساء ، وكان فساد المغرب على يده ، وقد ذكره للتاورتى فائى عليه . قال فى « الجذوة » : « ووجدت فى طرة ذمه وتنقيصه » والله أعلم .

ومن وزراء السلطان أبى سعيد : صالح بن حمو الياپانى ، ويحيى بسن علال بن آمصمود الهسكورى ، وقد تقدم ذكرهما ، ومن كتابه : الفقيه الاديب أبو زكرياء يحيى بن أبى الحسن بن أبى دلالة ، وكان صاحب العلامة عند السلطان المذكور ، وممن شهد له أهل عصره بالتبريز فى النظم الفائق . ثم

ابنه محمد من بعده ، ومن قضاته : الفقيه أبو محمد عبد الرحيم بن ابراهيم
اليزناسنى وقد تقدم ذكره ، والله تعالى أعلم .



الخبر عن دولة السلطان عبد الحق بن ابي سعيد بن ابي العباس
ابن ابي سالم المرينى رحمه الله



هذا السلطان هو آخر ملوك بنى عبد الحق من بنى مرين ، وهو أطولهم
مدة ، وأعظمهم محنة وشدة ، وهو أبو محمد عبد الحق بن أبي سعيد عثمان
ابن أبي العباس أحمد بن أبي سالم ابراهيم بن أبي الحسن على بن أبي سعيد
عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق الزناتى المرينى ، أمه علجـة
اصبنيولية على ما ذكره منويل ، وفى أيامه ضعف أمر بنى مرين جدا وتداعى
الى الانحلال وكان التصرف للوزراء والحجاب شأن دولة أبيه من قبله على ما
نذكره .



زحف البرتقال الى طنجة ورجوعهم عنها بالخبية



قال منويل : « كان لطاغية البرتقال خمسة اخوة شجعان ، فأرادوا أن
يدركوا فخرا باستيلائهم على ثغر من ثغور المغرب ، يضيفونه الى سبتة
ويوسعون به ما ملكوه من أعمالها ، فركبوا قراصينهم فى ستة آلاف عسكرى
ونزلوا بسبتة . ثم زحفوا الى طنجة سنة احدى وأربعين وثمانمائة وحاصروها
وضيقوا على أهلها ثم عاجلهم سلطان فاس وسلطان مراكش وأرهبوهم عن
فتحها وأوقعوا بهم وقبضوا على كبير عسكرهم فرناندو وجماعة من أصحابه

وعادوا بهم أسرى الى فاس ، فلما صارت عظماء البرتقال فى يد المسلمين وأسروهم جنحوا الى السلم فسالمهم المسلمون على أن يردوا لهم سبته ويسرحوا لهم كبيرهم وأصحابه الذين معه ، فرضى البرتقال بذلك وانعقد الصلح عليه ثم كان من قدر الله أن هلك كبير البرتقال الذى وقع الشرط عليه فى سجن فاس واستمرت سبته فى يد العدو وعد ذلك من سوء بخت المسلمين والامر لله وحده .

وقد ذكر صاحب « المرآة » : أن البرتقال استولى على طنجة سنة احدى وأربعين وثمانمائة وهو غير صواب ، وانما كان الحصار فقط . والله تعالى أعلم .



اخبار الوزراء والحجاب وتصرفاتهم



كان من جملة وزراء السلطان عبد الحق الوزير صالح بن صالح بن حمو اليبانى ، قالوا : وهو الذى أوقع بالفقيه القاضى أبى محمد عبد الرحيم ابن ابراهيم الزيناسنى قتله ذبحا سنة أربع وثلاثين وثمانمائة . ومن وزراء السلطان المذكور الوزير أبو زكرياء يحيى بن زيان الوطاسى . قالوا : وفى سنة ست وأربعين وثمانمائة غزا الوزير المذكور الشاوية ، وكانوا قد تمردوا على الدولة وأعزل داؤهم ففل الوزير المذكور جمعهم وخرّب منازلهم ثم كانت وفاته سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ، فله عرب انقاد على سبيل الذر قعصا بالرماح وحمل قتيلا الى فاس فدفن بالقلة خارج باب الجيسة . وولى الوزارة بعده على بن يوسف الوطاسى ، قالوا : فكانت أيامه مواسم ادياته وصيائه وحفظه أمور الملك ورفقه بالرعية مع العدل وحسن الادارة ، ثم توفى بتماسنا خامس رمضان سنة ثلاث وسنين وثمانمائة ، وحمل الى فاس فدفن بالقلة أيضا . وفى هذه السنة أو التى قبلها استولى البرتقال على قصر المجاز وهو المعروف بقصر

مصمودة والقصر الصغير وهو الآن خراب . والله أعلم .



وزارة يحيى بن يحيى الوطاسي ومقتله ومقتل الوطاسيين معه

والسبب في ذلك



لما توفي الوزير علي بن يوسف رحمه الله قدم للوزارة بعده أبو زكرياء يحيى بن يحيى بن عمر بن زيان الوطاسي، قالوا: فكانت ولاية هذا الوزير هي مبدأ الشر ومنشأ الفتنة، وذلك انه لما استقل بالحجابة أخذ في تغيير مراسم الملك وعوائد الدولة، وزاد ونقص في الجند ونقص جل ما أبرمه قبله الوزراء، وعامل الرعية بالعسف ومن جملة ما نقم عليه انه عزل قاضي فاس الفقيه أبا عبد الله محمد بن محمد بن عيسى بن علال المصمودي وقدم مكانه الفقيه يعقوب التسولي(*)؛ وكان المصمودي من الدين وتحري المعدلة بمكان، فلما رأى السلطان عبد الحق فعل الوزير واستحوازه على أمور الدولة وتبين له أن الوطاسيين قد التحفوا معه رداء الملك وشاركوه في بساط الغر وكادوا يغلبونه على أمره سطا بهم سطوة استأصلت جمهورهم إلا من حماه الاجل منهم فتقبض على الوزير يحيى وعلى أخويه أبي بكر وأبي شامة وعلى عمهم فارس ابن زيان وقريبهم محمد بن علي بن يوسف وأتى الذبح على جميعهم واستمر البحث عن محمد الشيخ ومحمد الحلو أخوي الوزير المذكور فلم يوجد لذهاب الشيخ في ذلك اليوم المصيد واختفاء الحلو عند قيام الهيئة، فكان ذلك من لطف الله بهما، واتصل بهما ما جرى على عشيرتهم وبنى أبيهم فذهبا الى منجاتهما وكان من أمرهما ما نذكره . وكانت هذه الحادثة الصماء بعد مضي سبعين يوما من وزارة يحيى بن يحيى المذكور، وصفا للسلطان عبد الحق

(*) راجع «درة البحال» ج ١ ص ٢٢٠ فقد ذكر ان الذي قدم للقضاء بعدا هو ابو عبد

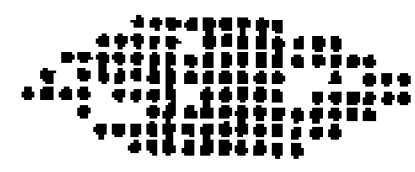
الله محمد بن عبد الله المكناسي .

(الاستقما - راجع - 2)

أمره ورأى أن قد شفا نفسه من الوطاسيين ونقى بساط حضرته من قرضهم ،
وأبرأ جسم ملكه من مرضهم والله غالب على أمره .



رياسة اليهوديين هرون وشاويل وما نشأ عن استبدادهما من المحنة والفتنة



قالوا : كان السلطان عبد الحق منذ أوقع بنى وطاس لم تسمح نفسه
بإعطاء منصب الوزارة لاحد ، ثم نما اليه أن العامة وكثيرا من الخاصة قد
نقموا عليه إيقاعه بالوطاسيين ، وأن أذنهم صاغية إلى محمد الشيخ صاحب
أضيلا ، وكان قد استولى عليها بعد فراره حسبما تذكر ، وربما شافهه البعض
منهم بذلك . فولى عليهم اليهوديين المذكورين تأديبا لهم وتشفيا منهم زعموا
فشبرع اليهوديان في أخذ أهل فاس بالضرب والمصادرة على الاموال ، واعتز
اليهود بالمدينة وتحكموا في الاشراف والفقهاء فمن دونهم ، وكان اليهودى
هرون قد ولى على شرطته رجلا يقال له : الحسين لا يألو جهدا في العسف
واستلاب الاموال ، واستمر الحال على ذلك والناس فى شدة .
وفى سنة سبع وستين وثمانمائة انتزع الاصنيول جبل طارق من يد
ابن الأحمر .



استيلاء البرتقال على طنجة



ثم فى سنة تسع وستين وثمانمائة استولى البرتقال على طنجة ، زحفوا
اليها من سبتة فى ألوف من العساكر واستولوا عليها واستمرت بأيديهم أكثر
من مائتين وخمسين سنين ثم بذلوها لطاغية النجلين سنة أربع وسبعين وألف
فى سبيل المهادة والصهر الذى انعقد بينهما كما سيأتى .

مقتل السلطان عبد الحق بن ابي سعيد والسبب في ذلك



ثم ان اليهودى عمد الى امرأة شريفة من أهل حومة البلدة فقبض عليها والبلدة حومة بفاس . قالوا : وكانت بدار الكومى قرب درب جنيرة فانحى عليها بالضرب ، ولما ألهبتها السياط جعلت تتوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم فحمى اليهودى وكاد يتميز غيظا من سماع ذكر الرسول ، وأمر بالابلاغ فى عقابها ، وسمع الناس ذلك فاعظموه ، وتمشت رجالات فاس بعضهم الى بعض ، فاجتمعوا عند خطيب القرويين الفقيه أبى فارس عبد العزيز بن موسى الورياكلى وكانت له صلابة فى الحق وجلادة عليه ، بحيث يلقى نفسه فى العظام ولا يبالي ، وقالوا له : « ألا ترى الى ما نحن فيه من الذلة والصغار وتحكم اليهود فى المسلمين والعبث بهم حتى بلغ حالهم الى ما سمعت » فنجع كلامهم فيه وللحين أغراهم بالفنك باليهود وخلع طاعة السلطان عبد الحق وبيعة الشريف أبى عبد الله الحفيد فأجابوه الى ذلك واستدعوا الشريف المذكور فبايعوه ، والتفت عليه خاصتهم وعامتهم ، وتولى كبر ذلك أهل حومة القلقليين منهم ، ثم تقدم الورياكلى بهم الى فاس الجديد فصمدوا الى حارة اليهود فقتلوهم واستلبوهم واصطلموا نعمتهم واقتسموا أموالهم ، وكان السلطان عبد الحق يومئذ غائبا فى حركة له ببعض النواحي . قال فى «نشر المثانى » : « خرج السلطان عبد الحق بجيشه الى جهة القبائل الهبطية وترك لليهودى قبض من أهل فاس المغارم ، فشدد عليهم حتى قبض على امرأة شريفة وأوجعها ضربا » وحكى ما تقدم ، فاتصل بعبد الحق الخبر وانفض مسرعا الى فاس واضطرب عليه أمر الجند، ففسدت نياتهم، وتكرت وجوههم، وصار فى كل منزلة تنفض عنه طائفة منهم ، فأيقن عبد الحق بالنكبة وعان أسباب المنية . ولما قرب من فاس استشار هرون اليهودى فيما نزل به فقال اليهودى له : « لا تقدم على فاس لخليان قدر الفتنة بها وانما يكون قدومنا على مكناسة الزيتون لانها

بلدنا وبها قوادنا وشيعتنا، وحينئذ يظهر لنا ما يكون» فما استتم اليهودى كلامه حتى انتظمه بالرمح رجل من بنى مرين يقال له تيان، وعبد الحق ينظر، وقال: «ومازلنا فى تحكم اليهود واتباع رأيهم والعمل بأشارتهم» ثم تعاورته الرماح من كل جانب وخر صريعا للدين والفم». ثم قالوا للسلطان عبد الحق «تقدم أماننا الى فاس فليس لك اليوم اختيار فى نفسك». فأسلم نفسه، وانتهبت محلته، وفيئت أمواله وحلت به الاهانة، وجاءوا به الى أن بلغوا عين القوادس خارج فاس الجديد، فاتصل الخبر بأهل فاس وسلطانهم الحفيد فخرج الى عبد الحق وأركبه على بغل بالبردعة، وانتزع منه خاتم الملك وأدخله البلد فى يوم مشهود حضره جمع كبير من أهل المغرب وأجمعوا على ذمه وشكروا الله على أخذه، ثم جنب الى مصرعه فضربت عنقه صبيحة يوم الجمعة السابع والعشرين من رمضان سنة تسع وستين وثمانمائة ودفن ببعض مساجد البلد الجديد، ثم أخرج بعد سنة ونقل الى القلة فدفن بها وانقرضت بمهلكه دولة بنى عبد الحق من المغرب والبقاء لله وحده. (*)

ونقل الثقات أن الشيخ أبا العباس أحمد زروق رحمه الله كان قد ترك الصلاة خلف الفقيه أبى فارس الورياكلى لما صدر منه فى حق السلطان عبد الحق، وكان يقول: «لا آمن الغندور على صلاتى يعيه بذلك، والغندور فى لسان المغاربة ذو النخوة والاباية وما أشبه ذلك، والله يتغمدنا والمسلمين برحمته آمين».

ولنذكر ما كان فى هذه المدة من الاحداث فنقول:

فى سنة سبع وثمانمائة توفى الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن على بن صالح المكودى عالم فاس وأديبها ونحوها صاحب المقصورة وشرح الخلاصة وغير ذلك من التأليف، قيل: هو آخر من درس كتاب سيويه فى النحو بفاس.

وفى سنة ثمان عشرة وثمانمائة توفى الشيخ أبو عبد الله محمد بن

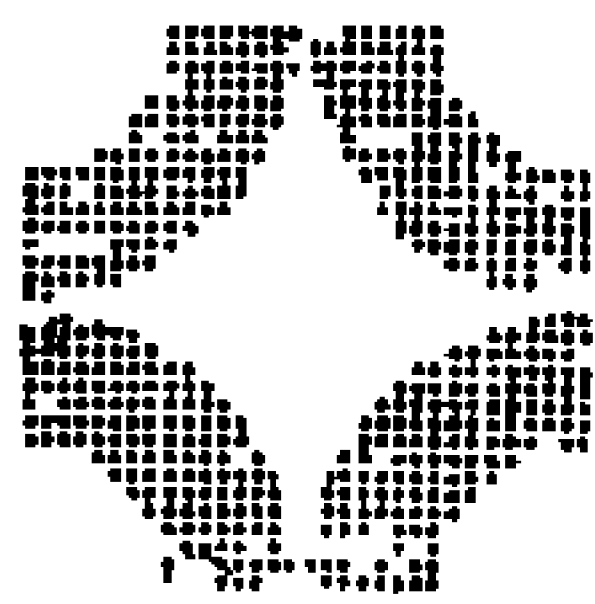
(*) وكانت دولته منذ تاريخ وفاة والدلا أبى سعيد ستا وأربعين سنة

عمر بن الفتوح للتمساني ثم المكناسي ، يقال : ان سبب انتقاله من تلمسان أنه كان شابا حسن الصورة ، جميل الشارة ، فمرت به امرأة جميلة فجعل ينظر اليها من طرف خفي فقالت : « اتق الله يا ابن الفتوح يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور » فتأثر لقولها واتعظ وتاب الى الله تعالى ، وجعل من تمام توبته أن يهاجر من الارض التي قارف الذنب فيها فارتحل الى فاس فاقام بها مدة وانتفع الناس به ، ثم انتقل بعدها الى مكناسة فتوفي بها في السنة المذكورة . قالوا : وهو أول من أدخل مختصر الشيخ خليل مدينة فاس والمغرب وفي سنة ست وأربعين وثمانمائة كان الوباء العظيم بالمغرب ، هلك فيه جمع من كبار العلماء والاعيان ، ويسمى هذا الوباء عند أهل فاس بوباء عزونة .

وفي سنة تسع وأربعين وثمانمائة في ذي القعدة منها توفي الشيخ أبو محمد عبد الله العبدوسي مفتي فاس وعالمها الكبير ومحدثها الشهير وكان من أهل الصلاح والخير والايثار .

وفي سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة في أواخر ذي القعدة منها توفي امام الجماعة بفاس الشيخ أبو عبد الله محمد بن قاسم الاندلسي الاصل المعروف بالقوري ودفن باب الحمراء منها .

وفي سنة تسع وتسعين وثمانمائة في أواخر صفر منها توفي الشيخ العارف بالله المحقق أبو العباس أحمد البرنسي الشهير بزروق وكانت وفاته بمسراته من أعمال طرابلس . والله أعلم .



بقية اخبار بنى الاحمر واستيلاء العدو على غرناطة وسائر الاندلس منها وانقراض كلمة الاسلام منها



كانت دولة بنى الاحمر فى هذه المدة متماسكة . والفتنة بين أعياصها متشابكة ، والعدو فيما بين ذلك يخادعهم عما بأيديهم ويراوغهم ويسالمهم تارة ويحاربهم الى أن كانت دولة السلطان أبى الحسن على بن السلطان سعد بن الامير على ابن السلطان يوسف ابن السلطان محمد الغنى بالله ، فنازعه أخوه أبو عبد الله محمد بن سعد المدعو بالزغل ، قدم من بلاد النصارى وبويسع بمالقة وبقي بها مدة ، وعظم الخطب واشتدت الفتن ، وشرق المسلمون بداء الخلاف الواقع بين هذين الاخوين ، وتكالب العدو عليهم ووجد السبيل الى تفريق كلمتهم والتمكن من فسخ عهدهم وذمتهم ، وذلك أعوام الثمانين وثمانمئة . ثم انقاد أبو عبد الله لآبى الحسن فسكنت أحوال الاندلس بعض الشيء ثم خرج عليه ولده أبو عبد الله محمد بن أبى الحسن وأسره النصارى فى بعض الوقعات فراجع الناس طاعة أبى الحسن ثم نزل لآخيه أبى عبد الله الزغل عن الامر لآفة أصابته فى بصره . ثم ان العدو عمد لآسيره أبى عبد الله بن الحسن فوعده ومناه ، وأظهر له من أكاذيبه وخدعه غاية مناه ، وبيعه للتشغيب على عمه طلبا لتفريق كلمة المسلمين وعكس مرادهم وتوصلا الى ما بقى عليه من حصون المسلمين وبلادهم وطالت الفتنة بين العم وابن الاخ وكل عقد كان بين العدو وبينه انحل وانفسخ ، وخبت العامة الذين هم أتباع كل ناعق فى ذلك ووضع ، وكان ذلك من أعظم الاسباب المعينة للعدو على التمكن من أرض الاندلس والشهامها واستئصال كلمة الاسلام منها . ثم ان ابن الاخ استولى على غرناطة بعد خروج العم عنها الى الجهاد فقتل ذلك فى عضده وعطف الى وادى آش فاعتصم بها ، وحاصر العدو مالقة فقاتله أهلها بكل ما أمكنهم حتى اذا لم يجدوا للقتال مساعا نزلوا على الامان ، فاستولى العدو عليها أواخر شعبان سنة اثنتين وتسعين وثمانمئة ، ثم استولى

بعد ذلك على وادى آش وأعمالها صلحا ودخل في طاعته صاحبها أبو عبد الله
العم بعد أن استهوى العدو قواده بالاموال الجزيلة، ثم إن العدو خذله الله راسيل
أبا عبد الله بن أبي الحسن صاحب غرناطة وعرض عليه الدخول في الخطة
التي دخل فيها عمه من النزول له عن البلاد على أموال جزيلة يبذلها له ويكون
تحت حكمه مخيرا في أى بلاد الاندلس شاء فشاور رعيته فاتفق الناس على
الامتناع والقتال ، فعند ذلك أرفف العدو حده. وجعل غرناطة وأهلها من
شأنه بعد أن استولى أثناء هذه الفتن والتضريبات على حصون كثيرة لم تتعرض
لذكرها ، حتى لم يبق له الا غرناطة وأعمالها ، وقد اختصرنا معظم هذه
الاخبار اذ لم تكن من موضوع الكتاب وانما أئلمنا بهذه النبذة تكميلا للفائدة
وزيادة في الامتاع . ولما كان اليوم الثاني والعشرون من جمدى الآخرة سنة
ست وتسعين وثمانمائة خرج العدو بمحلاته الى مرج غرناطة وأفسد الزرع
ودوخ الارض ، وهدم القرى وأمر ببناء موضع بالسور والحفير فاحكمه ،
وكان الناس يظنون أنه عازم على الانصراف ، فاذا به قد صرف عزمه الى
الحصار والاقامة وصار يضيق على غرناطة كل يوم ودام القتال سبعة أشهر ،
واشتد الحصار بالمسلمين غير أن النصارى على بعد ، والطريق بين غرناطة
والبشرات متصلة بالمرافق ، والطعام يأتي من ناحية جبل شلير الى أن تمكن
فصل الشتاء وكتب البرد ونزل الثلج ، فانسد باب المرافق ، وانقطع الجلب
وقل الطعام ، واشتد الغلاء ، وعظم البلاء واستولى العدو على أكثر الاماكن
خارج البلد ، ومنع المسلمين من الحرث والسبب وضاق الحال وبان الاختلال
وعظم الخطب ، وذلك أول سنة سبع وتسعين وثمانمائة . وطمع العدو في
الاستيلاء على غرناطة بسبب الجوع والغلاء دون الحرب والقتال ففر ناس
كثيرون من الجوع الى البشرات ، ثم اشتد الامر في شهر صفر من السنة وقل
الطعام وتفاقم الخطب ، فاجتمع ناس مع من يشار اليه من أهل العلم كأبي عبد
الله الموافق شارح «المختصر» وغيره وقالوا : « انظروا لانفسكم وتكلموا مع
سلطانكم » فاحضر السلطان أبو عبد الله بن أبي الحسن أهل دولته وأرباب
مشورته وتكلموا في هذا الامر وأن العدو يزداد مدده كل يوم ونحن لأمدد لنا وكنّا

نظن أنه يقلع عنا في فصل الشتاء فخاب الظن وبنى وأسس وأقام وقرب منا فانظروا لانفسكم وأولادكم . فاتفق الرأي على ارتكاب أخف الضررين ، وشاع أن الكلام وقع بين النصارى ورؤساء الاجناد قبل ذلك في اسلام البلد خوفا على نفوسهم وعلى الناس ، ثم عددوا مطالب وشروطا أداروها وزادوا أشياء على ما كان في صلح وادي آش ، منها : أن صاحب رومة يوافق على الالتزام والوفاء بالشرط اذا مكنوه من حمراء غرناطة والمعاقل والحصون ويحلف على عادة النصارى في العهود ، وتكلم الناس في ذلك وذكروا أن رؤساء أجناد المسلمين لما خرجوا للكلام في ذلك امتن عليهم النصارى بمال جزيل وذخائر ، ثم عقدت بينهم الوثائق على شروط قرئت على أهل غرناطة فانقادوا اليها ووافقوا عليها وكتبوا البيعة لصاحب قشتالة فقبلها منهم، ونزل سلطان غرناطة أبو عبد الله عن الحمراء ولا حول ولا قوة الا بالله .

وفي ثاني ربيع الاول من السنة ، أغنى سنة سبع وتسعين وثمانمائة ، استولى النصارى على الحمراء ودخلوها بعد ان استوثقوا من أهل غرناطة بنحو خمسمائة من الاعيان رهنا خوف الغدر ، وكانت الشروط سبعة وستين شرطا، منها: تأمين الصغير والكبير في النفس والاهل والمال ، وإبقاء الناس في أماكنهم ودورهم ورباعهم وعقارهم ، ومنها : اقامة شريعتهم على ما كانت ، ولا يحكم على أحد منهم الا بشريعته ، وأن تبقى المساجد كما كانت والاقواف كذلك ، وأن لا يدخل النصارى دار مسلم ولا يغصبوا أحدا ، وأن لا يولى على المسلمين نصراني أو يهودي ممن يتولى عليهم من قبل سلطانهم ، وأن يفتك جميع من أسر في غرناطة حيث كانوا وخصوصا أعيانا نص عليهم ، ومن هرب من أسارى المسلمين ودخل غرناطة لا سبيل عليه لملكه ولا لغيره ، والسلطان يدفع ثمنه لما لكة ، ومن أراد الجواز الى العدو لا يمنع ويجوزون في مدة عينت في مراكب السلطان لا يلزمهم الا الكراء ثم بعد تلك المدة يعطون عشر مالهم والكراء ، وأن لا يؤخذ أحد بذنب غيره ، وأن لا يجبر من أسلم على الرجوع للنصارى ودينهم ، وان من تنصر من المسلمين يوقف أياما حتى يظهر حاله ويحضر له حاكم من المسلمين وآخر من النصارى فان أبى الرجوع

الى الاسلام تمادى على ما أراد ، ولا يعاتب على من قتل نصرانيا أيام الحرب ولا يؤخذ منه ما سلب من النصارى أيام العداوة ، ولا يكلف المسلم بضيافة أجناد النصارى ولا يسفر لجهة من الجهات ولا يزيدون على المغارم المعتادة ، وترفع عنهم جميع المظالم والمغارم المحدثه ، ولا يطلع نصراني للسور ولا يتطلع على دور المسلمين ، ولا يدخل مسجدا من مساجدهم ، ويسير المسلم فى بلاد النصارى آمنا فى نفسه وماله ، ولا يجعل علامة كما يجعل اليهود وأهل الدجن ، ولا يمنع مؤذن ولا صائم ولا مصل ولا غبره من أمور دينه ومن ضحك منهم يعاقب ، ويتركون من المغارم سنين معلومة . وان يوافق على كل الشروط صاحب رومة ويضع خط يده وأمثال هذا مما تركنا ذكره .

وبعد انبرام ذلك ودخول النصارى للحمراء والمدينة جعلوا قائدا بالحمراء وحكاما ومقدمين بالبلد ، ولما علم بذلك أهل البشرات دخلوا فى هذا الصلح وشملهم حكمه على هذا الوجه ، ثم أمر العدو ببناء ما يحتاج اليه فى الحمراء وتحصينها وتجديد بناء قصورها واصلاح سورها ، وصار الطاغية يختلف الى الحمراء نهارا ويبيت بمحلتة ليلا الى أن اطمأن من خوف الغدر فدخل المدينة وتطوف بها وأحاط خبرا بما يرومه منها ، ثم أمر سلطان المسلمين ان ينتقل لسكنى البشرات وانها تكون له فى سكناه بأنسدرش ، فانصرف اليها وأخرج الاجناد منها ، ثم احتال عدو الله فى نفيه لبر العدو وأظهر أن السلطان المذكور طلب منه ذلك ثم كذب لصاحب المرية انه ساعة وصول كتابى هذا لاسبيل لاحد أن يمنع مولاي أبا عبد الله من السفر حيث أراد من من بر العدو ، ومن وقف على هذا الكتاب فليصرفه وليقف معه وفاء بما عهد له ، فانصرف السلطان أبو عبد الله فى الحين بنص هذا الكتاب وركب البحر فنزل بمليلة واستوطن فاسا وكان قبل ذلك قد طلب الجواز لناحية مراکش فلم يسعف بذلك ، وحين جوازه لبر العدو لقي شدة وغلاء وبلاء . ثم ان النصارى نكثوا العهد ، ونقضوا الشروط عروة غروة الى أن آل الحال لحملهم المسلمين على التنصر سنة أربع وتسعمائة بعد أمور وأسباب أعظمها عليهم انهم قالوا: ان القسيسين كتبوا على جميع من أسلم من النصارى أن يرجع

مهرًا لدينه ، ففعلوا ذلك وتكلم الناس ولا جهد لهم ولا قوة . ثم تعدوا ذلك إلى أمر آخر وهو أن يقولوا للرجل المسلم إن جدك كان نصرانيا فأسلم فترجع أنت نصرانيا . ولما تفاحش هذا الأمر قام أهل البيازين على الحكام فقتلوهم وهذا كان السبب الأعظم في التنصر ، قالوا: لأن الحكم خرج من عند السلطان أن من قام على الحاكم فليس إلا الموت إلا أن يتنصر فينجو من الموت وبالجمل فأنهم تنصروا عن آخرهم بادية وحاضرة ، وامتنع قوم من التنصر واعتزلوا النصارى فلم ينفعهم ذلك ، وامتنعت قرى وأماكن كذلك منها بلفيق واندرش وغيرهما فجمع لهم العدو الجموع واستأصلهم عن آخرهم قسلا وسبيا إلا ما كان من جبل بلنقة فإن الله تعالى أعانهم على عدوهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة مات فيها صاحب قرطبة وأخرجوا على الأمان إلى فاس بعيالهم وما خف من أموالهم دون الذخائر .

ثم بعد هذا كله كان من أظهر التنصر من المسلمين يعبد الله في خفية ويصلى فشدد النصارى في البحث عنهم حتى أنهم أحرقوا كثيرا منهم بسبب ذلك ومنعواهم من حمل السكين الصغيرة فضلا عن غيرها من الحديد ، وقاموا في بعض الجبال على النصارى مرارا فلم يقيض الله تعالى لهم ناصرا إلى أن كان إخراج النصارى إياهم جملة أعوام سبعة عشر وألف بعد أن ساكنوهم بغرناطة وأعمالها نحو من مائة وعشرين سنة كانوا فيها تحت ذمة النصارى كما رأيت والأمر لله وحده . ولما أجلاهم العدو عن جزيرة الأندلس خرجت ألوف منهم بفاس وألوف أخر بتلمسان ووهران وخرج جمهورهم بتونس فتسلط عليهم في الطرقات الأعراب ومن لا يخشى الله تعالى من الأوباش ونهبوا أموالهم وهذا ببلاد تلمسان وفاس ونجا القليل من هذه المصرة . وأما الذين خرجوا بنواحي تونس فسلم أكرهم وكذلك بتطاوين وسلا وبيجة الجزائر ولما استخدم سلطان المغرب الأقصى ، وهو المنصور السعدي ، منهم عسكرا جرارا وسكنوا سلا كان منهم من الجهاد في البحر ما هو مشهور ، وحصنوا قلعة سلا . وهي رباط الفتح ، وبنوا بها القصور والحمامات والدور .

قال أبو العباس المقرئ في « نفح الطيب » : وهم الآن - يعني في حدود

الثلاثين وألف - بهذا الحال ، ووصل جماعة منهم الى القسطنطينية العظمى والى مصر والشام وغيرها من بلاد الاسلام وانقضى أمر الاندلس وعادت نصرانية كما كانت أول مرة ، والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

وفى السنة التى استولى الاصبنيول على غرناطة انكشفت لهم أرض ماركان التى كانت مجهولة قبل هذا التاريخ لسائر الامم . وذلك أن الحكماء الاقدمين من اليونان وغيرهم أجمعوا على أن شكل الارض كرة وان الماء قد غمر أحد جانبيها كله بحيث صارت الارض فيه كأنها بيضة مفرقة فى طست ماء قد رسب فيه أكثرها وبرز أقلها ، وأجمعوا على أن هذا البارز منها هو المسكون ببنى آدم وغيرهم من الحيوانات وهو المنقسم الى سبعة أقسام تسمى الاقاليم ولم يهتدوا الى أن الجانب الآخر منكشف عنه الماء ولا انه مسكون كهذا الجانب بل جزموا. بانه ماء صرف يسمى البحر المحيط ، واستمر هذا الاعتقاد عندهم ونقله الخلف عن السلف ووضعوا فيه التأليف العديدة الى أن كانت سنة سبع وتسعين وثمانمائة وهى السنة التى استولى فيها الاصبنيول على غرناطة وسائر الاندلس ، فاتفق أن ظهر فى تلك المدة رجل من فرنج جنوة اسمه كلنب بضم الكاف واللام كانت حرفته الملاحة والسفر فى البحر وكان بعيد الهمة ، مولعا بالشهرة مغرى بالذكر وحسن الصيت ، فخطر بباله أن جانب الارض الذى أغفل الحكماء الالون ذكره وزعموا انه بحر صرف ربما يكون مسكونا كهذا الجانب وكان جنس البرتقال فى هذه المدة قد كثرت أسفارهم فى البحر وملكوا عدة محال من جزائره الخالدات ، فحصل لكلنب الجنويزى بعض غيرة ونفاسة منهم وأراد أن يأتى بأعظم مما فعلوا فعزم على التلجيج فى البحر المحيط والابعاد فيه عسى أن يظفر بمراده ، فتطارح على ملك البرتقال واسمه يومثد يوحنا الثانى فى أن يعينه على ما هو بصدده ويمده بما يكون سببا فى نيل مقصده ، فلم يلتفت الى قوله ولا عرج على رأيه ومن قبل ما كان أهل جنوة يحمقونسه وينسبوناه الى التهور بمثل هذه الآراء ، فلما لم يجد عند ملك البرتقال مراده تطارح على ملكة الاصبنيول ، وهى يومثد ايسابيل الشهيرة الذكر عندهم ،

فأسعفته وهيأت له ثلاث سفائن وشحنتها بالرجال والسلاح والزاد والمال ودفعت ذلك اليه ، فسافر بها كلب في البحر المحيط على سمت المغرب حتى أرسى ببعض الجزائر الخالدات فأراح بها أياما ثم سافر على السمت المذكور ملججا مدة من شهرين ، ولما طال السفر على أصحابه الذين معه أرادوا قتله ، وبينما هم في ذلك ظهرت له أرض ماركان فسار حتى أرسى باجفانه على ساحلها في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة سبع وتسعين وثمانمائة المذكورة ، فعثر منها على أرض واسعة ذات أقطار ونواحي وجبال وأنهار تفوت الحصر ، حتى قيل : إنها تساوي نصف هذا المسكون من الأرض أو تزيد ، وإذا فيها خلق كثير من بنى آدم كهذه إلا أنهم لم يفقهوا قوله ولا فقه قولهم . فعاد كلب إلى ملكة الاصبنيول بعد أن بنى هنالك حصنا وترك به بعض الجند وساق من تلك الأرض بعض الغرائب من حيوان وغيره ، اثباتا لمدعاه فلما قدم على الملكة بعد مغيبه سبعة أشهر وأحد عشر يوما أعظمت قدره ، ونوهت باسمه ، وسرت بما أتى به من ذلك كله ، وعدت ذلك من سعادتها إلى ما تسنى لها من الظفر بجزيرة الاندلس والاستيلاء عليها ، وتبين للفرنج حينئذ أن الأرض معمورة من كلا الجانبين لا من جانب واحد كما اعتقده الاقدمون ، فحينئذ تسارعت أجناسهم إلى أرض ماركان واقتسموها واعتصموا بعمرائها وسموها: الدنيا الجديدة ، فكانت من أعظم الأسباب في انتعاشهم وتقويتهم وضخامة دولهم واتساع خطط ممالكهم ، والامور كلها بيد الله .

ومن جملة ما كان مفقودا بأرض ماركان نوع الخيل وكذا غيرها من الحيوانات الاهلية . ولما رأوا الاندمى راكبا على الفرس مسرجا ظنوه قطعة واحدة وأن الفارس وفرسه حيوان واحد خلق على تلك الكيفية إلى غير ذلك وأخبار أرض ماركان وكيفية العثور عليها ثم التردد إليها واعتمارها بعد ذلك طويلة وملخصها ما ذكرناه ، والله تعالى الموفق بمنه .

وهذا آخر النصف الاول من كتاب الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، قد شرعنا في املائه بمنتصف رجب الفرد الحرام من سنة سبع وتسعين ومائتين والفرغنا منه في منتصف

نذى الحجة الحرام فى السنة المذكورة . ونشرع بعون الله تعالى فى الجزء
الثانى منه مفتتحا بما يكون كالتوطئة لدولة بنى وطاس من أخبار البرتقال على
الجملة ، وعلى الله تعالى الكمال بمنه وفضله « (*) »

اخبار البرتقال بالمغرب الاقصى على الجملة



اعلم أن هذا المغرب الاقصى حرسه الله وكلاءه بعين حفظه ، لم يزل
بجميع ثغوره وسواحله وأقطاره منذ الفتح الاسلامى الى المائة التاسعة محفوظا
الجوانب من طروق أمم الفرنج وغيرهم من أعداء الدين ، محفوف الاكناف
بالحامية من جنود المسلمين ، مرهوبة شوكة ملوكه عند أمم النصرانية جيلا
بعد جيل ، وأمة بعد أمة ، ودولة بعد دولة . لم تكن الفرنج تحدث نفسها بغزو شىء
من بلاده ، أو طرق ثغر من ثغوره ، أو الاستيلاء على شىء من سواحله ، ولم يكن أهله
أيضا يتوقعون ذلك منهم ولا يخشونه ، بل هم الذين كانوا يغزون الفرنج فى
عقر ديارهم وأعز بلادهم ، ويحامون عن بلاد الاندلس وسواحل افريقية
وغيرها متى هاج أهلها هيج من ذلك حسبما تقدمت الاخبار المفصلة عن
ذلك ، ولم يبلغنا أن جنسا من أجناس الفرنج فيما قبل المائة التاسعة غزا شيئا
من أطراف المغرب الاقصى ، أو ثغرا من ثغوره بقصد الاستيلاء والتملك ،
الا ما كان من مدينة سلا التى دخلها الاصبيول غدرا أيام الفتنة بين اليعقوبين
ثم خرجوا عنها لمدة يسيرة حسبما مر ، والا ما كان من محاصرة أهل جنوة
لسببة ثم الاقلاع عنها كذلك ، ونحو هذا مما لا يعتبر ، فلما دخلت المائة
التاسعة ومضى صدرها وتداعت دول المغرب من بنى أبى حفص بافريقية ،
وبنى زيان بالمغرب الاوسط ، وبنى مرين بالمغرب الاقصى ، وبنى الاحمر
بالاندلس ، وأشرفت على الهرم وحدثت الفتن بين المسلمين ودامت فيهم
واشتغلوا بانفسهم دون الالتفات الى جهاد العدو ومطالبة فى أرضه وبلاده على
ما كان لهم من العادة قبل ذلك ، وافق ذلك ابتداء ظهور الجلالة وهم الاصبيول

(*) ما بين قوسين هو زيادة بخط المؤلف فى الاصل بعد الطبعة الاولى

والبرتقال ، وهم البرطقيز ، بجزيرة لاندلس واستفحال أمرهم ، فكثرت أسفار البرتقال في البحر المحيط ودام قلبهم فيه ومرنوا عليه حتى حصلوا على عدة جزائر منه ، واكشفوا بعض الرؤوس الساحلية من أرض السودان وغيرها ، ثم شرعوا لتملك سواحل المغرب الأقصى ، فهجموا عليها وجالدوا أهلها دونها حتى تمكنوا منها ونشبو فيها ، فقويت شوكتهم وعظم ضررهم على الاسلام وطمحت نفوسهم للاستيلاء على ما وراء ذلك حسبما تقف عليه مينا في مواضعه ان شاء الله .

فاستولوا في سنة ثمان عشرة وثمانمائة على مدينة سبتة بعد محاصرتهم لها ست سنين على ما في بعض تواريخ الافرنج ، ثم في سنة اثنتين وستين وثمانمائة استولوا على قصر المجاز ، ثم استولوا في سنة تسع وستين وثمانمائة على طنجة ، ثم في حدود سنة ست وسبعين وثمانمائة ملكوا آصيلا ، وفي هذا التاريخ نفسه أو قبله بيسير استولوا على مدينة آفا وبعض سواحل السوس ، ثم في حدود سنة سبع وتسعمائة نزلوا بأرض الجديدة فيما بين آزمور وتيط وبنوا بها حصن البريجة وطال مقامهم بها ، ثم في سنة عشر وتسعمائة استولوا على مدينة العرائش ، ثم بعد ذلك بيسير في حدود العشر وتسعمائة على ما تقتضيه تواريخ الفرنج ملكوا حصن آكادير وما اتصل به من سواحل السوس الأقصى ، ثم ملكوا في حدود اثنتي عشرة وتسعمائة رباط آسفي ثم عطفوا على ثغر آزمور فاستولوا عليه في سنة أربع عشرة وتسعمائة . ثم المعمورة وهي ، المهدية ، ملكوها أيضا في حدود سنة عشرين وتسعمائة وفي هذا التاريخ نفسه رجعوا الى مدينة آفا بعد هدمها فبنوها وسكنوها ، وبالجملة فلم يبق من ثغور المغرب الأقصى بيد المسلمين الا القليل مثل سلا ورباط الفتح وفجىء المسلمون من هذا البرتقال بالامر العظيم ، ودهوا منه بالخطب الجسيم ، واستحوذ عدو الله على بلاد الهبط وضايقهم بها حتى انحازوا الى الامصار المنزوية عن الاطراف والقرى النائية عن السواحل ، وكان ذلك كله فيما بين انقراض دولة بنى وطاس وظهور دولة الشرفاء السعديين ، ولقد ذكر في « مرآة المحاسن » أن قصر كتامة كان في صدر المائة العاشرة مقصدا

للتجار وسوقا تجلب اليه بضائع العدوتين وسلعها ، قال : « اذ كان القصر المذكور ثغرابين بلاد المسلمين وبين بلاد النصارى تحط به رجال تجار المسلمين من آفاق المغرب وتجار الحربين من آصيلا وطنجة وقصر المجاز وسبتة ولانه كان محل عناية سلطان المغرب اذ ذاك محمد الشيخ بن أبي ركرياء الوطاسي ، فان القصر قاعدة بلاد الهبط التي كانت موقد شرارة السلطان المذكور ، ومشب ناره ، وموشج عصبيته مع مجاورته لبلاد الحرب ، فكان نظره مصروفا اليه واختصاصه موقوفا عليه وتقبل بنوه من بعده مذهب فيه » اه كلامه فهذا يدل على ما كان عليه العدو خذ له الله من المضايقة للمسلمين في ثغورهم وبلادهم والله الامر من قبل ومن بعد .

ولما نزل باهل المغرب الاقصى ما نزل من غلبة عدو الدين واستيلائه على ثغور المسلمين ، تباروا في جهاده وقتاله ، وأعملوا الخيل والرجل في مقارعتة ونزاله ، وتوفرت دواعي الخاصة منهم والعامة على ذلك ، وصرفوا وجوه العزم لتحصيل الثواب فيما هنالك ، فكم من رئيس قوم قام لنصرة الدين غيرة واحتسابا ، وكم من ولي عصر أو عالم مصر باع نفسه من الله ورأى ذلك صوابا حتى لقد استشهد منهم أقوام وأسر آخرون ، وبلغ الله تعالى جميعهم من الثواب ما يرجون ، فمن استشهد منهم في سبيل الله سيدى عيسى بن الحسن المصباحى دفين الدعداعة بأرض البروزى من بلاد طليق ، وأبو الحسن على ابن عثمان الشاوى من أصحاب الشيخ أبى محمد الغزوانى ، وأبو الفضل فرج الاندلسى ثم المكناسى ، وأبو عبد الله محمد القصرى المعروف بسقين قتله النصارى عند ضريح الشيخ أبى سلهم ، وكان قد قصده للزيارة ففتكوا به هنالك ، وكل هؤلاء معدود فى أولياء الله تعالى ، وممن أسر منهم ثم خلصه الله الشيخ أبو محمد عبد الله بن ساسى دفين تانسيفت من أحواز مراکش ، والشيخ أبو محمد عبد الله الكوش دفين جبل العرض من أحواز فاس ، ووالد صاحب «دوحة الناشر» وهو أبو الحسن على بن مصباح الحسنى عرف بابن عسكر ، والشيخ العلامة أبو العباس أحمد بن القاضى المكناسى أحد قضاة سلا وهو صاحب «جذوة الاقتباس» و «المنتقى للمقصود» وغيرهما من التأليف

الحسان أسر وهو ذاهب الى الحج ، وأبو عبد الله محمد بن أبي الفضل التونسي المعروف بخروف نزيل فاس وشيخ الأجماعة بها ، هؤلاء كلهم أصابه الاسر ثم خلصه الله بعد حين ، وغير هؤلاء ممن لم يحضرنا ذكرهم ، أجزل الله ثوابهم ويسر بمنه حسابهم ، ولقد ألف الناس في ذلك العصر التأليف في الحض على الجهاد والترغيب فيه ، وقال الخطباء والوعاظ في ذلك فأكثروا ، ونظم الشعراء والادباء فيه ونثروا ، فمن ألف في ذلك الباب فأفاد : الشيخ المتقن البارع الصوفي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن يجيش التازي ، قال في «الدوحة» : «وقفت له على تأليف ألفه في الحض على الجهاد في سبيل الله فكان مما ينبغي أن يتناول باليد ، ويكتب دون المداد باللجين ، أودعه نظما ونثرا » وممن نظم في ذلك فأجاد ، الشيخ الصالح المتصوف المجاهد أبو عبد الله محمد بن يحيى البهلولى ، قال في «الدوحة» : كان هذا الشيخ ممن لازم باب الجهاد وفتح له فيه ، وله في ذلك أشعار وقصائد زجلية وغيرها ، وكان معاصرا للسلطان أبي عبد الله محمد بن محمد الشيخ الوطاسي المعروف بالبرتقالى ، فكان اذا جاءه زائرا حظه على الغزو فيساعده على ما أراد من ذلك ، ولما توفي السلطان المذكور ، ودالت الدولة لولده السلطان أحمد ، وغص بالشرفاء القائمين عليه ببلاد السوس ، عقد الهدنة مع النصارى المجاورين له ببلاد الهبط وصاحبهم سلطان البرتقال ، فبلغ ذلك الشيخ أبا عبد الله المذكور فآلى على نفسه أن لا يلقى السلطان المذكور ولا يمشى اليه ولا يقبل منه ما كان عينه له والده من جزية أهل الذمة بفاس لقوته وضرورياته ، فمكث على ذلك الى أن حضرته الوفاة ، وكان في النزع وأصحابه دائرون به فقال له بعضهم : «ياسيدى أخبرك أن السلطان أمر بالغزو ونادى به وحض الناس عليه ، والمسلمون في شره لذلك وفرح» . ففتح الشيخ عينه وتهلل وجهه فرحاً وحمد الله وأثنى عليه ، ففاضت نفسه وهو مسرور بذلك ، ولهذا الشيخ زجلية ومقطعات حسان في الحض على الجهاد ، منها اللامية المشهورة التي خاطب بها السلطان أبا عبد الله المذكور ومطلعها :

قل للامير محمد يا طلعة الهلال

لويلة في السواحل من أفضل الليال
ومنها القصيدة التي مطلعها :

ظهر الرمل مرادى والعسكر يا كرام
نفسى على الجهاد سببت والسلام
ومنها القصيدة التي أولها :

قم للجهاد رعاك الله منتهجا نهج الرشاد الى الاقوام لو فهموا
من بعد اندلس ما زلت محتدما لو كان يمكنى في الليل احتزم
الى غير ذلك مما يطول ذكره قال صاحب «الدوحة» : « حدثني الفقيه
العدل أبو العباس أحمد الدغموري القصري ، قال : كان الشيخ أبو عبد الله
يقول : « ما غزونا غزوة قط الا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ،
ويخبرني بجميع ما يتفق لي ولاصحابي في تلك الغزوة » ، وله رضى الله عنه
في شأن الجهاد والرجولية حكاية ظريفة وهي انه غزا مرة غزوة الى الثغور الهبطية
ثم قدم منها مع أصحابه فوجد زوجته فلانة بنت الشيخ أبي زكرياء يحيى بن بكار
قد توفيت وصلى الناس عليها بجامع القرويين ، وامامهم الشيخ غازي بن
الشيخ أبي عبد الله محمد بن غازي الامام المشهور ، فوصل الشيخ أبو عبد
الله ووجد جنازتها على شفير القبر والناس يحاولون دفنها فقال لهم : مهلا
ثم تقدم وأعاد الصلاة عليها مع أصحابه الذين قدموا معه فبادر الناس اليه
بالانكار في تكرير الصلاة على الجنازة بالجماعة مرتين ، فقال لهم على البديهة :
« صلاتكم التي صليتم عليها فاسدة ، لكونها بغير امام » ، فقالوا له : « كيف ذلك
ياسيدي ؟ » قال : « لان من شرط الامام الذكورية وهي مفقودة في صاحبكم
لان الذي لم يتقلد سيفاً في سبيل الله قط ولم يضرب به ولا عرف الحرب
كما كان نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يتعبد بالسيرة النبوية فكيف يعد اماما
ذكرا بل امامكم والله من جملة النساء » اهـ . وحكى أيضا في ترجمة الشيخ
أبي محمد عبد الله الورياكلى الذي قال له العلامة ابن مرزوق وقد عزم على
الرحلة الى بلاد المشرق في طلب العلم : « ليس أمامك أحد أعلم منك » ، قال : « فرجع
من هنالك فوجد النصارى قد تغلبوا على طنجة وآصيلا ، فلزم الثغور الهبطية
(الاستقصا رابع - ٨)

لأجل الرباط والجهاد في سبيل الله ، وبث العلم ونشره » ، قال : « وكان من عادته أن يشتغل بالتدريس في فصلى الشتاء والربيع ، ويخرج في الصيف والخريف فربط في ثغور القبائل الهبطية » الى آخر كلامه ، وأمال هذا كثير ذكرنا منه هذه النبذة اليسيرة لتقف بها على أحوال القوم وما كانوا عليه من الرغبة في الجهاد والمثابرة عليه قدس الله أرواحهم وجعل في دار النعيم غدوهم ورواحهم .

وقد آن أن نشرع في الاخبار عن دولة بني وطاس بعد أن نذكر دولة الشريف العمراني الذي بايعه أهل فاس يوم مقتل السلطان عبد الحق بن أبي سعد رحمه الله .



الخبر عن دولة الشريف ابي عبد الله الحفيد وأوليته



هذا الشريف هو أبو عبد الله محمد بن علي الادريسي الجوطي العمراني من بيت بني عمران فرقة من أدارسة فاس ، وهم واسطة عقد البيت الادريسي ، وأوضحهم نسبا ، وأعلاهم حسبا ، قال ابن خلدون : « ليس في المغرب فيما نعلمه من أهل البيت الكريم من يبلغ في صراحة نسبه ووضوحه مبلغ أعقاب ادريس رضي الله عنه » قال : « وكبرائهم لهذا العهد بنو عمران بفاس من ولد يحيى الجوطي بن محمد بن يحيى العدام بن القاسم بن ادريس ابن ادريس ، وهم نقباء أهل البيت هناك والساكنون بيت جدهم ادريس ولهم السيادة على أهل المغرب كافة » اهـ والجوطي قال في « المرأة » : « نسبة الى جوطة بجين مضموم وواو مد وطاء مفتوحة وهاء تأنيث وهي قرية عظيمة على نهر سبو في العدو الجنوبية خربت ولم يبق منها الا آثار ، ولها مسيل شبيبي يعرف بمخروط جوطة » نزلها السيد يحيى فنسب اليها وقبره هناك معروف » اهـ .

بيعة السلطان ابي عبد الله الحفيد والسبب فيها



كان بنو مرين أيام ولايتهم على المغرب يعظمون هؤلاء الاشراف الادارسة ويوجبون حقهم ويتقربون الى الله تعالى برفع منزلتهم وجبر خواطرهم لما فانهم من رتبة الخلافة النى كانت تكون لهم بطريق الاستحقاق الشرعى ، فكان بنو مرين لما جبلوا عليه من الجنوح الى مراسم الدين واتتحالها يرون فى أنفسهم كأنهم متغلبون مع وجود هؤلاء الاشراف . فلذا كانوا يخضعون لهم ، ويتأدبون معهم ما أمكن ، ولقد حكى أبو عبد الله بن الازرق : أن الشيخ الكبير أبا عبد الله المقرئ كان يحضر مجلس السلطان أبا عنان لبث العلم وكان نقيب الشرفاء بفاس اذا دخل مجلس السلطان يقوم له السلطان وجميع من فى المجلس اجلالا له ، الا الشيخ المقرئ فانه كان لا يقوم له ، فجرت بين الشريف والفقير المذكور معاتبة ومراجعة فى حكاية مشهورة ، تركناها لعدم تعلق الغرض بها (*) اذ الغرض هو الوقوف على ما كان عليه القوم من الجلة والتعظيم لاهل هذا البيت الكريم ، فلما اضطربت أحوال الدولة المرينية بفاس واجتمع رؤساء فاس الى الفقيه أبى فارس الورياكللى فى شأن اليهوديين اللذين كانا يحتكمان فى المدينة ويعنسان أهلها ، أجمع رأيهم على مبايعة هذا الشريف الحفيد ، وكان يومئذ يلى نقابة الاشراف بفاس ، فاستدعوه فحضر وبايعوه فى العشر الاواخر من رمضان سنة تسع وستين وثمانمائة ، وتم أمره وكان من قتله للسلطان عبد الحق ما تقدم ذكره والله أعلم.



(*) راجع ذلك فى «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» للشيخ أحمد بابا ص ٢٥٤ طبع فاس

و «نفح الطيب» للمقرئ - ج ٣ - صفحة ١٤٨

فتنة الشاوية ووصولهم الى بلاد الغرب



قد قدمنا ما كان من أمر الشاوية وفتنتهم في أيام السلطان عبد الحق .
ولما كانت أيام الحفيد هذا تزايد ضررهم واستطال شرهم فزحفوا الى بلاد
الغرب من أحواز مكناسة وفاس ، وعاثوا وأفسدوا ، ولما تكلم أبو عبد الله محمد
العربي الفاسي في «مرآة المحاسن» على الشيخ عبد الوارث الياصوتي وأنه أخذ عن
جماعة منهم: أبو النجاء سالم الروداني الشاوي ، والشيخ أبو عبد الله الصغير
السنهلي ، والشيخ أبو محمد الغزواني ، قال: «وكان الشيخ أبو النجاء أولا يقرأ
بالمدرسة العنانية ، فلما نزل الشاوية الغرب ، خرج من فاس خائفا يترقب ، وذلك
في أيام الحفيد» اهـ ، وبلاد الغرب تطلق في عرف أهله على خصوص بسيط
ازغار وما اتصل به الى ساحل البحر والله أعلم .



استيلاء البرتقال على مدينة آنفى وأصيلا



برأيت في بعض تواريخ الفرنج أن استيلاء البرتقال على آنفى كان في حدود
أربع وسبعين وثمانمائة ، وانهم هدموها وبقيت كذلك مدة تزيد على أربعين
سنة ، ثم شرعوا في تحصينها والبناء بها ، ولم يزالوا مقيمين بها الى حدود
أربع وخمسين ومائة وألف وفي سنة ست وسبعين وثمانمائة استولوا على
آصيلا ، وظفروا فيها بيت مال الوطاسي ، وأسروا ولده محمدا المدعوسو
البرتقالى ، وابنته وزوجتيه وجماعة من الاعيان ، وكان الخطب عظيما ،
وبقي ولد الوطاسي عند البرتقال سبع سنين ، ثم افتكه والده بعد ، وكان يوم
أسير، صيبا صغيرا ، وأما مدينة فضالة فلم يقع عليها استيلاء وانما كانت بها كمبانية
خمسة نفر من تجار مادريد قاعدة قشتالة ، نزلوها بقصد التجارة باذن سلطان

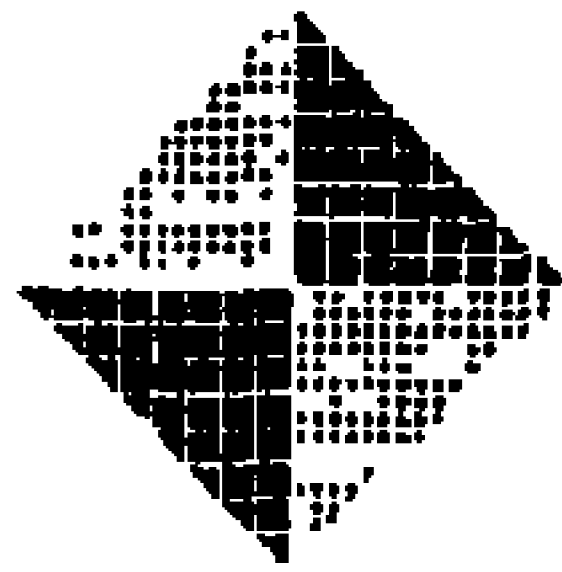
الوقت(*) وكانت سلعهم توسق وتوضع من مرساما ، وبنوا بها البناء الموجود اليوم
والله تعالى أعلم .



خلع السلطان ابي عبد الله الحفيد وانقراض امره



قال في «الجدوة» : «لما قامت عامة فاس على السلطان عبد الحق وأقاموا
هذا النقيب من أهل مدينة فاس اماما استمر بها ، وابنه وزير له ، الى سنة خمس
وسبعين وثمانمائة ، فعزل عن الامامة وكان الذي خلعه أبا الحجاج يوسف
ابن منصور بن زيان الوطاسي ، وكان ذلك سبب ذهاب الشريف المذكور
الى تونس لمدة يسيرة من خلعه ، وبقيت حضرة فاس الجديد في يد أخت أبي
الحجاج المذكور وهي الزهراء المدعوة بزهور ، مع قائده السجيري ، الى أن
تولى الامر أبو عبد الله محمد الشيخ الوطاسي » والله غالب على أمره .



(*) مولاي سليمان اه من خط مؤاده

الخبر عن دولتي بنى وطاس

وذكر نسبهم وأوليتهم



اعلم ان بنى وطاس فرقة من بنى مرين غير انهم ليسوا من بنى عبد الحق ، ولما دخل بنو مرين المغرب وافتسموا أعماله حسبما تقدم ، كان لبنى وطاس هؤلاء بلاد الريف فكانت ضواحيها لنزولهم وأمصارها ورعاياها لجبايتهم ، وكان بنو الوزير منهم يسمون الى الرياسة ويرومون الخروج على بنى عبد الحق ، وقد تكرر ذلك منهم حسبما مر ، ثم أذعنوا الى الطاعة وراضوا أنفسهم على الخدمة ، فاستعملهم بنو عبد الحق فى وجوه الولايات والاعمال واستظهروا بهم على أمور دولتهم ، فحسن أثرهم لديها وتعدد الوزراء منهم فيها ، وذكر ابن خلدون : « أن بنى الوزير هؤلاء يرون أن نسبهم دخیل فى بنى مرين ، وانهم من أعقاب يوسف بن ناشفين اللمتونى لحقوا بالبدو ونزلوا على بنى وطاس ووشجت فيهم عروفتهم حتى لبسوا جلدتهم ، ولم يزل السرو متربعا بين أعينهم لذلك والرياسة شامخة بانوفهم » اه ولما كانت دولة السلطان أبى عنان واستولى على بجاية ، عقد عليها لعمر بن على الوطاسى من بنى الوزير هؤلاء فتار عليه أهلها واستلحموه فى خبر مر التنبيه عليه .

ثم لما كانت الدولة الاولى للسلطان أبى العباس بن أبى سالم ، وخلص ملك مراکش وأعمالها الى ابن عمه الامير عبد الرحمن بن أبى يفلوسن ، كان من جملة من تحيز اليه وصار فى جملة ، زيان بن عمر بن على المذكور ، فكانت له فى دولته الوجاهة الكبيرة ، والمنزلة الرفيعة ، ثم لما فسد ما بين السلطان أبى العباس والامير عبد الرحمن كان زيان بن عمر فى جملة النازعين الى السلطان أبى العباس ، فاتصل به وصار فى جملة الى أن حاصر

السلطان أبو العباس قصبة مراکش ، وبها يومئذ الأمير عبد الرحمن ، فابلى زيان بن عمر في ذلك الحصار وكان أحد الذين باشروا قتل ولدى الإميتر عبد الرحمن .

قال ابن خلدون : « وطالما كان زيان هذا يمتري ثدى نعمتهم ويجر ذيله خيلاء في جاههم ، فذهب مثلاً في كفران النعمة وسوء الجزاء ، والله لا يظلم مثقال ذرة » . ثم جاء بعده ابنه أبو زكرياء يحيى بن زيان فولى الوزارة للسلطان عبد الحق كما مر ، ثم بعده ابنه يحيى أيضاً ، وهو الذي قتله السلطان عبد الحق في جماعة من عشيرته ، وفر أخوه أبو عبد الله محمد الشيخ إلى الصحراء وبقي متنقلاً في البلاد إلى أن كان من أمره ما نذكره .



الخبر عن دولة السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ بن أبي زكرياء .

الوطاسي رحمه الله



قد تقدم لنا ما كان من إيقاع السلطان عبد الحق ببنى وطاس وافلات محمد الشيخ ومحمد الحلو من النكبة ، وإن الشيخ كان قد خرج للصييد فاتصل به الخبر فذهب على وجهه لا يلوى على شيء ، وإن الحلو اختفى حتى إذا سكنت الهيعة تسلل ولحق بالشيخ فسارا إلى جهة الصحراء وجعلاً يترددان فيما بينها وبين البلاد الهبطية حتى ملكا آصيلاً ، وذلك قبل استيلاء البرتقال عليها . ولما ملك الشيخ آصيلاً واستفجل أمره بهاتشوفت إليه الأعيان من أهل فاس والرؤساء من أهل دولة السلطان عبد الحق وصاروا يكاتبونه ويقدمون إليه الوسائل سرا وربما دعوه إلى القدوم على أن يبذلوا له من الطاعة والنصرة ما شاء فاستمر الحال على ذلك إلى أن قتل عبد الحق وتوزع الخفيد ، فحيث أُرهِف الشيخ حده ، واستفرغ في المطالبة جهده ، إلى أن استولى على الحضرة وصفا له ملك المغرب

قال فى « المرأة » : « لما بايع أهل فاس أبا عبد الله الحفيد قام محمد الشيخ الوطاسى فى آصيلا واستبج القبائل واستنحل أمره ، وحاصر فاسا وقتا بعد وقت الى أن دخلت فى طاعته فى رمضان سنة ست وسبعين وثمانمئة . وخرج عنها الحفيد ودخلها محمد الشيخ المذكور فى أوائل شوال من السنة المذكورة وهو مورث الملك لبنيه بها » اه . وقد تقدم لنا أن الذى خلع الشريف من الملك هو أبو الحجاج يوسف بن منصور الوطاسى ، وان حضرة فاس الجديد قد بقيت بعد ذهاب الشريف الى تونس فى يد زهور الوطاسية والقائد السجىرى الى أن قدم السلطان محمد الشيخ والله تعالى أعلم .

وقال منويل فى أخبار محمد الشيخ هذا ما صورته : « كانت مملكة المغرب الأقصى فى غاية الاضطراب والانتكاس حتى طمع فى ملكها كل من كانت توسوس له نفسه بذلك ، واستولى ابن الأحمر على جميع الثغور التى كانت لبنى مرين بارض الاندلس ولم يترك لهم قيد شبر ، واشترأت أجناس الفرنج للتغلب على المغرب ، وفى تلك المدة كان باصيلا محمد الشيخ الوطاسى ، وكان شجاعا مقداما ، وأحس من نفسه بالقدرة على الاستيلاء على كرسى فاس وتنحية الشريف عنه ، لا سيما مع ما كان الناس فيه من افتراق الكلمة فجمع جندا صالحا وزحف الى فاس فبرز اليه الشريف والتقوا باحوار مكناسة فوقعست بينهما حرب عظيمة كانت الكرة فيها على الوطاسى ، ثم جمع عسكريا آخر وزحف به الى فاس وحاصرها نحو سنتين والشريف فيها مع أرباب دولته ، وفى أثناء الحصار ورد عليه الخبر باستيلاء البرتقال على آصيلا وعلى بيت ماله الذى كان بها وعلى حظايا وأولاده ، فأفرج عن فاس ورجع مبادرا الى آصيلا فحاصرها ، ولما امتنعت عليه عقد مع البرتقال هدنة وعاد سريعا الى فاس فحاصرها وضيق على الشريف بها حتى خرج فارا بنفسه وأسلمها اليه فدخلها محمد الشيخ وتمت بيعته وتفرغ لتدوين القبائل التى باحوار فاس وغيرها ، فدخلوا فى طاعته واغتبطو به » اه كلامه .

رياسة بنى راشد من شرفاء العلم بغمارة وبنائهم مدينة شفشاون

وما يتبع ذلك



قال فى «نشر المثنى»: اختط بعض شرفاء العلم مدينة شفشاون بقصد تحصين المسلمين من نصارى سبتة ، اذ كانوا بعد استيلائهم عليها يتطاولون على أهل تلك المداشر فى أواخر دولة بنى وطاس .

وقال فى «المرآة» : «كان ابتداء اختطاط مدينة شفشاون فى الجهة المعروفة عندهم بالعدوة ، وهى عدوة وادى شفشاون ، فى حدود سنة ست وسبعين وثمانمائة ، على يد الشريف الفقيه الصالح الناصح المجاهد أبى الحسن بن أبى محمد المعروف بأبى جمعة العلمى ، واسمه الحسن بن محمد ابن الحسن بن عثمان بن سعيد بن عبد الوهاب بن علال بن القطب أبى محمد عبد السلام بن مشيش ، ومات شهيدا قبل اتمام ما شرع فيه ، بتدبير النصارى دمرهم الله مع أهل النفاق اذ ذاك من أهل الخروب ، وقد جاءهم فى سيل الجهاد وبينما هو يتعجد من الليل فى مسجد هنالك ، اذ أضرموه عليه نارا فمات رضوان الله عليه ، وقام مقامه فيما كان بسيله من الجهاد والاستنفار له وتجييش الجيوش ابن عمه الامير الجليل ، الفاضل الاصيل ، أبو الحسن على بن موسى بن راشد بن على بن سعيد بن عبد الوهاب الى آخر النسب المتقدم ، فشرع فى اختطاط مدينة شفشاون فى العدوة الاخرى فبنى قصبتها وشيدها وأوطنها باهله وعشيرته ، ونزل الناس بها فبنوا وصارت فى عداد المدن الى أن توفى سنة سبع عشرة وتسعمائة ، وورثها بنوه من بعده ولم يزالوا فيها بين سلم وحرب الى أن أخرجهم منها الشرفاء السعديون عند استيلائهم على بلاد المغرب والله تعالى أعلم .



ثورة عمرو بن سليمان السيف ببلاد السوس وشيء من أخباره



هذا الرجل هو عمرو بن سليمان الشيطمي المغطى المعروف بالسيف، ويقال له المريدي بضم الميم، وكان ابتداء أمره أنه كان من تلامذة الشيخ أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي صاحب دلائل الخيرات، نقل البقان أنه كان يتردد إلى الشيخ المذكور، أيام حياته وبأثني بألواح فيها كلام كثير منسوب إلى الخضر عليه السلام، فلا يقول له في ذلك شيئاً غير أنه أثنى عليه مرات كثيرة، ثم لما مات الشيخ المذكور رحمه الله سنة سبعين وثمانمائة ثار عمرو المذكور مظهرًا للطلب بثار الشيخ والانتقام من الذين سموه، إذ كان سمه بعض فقهاء عصره، فتبعهم حتى قتلهم، ثم صار يدعو الناس إلى إقامة الصلاة ويقاتلهم عليها، فانتصر عليهم وشاع ذكره وتمكن ناموسه، ثم تجاوز ذلك إلى أن صار يدعو الناس إلى نفسه ويقتل المنكرين عليه وعلى شيخه وأصحابه، وسمى أصحابه المريدين، بضم الميم، قال زروق: «وما أحقها بالفتح» وسمى المخالفين له الجاحدين ثم جعل ينفوه بالمغيات ويزعم أنه مأذون، وربما ادعى النبوة. وكان قد أخرج شلو الشيخ الجزولي من قبره وجعله في تابوت وصار يقدمه بين يديه في جروبه كتابوت بنى إسرائيل فينتصر على من خالفه، وقيل أنه لم يدفنه وإنما أخذته بعينه موته فكيفه وجعله في التابوت، وجمع الجموع، وقاد الجيوش، وسفك الدماء، واستمرت فنتته في الناس عشرين سنة.

قال الشيخ زروق رحمه الله: «بلغني أن شيخنا الفقيه أبا عبد الله القوري ورد عليه سؤال في شأن عمرو بن سليمان السيف فبادرت إليه كي أرآه فقال لي: (قد خرج من يدي)، فقلت له: (فما مقتضاه؟)، قال: (مقتضاه أنه يقول: إن أحكام الكتاب والسنة ارتفعت ولم يبق إلا ما يقول له قلبه). قال زروق: «وشاع من أمره أنه يقول: أنه وارث النبوة، وإن له أحكاما تخصه كما في قصة الخضر مع موسى عليهما السلام، وإن الخضر حي، ونبي مرسل، وأنه يلقاه يأخذ عنه، بل يدعى ذلك من هو دونه من تلامذته».

وحكى بعضهم أن عمرا المذكور لما جعل شلو الشيخ فى التابوت ، كان اذا رجع به من حربه وضعه فى روضة عنده بسميها الرباط ، فاذا جنه الليل أطاف الحرس بالروضة يحرسون التابوت من السراق ويوقد عليه كل ليلة فتيلة عظيمة فى مقدار الثوب مغموسة فى نحو مدين من الزيت ليقوى الضوء ويتشرب ، ويبلغ من كل الجهات الى مسافة بعيدة ، فنكشف الطرق عمسن يأتى عليها ، كل ذلك مخافة أن يؤخذ منه شلو الشيخ فينتصر به عليه .

ويقال: ان ثورة عمرو المذكور وفتنته كانت أثرا من آثار دعوات الشيخ الجزولى رحمه الله ، فقد ذكر تلامذته كالشيخ التباع وغيره : أن الشيخ الجزولى خرج عليهم من آخر الليلة النى قل فى صبيحتها ، فقالوا له : «باسيدى الناس يزعمون انك الفاطمى المنتظر» فقال : « ما يبحثون الا عن يقطع رقابهم ، الله يسلط عليهم من يقطع رقابهم » وكرر ذلك مرارا ، فكانوا يرون أن أثر دعوته ظهر فى عمرو السيف والله أعلم .

وقتل عمرو المذكور سنة تسعين وثمانمائة واختلف فيمن قتله ، فقيل كان عمرو قد تزوج زوجة الشيخ الجزولى وبنته فلما رأتا ما هو عليه من الزندقة والفساد فى الارض قتلناه امنعا للدين ، ترصدتاه حتى اذا نام عدتا عليه فقتلناه ثم رمت احدهما وهى بنت الشيخ بنفسها من كوة هناك فى البيت الذى كانوا به فوصلت الى الارض سالمة ونجت ، وبقيت الاخرى ، وهى الزوجة ، بالبيت فدخلوا عليها فقتلوها . وقيل : انما قتلنه زوجته وربيتة ، وقيل : غير ذلك والله أعلم .

ولما هلك عمرو السيف دفن الناس الشيخ الجزولى ، وقيل : هو دفنه بموضع يعرف بتاصروت ثم نقل بعد الى مراکش على ما نذكر ان شاء الله ولما ذكر الشيخ أبو الغباس الصنومغنى فى كتابه الموضوع فى مناقب الشيخ أبى يعزى قصة نقل الشيخ الجزولى الى مراکش ، وانه وجد طريقا لم يتغير بعد وفاته بنحو سبعين سنة ، قال : « وأعجب من هذا أن عمرا المغطى السيف زعموا أنه وجد كذلك ، ولعله أدركه بركة هذا الشيخ مع ما كان عليه والفضل بيد الله » اهـ .

وفى سنة احدى وتسعين وثمانمائة استدعى السلطان محمد الشيخ الامام
أبا عبد الله بن غازى من مكناسة الى فاس فولى الخطابة أولا بالمسجد الجامع
من فاس الجديد ثم ولى الامامة والخطابة ثانيا بمسجد القرويين من فاس وصار
شيخ الجماعة بها واستوطنها الى أن مات رحمه الله .

وفى سنة خمس وتسعين وثمانمائة تحرك السلطان محمد الشيخ الى
دبدو ثم عاد الى حضرته . وفيها أيضا فى يوم الخميس السابع من ذى القعدة
توفى الوزير أبو عبد الله محمد الحلو الوطاسى ودفن بالقلة خارج باب
الجيسة .

وفى سنة سبع وتسعين وثمانمائة استولت الرينة ايسابيللا صاحبة مادريد
قاعدة بلاد قشتالة على حمراء غرناطة ومحتدولة بنى الاحمر من جزيرة الاندلس
ولم يبق للمسلمين بها سلطان ، وتفرق أهلها فى بلاد المغرب وغيرها أياى
سبا ، وقد تقدم الخبر عن ذلك مستوفى .



بناء مدينة تطاوين



قال منويل: « لما استولى الاصبنيول على غرناطة خرج جماعة كبيرة من أهلها
الى المغرب فنزلوا فى مرتيل قرب تطاوين ولما نزلوا به لم يقدموا شيئا على
الوفادة على سلطان فاس محمد الشيخ الوطاسى ، فأجل مقدمهم ورحسب
بهم ، فقالوا : ان ضيافتنا عندك أن تعين لنا موزعا نبني فيه بلدا يكتنا ونحفظ فيه
عيالنا من أهل الريف » فأجابهم الى مرادهم وعين لهم مدينة تطاوين الحربة منذ تسعين
سنة وولى عليهم كبيرهم أبا الحسن عليا المنظري ، وكان رجلا شجاعا من كبار
جند ابن الاحمر ، وكان قد أبلى معه فى حرب غرناطة البلاء الحسن ثم انتقل
الى المغرب كما قلنا ، ولما عقد له الشيخ الوطاسى على أصحابه رجوع بهم الى
تطاوين وشرع فى بناء أسوار البلد القديم ، فجدهه وبنى المسجد الجامع به
واستوطنه هو وجماعته ، ثم أخذ فى جهاد البرتقال بسبته وبلاد الهبط الى أن

أسر منهم ثلاثة آلاف فاستخدمهم في اتمام ما بقي عليه من بناء تطاوين ،
واتصلت الحرب بينهم وبين برتقال سبتة كاتصالها بين أهل آزمور وبرتقال
الجديدة « اه .

وقوله ان بناء تطاوين كان عقب أخذ غرناطة مخالف لما يقول
أهل تطاوين من أن تاريخ بنائها رمز : «تفاحة» ، وان ذلك كان باعانة الشريف
أبى الحسن على بن راشد ، فيظهر والله أعلم أن أبا الحسن المنظري كان قد
قدم من الاندلس قبل أخذ غرناطة بسنين يسيرة موافق الرمز المذكور ، والله
أعلم .



قدوم ابي عبد الله ابن الاحمر مخلوعا على السلطان محمد الشيخ الوطاسي
رحمهما الله



لما استولى طائفة الاصبنيول على حضرة غرناطة وسائر الاندلس ، انتقل
سلطانها أبو عبد الله ابن الاحمر الى حضرة فاس فاستوطنها تحت كنف
السلطان محمد الشيخ بعد أن خاطبه من انشاء وزيره أبى عبد الله محمد
العربي العقيلي بقصيدة بارعة يقول في صدرها :

مولى الملوك ملوك العرب والعجم	رعيا لما مثله يرعى من الذمم
بك استجرنا ونعم الجار أنت لمن	جار الزمان عليه جور منتقم
حتى غدا ملكه بالرغم مستلبا	وأفطع الخطب ما يأتي على الرغم
حكم من الله حتم لا مرد له	وهل مرد احكم منه منتقم

وهي طويلة . ثم وصلها برسالة يقول فيها بعد الحمد لله والصلاة على
نبيه ما نصه .

« أما بعد فبامولانا ، الذي أولانا من النعم ما أولانا ، لا حط الله لكم
من العزة اوراقا ، ولا أذوى لدوحة دولتكم أغصانا ولا أوراقا ، ولا زالت
مخضرة العود ، مبتسمة عن زهرات البشائر متحفة بثمرات السعد ،
ممتورة بسحاب البركات المتداركات دون بروق ولا رعود ، هذا مقام العائد

بمقامكم ، المتعلق بأسباب ذمامكم ، المرتجى اعواطف قلوبكم ، وعوارف انعامكم ، المقبل الارض تحت أقدامكم ، المتلجلج اللسان عند محاولة مفاتحة كلامكم ، وماذا الذى يقول من وجهه خجل وفؤاده وجل ، وقضيته المقضية عن التنصل والأعتذار تجل ؟ بيد أنى أقول لكم ما أقوله لربى ، واجترأى عليه أكثر واخترامى اليه أكبر ، « اللهم لا برىء فاعتذر ، ولا فوى فأنصصر » لكنى مستقيل مسنعتب مستغفر ، « وما أبرئ نفسى ، ان النفس لأماراة بالسوء » هذا على طريق التنازل والاتصاف بما تقضيه الحال ممن يتحيز الى حيز الانصاف . وأما على جهة التحقيق ، فأقول ما قالته الام ابنة الصديق : « والله انى لا علم أنى ان أقررت بما يقوله الناس والله يعلم أنى منه بريئة لا قول ما لم يكن ، ولئن أنكرت ما تقولون لاتصدقونى . فأقول ما قاله أبو يوسف : « فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون » على انى لا أنكر عيوبى فانا معدن العيوب ، ولا أجحد ذنوبى فانا جبل الذنوب ، الى الله أشكو عجرى وبجرى ، وسقطاتى ، وغلطاتى . نعم ، كل شىء ولا ما يقوله المتقول المشنع المهول ، الناطق بفم الشيطان المسول ، ومن أمثالهم : « سبنى واصدق ، ولا تفتر ولا تخلق » أفمنلى كان يعمل أمبالها ويحتمل من الاوزار المضاعفة أحمالها ، ويهلك نفسه ويحبط أعمالها ؟ عياذا بالله من خسران الدين وإيثار الجاحدين والمعتدين ، « قد ضللت اذا وما أنا من المهنيين » وأيم الله لو علمت شعرة فى فودى تميل الى تلك الجهة لقطعتها ، بل لقطفت ما تحت عمامتى من هامتى وفطفتها ، غير أن الرعاع فى كل أوان أعداء الملك وعليه أحزاب وأعوان ، كان أحق أو أجهل من أبى ثروان ، أو أعقل أو أعلم من اشج بنى مروان « رب متهم بربى » ، ومسربل بسربال وهو منه عرى ، وفى الاحاديث صحيح وسقيم ، ومن التراكيب المنطقية منتج وعقيم ، ولكن ثم ميزان عقل تعتبر به أوزان النقل ، وعلى الراجح الاعتماد ، ثم اساعة الاحماد المتصل المتباد والمرجوح الاطراح ، ثم التزام الصراح ، بعد النفض من الراح ، وأكرر ما تسمعه الكذب ، وطبع جمهور الخلق الامن عصمه الله تعالى اليه منجذب ، واقد قذفنا من الاباطيل باحجار ، ورمينا بما لايرمى به الكفار ، فضلا عن

الفجار ، وجرى من الامر المنقول على لسان زيد- وعمر و ما لديكم منه بحفظ الجار ، واذا عظم الالكاء ، فعلى تكأة التجلد- الاتكاء ، أكثر المكثرون ، وجهد في تعيرنا المتعشرون ، ورمونا عن قوس واحدة ، ونظمنونا في سلك الملاحدة أكفرا أيضا كفرا ؟ ، غفرا اللهم غفرا ، أعد نظرا يا عبد نفيس ، فليس الامر على ما خيل لك ليس ، وهل زدنا على أن طلبنا حقنا - ممن رام بحقه ومحققا فطاردنا في سبيله عداة كانوا لنا غائطين ، فانفتق علينا فتق لم يمكننا له رتق ، «وما كنا للغيب حافطين» ، وبعد فاسأل أهل الحل والعقد والتميز والنقد ، فعند جهيتهم تلقى الخبر يقينا ، وقد رضينا بحكمهم يوثمنا فيوبقنا ، أو يبرئنا فيقينا . ايه يامن اسرأب الى ملامنا ، وقدح حتى في اسلامنا ، رويدا رويدا فقد وجدت قوة وايدا ، ويحك انما طال لسانك علينا ، وامتد بالسوء الينا ، لان الزمان لنا مضمر ولك مكبر ، والامر عليك مقبل وعنا مدير ، كما قاله كاتب الحجاج المثبر : وعلى الجملة فهبنا صرنا الى تسليم مقالك جدلا ، وذهبنا فافقرنا بالخطا في كل ورد وصدر فله در القائل :

«ان كنت أخطأت فما أخطأ القدر» وكأنا بمعسفت اذا وصل الى هنا ، وعدم انصافا يعلمه الهنا ، قد ازور متجافنا ، ثم افتر متهانفا وجعل تمثل بقولهم : «اذا غيروا قالوا : مقادير قدرت» وبقولهم : «المرء يعجزه الحال ، فيعارض الحق بالباطل ، والحالى بالعاطل» وينزع بقول القائل «رب مسمع هائل وليس تجته طائل» : وقد فرغنا أول أمس من جوابه ، وتركنا الضغن يلصق - حرارة الجوى به ، وسلم الآن بما يوسعه تبكيتا ، ويقطعه تسكيتا ، فنقول له : ناشدناك الله تعالى هل اتفق لك قط وعرض خروج أمر ما عن القصد منك فيه والغرض ، مع اجتهادك أثناء في اصدارك ، وايرادك في وقوعه على وفق اقتراحيك ، ومرادك ، أو جميع ما تراوله بادارتك لا يقع الا مطابقا لارادتك ، أو كل ما تقصده وتنويه تحرزه كما تشاء وتحويه ؟ فلا بد أن يقر اضطرار - مرارا بان مطلوبه يشذ عنه مرارا ، بل كثيرا ما يفات صيده من أشراكه ، ويطلبه فيعجز عن ادراكه ، فنقول : ومسألتنا من هذا القيل : أيها النبيه النيل ، ثم نسرد له من الاحاديث النبوية ما شئنا ، مما يسايرنا في غرضنا منه ويمانينا ،

كقوله صلى الله عليه وسلم : « كل شيء بقضاء وقدر نحتي العجز والكيس »
وفوله أيضا : « لو اجتمع أهل السموات والارض على أن ينفعوك بشيء لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يقضه الله عليك لم يقدروا عليه » أو كما قال صلى الله عليه وسلم . فاخلق به أن يلوذ
بأكناف الاحجام ، ويؤزم على نفث فيه كأنما الجحيم بلجام . حينئذ نقول له ، والحق
قد أبان وجهه وجلاله وقهره بحجته وعلاه . « ليس لك من
الامر شيء » « قل ان الامر كله لله » ، وفي محاجة آدم
وموسى ما يقطع لسان الخصم ، ويرخص عن أثواب أعراضا ما عسى أن يعلق
بها من درن الوصم ، وكيفما كانت الحال ، وان ساء الرأى والانتحال ووقعنا
فى أوجال وأوجال ، فقل عرشنا ، وطويت فرشنا ، ونكس لوانا ، وملك مثوانا فنحن
أمثل من سوانا ، « وما فى الشر خيار » ويد اللطاف تكسر من صولة الاغيار ،
فحتى الآن لم نفقد من اللطيف تعالى لطفا ، ولا عدما أدوات أدعية تعطف
بلا مهلة على جملتنا المقطوعة جمل النعم الموصولة عظفا ، والا فتلك بغداد دار
السلام ، ومتبوا الاسلام ، المحفوف بفرسان السيوف والافلام مثابة الخلافة
العباسية ، ومقر العلماء والفضلاء أولى السير الاويسية ، والعقول الايسية ،
قد نوزلت بالجيوش ونزلت ، وزوولت بالزخوف وزلزلات ، وتحيف جوانبها
الحيف ، ودخلها كفار التار عنوة بالسيف ، ولا تسل اذ ذاك عن كيف ،
أيام تجلت عروس اللنية ، كاشفة عن ساقها مبدية ، وجرت الدماء فى
الشوارع والطرق كالانهار والادوية ، وقيد الاثمة والقضاة تحت ظلال
السيوف المنتضاة بالعمائم فى رقابهم والاردية ، وللنجيع سيول تخوضها
الخيول فتخضبها الى ارساعها ، وتهم ظمأؤها بوردها فتتكل عن تجرعها ومساغها ،
فطاح عاصمها ومستعصمها ، وراح ولم يغد ظالمها ومتظلمها ، وحربنت
مساجدها وديارها ، واصطلم بالحسام أشرارها وخيارها ، فلم يبق من جمهور
أهلها عين تطرف ، حسبما عرفت أو حسبما تعرف ، فلاتك متشككا منوقفا ،
فحديث تلك الواقعة الشنعاء أشهر عند المؤرخين من قفا ، فأين تلك الجحافل
والآراء المدارة فى المحافل ؟ حين أراد الله تعالى بادالة الكفر لم تجد ولا

قلامة ظفر، اذن من سلمت له نفسه التي هي رأس ماله، وعياله وأطفاله اللذان هما من أعظم آماله ، وكل أو جل أو قل ريشه وأسباب معاشه الكفيلة بانتهاضه وانتعاشه ثم وجد مع ذلك سييلا الى الخلاص في حال مياسرة ومساهلة دون تعصب واعتياص، بعد ما ظن كل الظن أن لامحيد ولا مناص فما أحقه حينئذ وأولاه أن يحمد خالقه ورازقه ومولاه ، على ما أسداه اليه من رفته وخيره ، ومعافاته مما ابلى به كثير من غيره ، ويرضى بكل ايراد واصدار ، تتصرف فيهما الاحكام الالهية والاقدار ، فالدهر غدار ، والدنيا دار مشحونة بالاكدار والقضاء لا يرد ولا يصد ولا يغالب ولا يطالب، والدوائر تدور، ولا بد من نقص وكمال للبدور ، والعبد مطيع لا مطاع ، وليس يطاع الا المستطاع ، وللخالق القدير جلت قدرته في خليقته علم غيب للاذهان عن مداه انقطاع، ومالي والتكلف لما لا أحتاج اليه من هذا القول، بن يدي ذى الجلالة والمجادة والفضل والطول، فله من العقل الارجح ومن الخلق الاسجح ما لا تلتاظ معه تهمنى بصفره ، ولا تنفق عنده وشاية الواشى لاعد من نفره ، ولا فاز قدحه بظفره ، والمولى يعلم أن الدنيا تلعب باللاعب ، وتجر براحتها الى المتاعب ، وقديما للاكياس من الناس خدعت ، وانحرفت عن وصالهم أعقل ما كانوا وقطعت ، وفعلت بهم ما فعلت بيسار الكواعب الذى جبت وجدعت ، ولئن رهصت وهصرت فقد نبهت وبصرت ، ولئن قرعت ومعضت لقد أرشدت ووعظت ، وياويلنا من تنكرها لنا بمرة ، ورميها لنا فى غمرة أى غمرة ، أيام قلبت لنا ظهر المجن ، وغيم أفقها المصمى وأدجن ، فسرعان ما عاينا جبالها منبته ، ورأينا منها ما لم نحسب كما تقوم الساعة بفته ، فمن استعاذ من شىء فليستعذ مما صرنا اليه من الحور بعد الكور ، والانحطاط من النجد الى الغور :

فينا نسوس الناس والامر أمرنا اذا نحن فيهم سوقة تنتصف
فتبا لدنيا لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرف
وأبينا لقد أرهقتنا ارهاقا ، وجرعنا من صاب الاوصاب كأسا دهاقا ،
ولم نفرع الى غير بابكم المنيع الجنب المفتوح حين سدت الابواب ، ولم نلبس
غير لباس نعمائكم حين خلعنا ما ألبسنا !! لك من الاثواب ، والى أمه يلجأ
(الاستقصا رابع - 9)

الطفل لجأ للهفان، وعند الشدائد تمناز السيوف من الاجفان ، ووجه الله تعالى
يبقى وكل من عليها فان ، والى هنا ينتهى القائل ثم يقول : حسبى هذا وكفان .
ولا ريب فى اشتغال العلم الكريم على ما تعارفه الملوك بينها فى الحديث والقديم من
الاخذ باليد عند زلة القدم، وقرع الانسان وعض البنان من الندم، دينان دينته مع اختلاف
الاديان وعادة اطردت على تعاقب الازمان والاحيان، ولقد عرض علينا صاحب قشالة
مواضع مغبرة خير فيها ، وأعطى من أمانه المؤكد فيه خطه بأيمانه ما يقنع
النفوس ويكفيها ، فلم نر ، ونحن من سلالة الاحمر ، مجاورة الصفر، ولا سوغ
لنا الايمان الاقامة بين ظهرائى الكفر، ما وجدنا عن ذلك مندوحة ولو شاسعة، وأما
المطالب المشاغب حمة شر لنا لا سعة ، وادكرنا أى اذكار قول الله تعالى
المكر لذلك غاية الانكار: « ألم تكن أرض الله واسعة » وقول الرسول عليه الصلاة
والسلام المبالغ فى ذلك بأبلغ الكلام: « أنا برىء من مؤمن مع كافر تترأى ناراهما »
وقول الشاعر الحاث على حث المطية المتافلة عن السير فى طريق منجاتها البطية:
وما أنا والتلذذ نحو نجد وقد غصت تهامة بالرجال

ووصلت أيضا من الشرق إلينا كتب كريمة المقاصد لدينا ، تستدعى
الانحياز الى تلك الجنبات ، وتتضمن مالا مزيد عليه من الرغبات ، فلم نختر
الا دارنا التى كانت دار آبائنا من قبلنا ، ولم نرتض الانضواء الا لمن بجلبه
وصل حبنا ، وبريش نبله ريش نبلنا ، ادلالا على محل اخاء متوارث لا عن
كلالة ، وامثالا لوصاة أجداد لا نظارهم وأقذارهم اصالة وجلاله ، اذ قد
روينا عن سلف من أسلافنا فى الايصاء لمن يخلف بعدهم من أخلافنا :
أن لا يتغوا اذا دهمهم أمر بالحضرة المرينية بدلا ، ولا يجدوا عن طريقها
فى التوجه الى فريقها معدلا ، فاخترقنا الى الرياض الارضية الفجاج ، وركبنا
الى البحر الفرات ظهر البحر الاجاج ، فلا غرو أن نرد منه على ما يقر العين
ويشفى النفس الشاكية من ألم البين ، ومن توصل هذا التوصل وتوصل
بمثل ذلك التوصل تطارحا على سدة أمير المؤمنين ، المحارب للمحاربين ،
والمؤمن للمستأمنين ، فهو الخلق الحقيق بأن يسوغ أنصفى مشاربه ويبلغ أوفى
مآربه على توالى الايام والشهور والسنين ، ويخلص من الثبور الى الحبور

ويخرج من الظلمات الى النور خروج الجنين ولعل شعاع سعادته يفيض علينا، ونفحة قبول اقباله تسرى اليها فتخامرنا أريحية تحملنا على أن نبادر لانشاد قول الشريف الرضى فى الخليفة القادر .

عظفا أمير المؤمنين فأننا فى دوحة العلياء لا تتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت أبدا كلانا فى المعالى معرق
الا الخلافة ميزتك فأنسى أنا عاطل منها وأنت مطوق

لا بل الاخرى بنا والاحجى ، والانجح لسعينا والارجى ، أن نعدل عن هذا المنهاج، ويقوم وافدنا بين يدي علاه مقام الخاضع المتواضع الضعيف المحتاج وينشد ما قال فى الشيرازى ابن حجاج :

الناس يقدونك اضطرارا منهم وأفديك باختياري
وبعضهم فى جوار بعض وأنت حتى أموت جاري
فحش اخبزي وعش للمائى وعش لدارى وأهل دارى

ونستوهب من الوهاب تعالى جلت أسماؤه ، وتعاضمت نعمائوه ، رحمة تجعل فى يد الهداية أعتتنا وعصمة تكون فى مواقف المخاوف جنتنا ، وقبولا يعطف علينا نوافر القلوب ، وصنعا يسنى لنا كل مرغوب ومطلوب، ونسأله، وطالما بلغ السائل سؤلا ومأمولا ، متابا صادقا على موضوع الدم محمولا ، ثم عزاء حسنا وصبرا جميلا ، عن أرض أورثها من شاء من عباده معقبا لهم ومديلا ، وسادلا عليهم من ستور الاملاء الطويلة سدولا ، «سنة الله التى قد خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » فليطر طائر الوسواس المرفرف مطيرا «كل ذلك كان فى الكتاب مسطورا» لم نستطع عن مورده صبدورا ، « وكان أمر الله قدرا مقدورا » ، الا وان لله سبحانه فى مقامكم العالى الذى أيده وأعانه سرا من النصر يترجم عنه لسان من النصل ، وترجع فروع البشائر الصادقة بالفتوحات المتلاحقة من قاعدته المتأصلة الى أصله، فبمثله يجب اللياد والعياذ ولشبهه يحق الالتجاء والارتجاء ، ولامر ما آثرناه واخترناه ، بعد أن استرشدنا الله سبحانه واستخرناه ، ومنه جل جلاله

نرغب أن يخير لنا ولجميع المسلمين ، ويأوب بنا من حمايته ووقايته الى معقل منيع وجناب رفيع . آمين ، آمين ، آمين . ونرجو أن يكون ربنا الذى هو فى جميع الامور حسبنا قد خار لنا حيث أرشدنا وهدانا ، وساقنا نوفيقه وحدانا الى الاستجارة بملك حفى ، كريم وفى ، أعز جارا من أبى دواد ، وأحمى أنفا من الحرث بن عباد ، يشهد بذلك الدانى والقاصى والحاضر والباد ، ان أغاث ملهوفاً فما الاسود بن قنان يذكر ، وان أنعش حشاشه هالك فما كعب بن مامة على فعله وحده يشكر ، جليسه كجليس القعقاع بن شور ، ومذاكره كمذاكر سفيان المنتسب من الرباب الى ثور ، الى النحلى بأمهات الفضائل التى أضادها أمهات الرذائل وهى الثلاث : الحكمة والعدل والعفة التى تشملها الثلاثة : الاقوال ، والافعال ، والشمائل ، وينشأ عنها ما شئت من عزم وحزم وعلم وحلم ، وتيقظ وتحفظ وإتقاء وارتقاء ، وصول وطول وسماح نائل ، فنبور حلاه المشرق يفتخر المغرب على المشرق ، وبمجده السامى خطره فى الاخطار وبيته الذى ذكره فى النباهة والنجابة قد طار ، يباهى جميع ملوك الجهات والاقطار ، وكيفلا ، وهو الرفيع المسمى والنجار ، الراضع من الطهارة صفو البان الناسى من السراوة وسط أحجار فى ضضىء المجد وبحبوح الكرم ، وسرواه أسرة المملكة التى أكنافها حرم ، وذؤابة الشرف التى مجادتها لم ترم ، من معشر أى معشر بخلوا أن وهبوا ما دون أعمارهم ، وجبنوا ان لم يحموا سوى دمارهم . بنو مرين ، وما ادراك ما بنو مرين « سم العداة وآفة الجزر » « النازلون بكل معترك » والطيبون معاقد الازر « لهم عن الهفوات انتفاء ، وعندهم من السير النبوية اكتفاء انتسبوا الى بر بن قيس ، فخرجوا فى البر عن القيس ، مالههم القديم المعروف قد نفذ فى سبيل المعروف ، وحديثهم الذى نقلته رجال الزخوف من طريق القنا والسيوف على الحسن من المقاصد موقبوف ، تحمد من صغيرهم وكبيرهم ، ذابلهم ولدنهم فله آباء أنجبوهم ، وأمهات ولدنهم ، « شم الانوف من الطراز الاول » اليهم فى الشدائد الاستناد ، وعليهم فى الازمات المعول ، ولهم فى الوفاء والصفاء والاحتفاء والعناية

والحماية والرعاية الخطو الواسع والباع الاطول ، كأنما عناهم بقوله جرول :

أولئك قوم ان بنو أحسنوا البنا وان عاهدوا وفوا وان عقدوا شدوا .

وان كانت النعماء فيهم جزوا بها وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا

وتعذلى أبناء سعد عليهم — وما قلت الا بالذى علمت سعد

وبقول الوثيق مبناء البليغ معناه :

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوفه الكربا

يزيحون عن النزيل كل نازح قاصم ، وليس له منهم عائب ولا واصم ،

فهو أحق بما قاله في منقر قيس بن عاصم :

لا يفتنون لعيب جارهم وهم لحفظ جوارهم فطن

حلاهم هذه الغريزة التى ليست باستكراه ولا جعل ، وأمير المؤمنين دام

نصره قسيمهم فيها حذو التعل بالنعل ، ثم هو عليهم وعلى من سواهم بالاوصاف

الملوكية مستعل ، ارفض مزنيهم منه عن غيث ملث يمحو آثار اللزبة ، وانشق

غيلهم منه عن ليث ضار منقبض على برائنه للوثبة ، فقل لسكان الفسلا : لا

تغرنكم أعدادكم وأمدادكم فلا يبالى السرحان المواشى سواء مشى اليها النقرا أو

الجفلى بل يصدمهم صدمة تحطم منهم كل عرينين ، ثم يتلع بعد أشلاءهم للمعفرة ابتلاع

الننين ، فهو هو كما عرفوه وعهدوه وألفوه ، وأخو المنايا « وابن جلا وطلاع

النايا » ، مجتمع أشده ، قد احتكت سنه وبان رشده ، جاد مجده ، محتزم

بحزام الحزم مشمر عن ساعد الجد .

لا يشرب الماء الا من فليب دم ولا يبيت له جار على وجل

اسدى القلب آدمى الروا ، لابس جلد النمر يزنى العناد والنوى ،

وليس بشارى عليه دمامة اذا ما سعى يسعى بقوس وأسهم

ولكنه يسعى عليه مفاضة دلاص كأعيان الجراد المنظم

فالنجاء النجاء سامعين له طائعين ، والوجل الوجل لا حقين به خاضعين قبل أن

تساقوا اليه مقرنين فى الاصفاد ، ويعبى الفداء بنفائس النفوس والاموال

على الفاد ، حينئذ يعض ذو الجهل والفدامه على يديه حسرة وندامه ، اذا

رأى أبطال الجنود تحت خوافق الرايات والبنود ، قد لفحتهم نار ليست

بذات خمود، وأخذتهم صاعقة مثل صاعقة الذين من قبلهم عاد وثمود، زعقات
تؤز الكتائب أزا وهمزا، محققا للخيل بعد المد المشبع للاغنة همزا، وسلا
للهندية سلا وهزا للخطية هزا، حتى يقول النسر للذئب: «هل تحس منهم من
أحد أو تسمع لهم ركزا:» ثق خليفة الله بذلك في كل من رام أذى رعيتك
أو أذاك، فتلك عادة الله سبحانه في ذوى الشقاق والنفاق، الذين يشقون
عصا المسلمين ويقطعون طريق الرفاق، وينصبون حبائل البغى والفساد في
جميع النواحي والآفاق، فلن يجعلهم الله عز وجل من الآمنين، أنى
وكيف وقد أفسدوا وخانوا وهو سبحانه «لا يصلح عمل المفسدين» و«ولا يهدى
كيد الخائنين» وها نحن قد وجهنا إلى كعبة مجدكم وجوه صلوات التقديس
والتعظيم، بعد ما زينا معاطفها باستعطافكم بدر ثناء أبهى من در العقد النظيم
منتظمين في سلك أوليائكم، مشرفين بخدمة عليائكم، ولا فقد عزة ولا عدمها
من قصد مثابكم العريزة وخدمها، وإن الترامى على سنائككم لجدير بحرمتكم
واعتنائكم، وكل ملهوف تبوأ من كنفكم حصنا حصينا عاش بقية عمره
محروسا من الضيم مصونا، وقد قيل في بعض الكلام: «من قعدت به نكاية الأيام
أقامته اغائة الكرام»، ومولانا أيدى الله تعالى ولى ما يزفه إلينا من مكرمة بكر،
ويصنعه لنا من صنيع حافل يخلد في صحائف حسن الذكر، وبروى مغن عن
حديث حمده وشكره طرس عن قلم عن بنان عن لسان عن فكر، وغيره من
بنام عن ذلك فيوقظ، ويسترسل مع الغفلة حتى يذكر ويوعظ، وما عهد منذ
وجد إلا سريعا إلى داعى التدى والتكرم بريثا من الضجر بالمطالبة والتبرم،
حافظا للخار الذى أوضى النبى صلى الله عليه وسلم بحفظه، مستفرغا وسعه
فى رعيه المستمر ولحظه، آخذا من حسن الثناء فى جميع الاوقات والآثناء
بحظه.

ليس يحتاج مجتنيه لهـ
وذراه فى الجوف أمنع حرز
فتفهم يا مدعى الفهم لفـ
نظرة منه فيك تغنى وتجزى

فهو من دوحة السنا فرع عز
كفه فى الامحال أغزر وبـ
حلمه يسفر اسمه لك عنه
لا تسله شيئا ولا تستلنه

فنداه هو الفرات الذى فسد عام فيه الانعام عوم الاوز
وحماه هو المنيع الذى نسر جمع عنه الخطوب مرجع عجز
فدعوا ذمه يزاول قسوى فهو أدري بما تضمن رمزى
دام يحيى بكل صنع وممن ويعافى من كل بوس ورجز

وكأننا به فد عمل على شاكلة جلاله من مد ظلاله وتمهيد خلاله ، وتلقى
ورودنا بتهلله واستهلاله ، وتأيسنا بجميل قبوله وإقباله ، وإرادنا على حوض
كوثره المترع بزلاله ، والله سبحانه يسعد مقامه العلى ويسعدنا به فى بخله
وأرتحاله ، ومآله وحاله ، ويؤيد جنده المظفر ويؤيدنا بتأييده على نزال عدوه
واسننزانه ، وهز الذوابل لاطفاء ذباله ، وهو سبحانه وتعالى المسئول أن يريه
قرة العين فى نفسه وأهله ، وخدامه وأمواله وأنظاره وأعماله ، وكافة شؤنه
وأحواله ، وأحق ما نصل بالسلام وأولى ، على المقام الجليل مقام الخليفة
المولى ، وأزكى الصلاة والسلام على خاتمة أنبيائه ، وارساله ، سيدنا ومولانا
محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع أصحابه وآله ، صلاة وسلاما دائمين
أبدا موصولين بدوام الابد واتصاله ، ضامين لمجددهما ومرددهما صلاح
فساد أعماله ، وبلوغ غاية آماله ، وذلك بمشيئة الله تعالى واذنه وفضله وإفضاله .
انتهت الرسالة وما كادت .

ووصل السلطان ابن الاحمر المخلوع بعد نزوله بمليية الى مدينة فاس
بأهله وأولاده معتذرا عما أسلفه ، متلهفا على ما خلفه ، وبنى بفاس بعض
قصور على طريق بنان الاندلس ، وتوفى بها سنة أربعين وتسعمائة ودفن
بازاء المصلى خارج باب الشريعة وخلف ذرية من بعده . قال فى «نشرالمثنى» :
«انقرضوا ولم يبق منهم أحد» . وزعم منويل أنه هلك فى وقعة أبى عقبة فنى
حرب الوطاسيين مع السعديين ، قال : « ولم يحسن هذا الرجل أن يدفع عن
ملكه فدفع عن ملك غيره »

استيلاء البرتقال على ساحل البريجة وبنائهم مدينة الجديدة صانها الله سبحانه وتعالى بنيه



قال مؤلفه عفا الله عنه : قد وقفت لبعض البرتقاليين واسمه لويسز مارية على تأليف في أخبار الجديدة من لدن بنوها الى أن انتزعها المسلمون منهم فاقطعت منه ما أثبتته في هذه الترجمة . قال هذا المؤلف : لما كانت سنة ألف وخمسمائة واثنين مسيحية قلت : ويوافقها من تاريخ الهجرة سنة سبع وتسعمائة تقريبا بعث سلطان البرتقال ، واسمه منويل ، من دار ملكه اشبونة عمارة في البحر للاستيلاء على بعض ثغور المغرب فاجأهم هيجان البحر وموجه الى ساحل البريجة فيما بين آزموور وتيط ، وكانت البريجة على ما يفهم من كلامه بناء متخذا هنالك للحراسة ونحوها كان يسمى برج الشيخ ولا زال مسمى بهذا الاسم الى الآن ، فأرسي البرتقاليون على الساحل المذكور ونزلت طائفة منهم الى البر فنطوفوا بالبريجة وما حولها وأعجبهم المكان فعزموا على المقام به ، واتفق رأيهم أن يتركوا جماعة هنالك يحفظون المحل ويرجع باقيهم الى ملكهم ليستأذنوه فيما عزموا عليه ، فتركوا اثني عشر رجلا بالبريجة بعد أن حصنوها وشحنوها بما يحتاجون اليه من عدة وقوت ونحوهما ، ورجع الباقون الى الملك فآخبروه بشأنهم ، فأذن لهم وبعث معهم جماعة من البنائين والعملة لينوا لهم ما يتحصنون به ، فقدموا على اخوانهم وشرعوا في ادارة السور على قطعة من الارض ، فذر بهم أهل تلك البلاد من المسلمين وتسايقوا اليهم على الصعب والذل ففر النصارى الى البريجة وتحصنوا بها وأفسد المسلمون كل ما كانوا عملوه في تلك الايام وأحجروهم بحصنهم ، ووضعوا عليهم الرصد الى أن فتر عزمهم وأيسوا من نجاح سعيهم ، فعاد جلهم أو كلهم الى أشبونة وأعادوا الكلام على ملكهم منويل في شأن البريجة ووصفوا له حسن البقعة وصحة هوائها ومنزلتها من البحر ، ومن قبائل أهل المغرب من أهل تامسنا ودكالة وغيرهم ، وأنها عسى أن تكون سلما للاستيلاء على غيرها

من بلاد المغرب، لا سيما ودولة المسلمين به يومئذ قد تلاشت وملكهم قد ضعف، فوقر ذلك في نفس الملك واستأنف العزم، وبعث معهم حصّة من العسكر تحصل بها الكفاية وتتأتى بها المدافعة والممانعة مع جماعة وافرة من البنائين والمهندسين، وحملهم ما يحتاجون اليه من آلة وغيرها، فانتهوا الى الموضع المذكور بعد سبع سنين من مقدمهم الاول، وتخينوا غفلة أهل البلاد وشرعوا في بناء حصن مربع على كل ربع منه برج وثيق، ودأبوا في العمل ليلا ونهارا فلم تمض مدة يسيرة حتى فرغوا منه وامتنعوا على المسلمين به. وكان انشاؤهم لهذا الحصن على البريجة القديمة بان جعلوها أحد أرباعه وأضافوا اليها ثلاثة أرباع آخر، وأداروا السور على الجميع، واتخذوا في داخل هذا الحصن ماجلا عظيما لخزن الماء، وهو النطفية في لسان الجيل، بنوه مربعا بربيع الحصن، مساحة كل ربع منه مائة وثلاثون شبرا وجوانبه وقبوه من حجر النصف العجيب النحت المحكم الوضع والالتئام، محمولاً ذلك القبو على ستة أقواس في كل ربع. قال هذا المؤلف: وامتلاء نحو بلكاظة من هذا الماجن يسع عشرين بوبة من الماء، ثم شيدوا على أحد أرباع هذا الحصن طريا عظيما مرتفعا جدا، ليس صادق التربع ولا الاستدارة غير مهندس الشكل، ثم بنوا في أعلاه على أحد جوانبه بناء آخر لطيفا مستديرا صاعدا في الجويرقي اليه على مدارج لطيفة، وجعلوا في أعلاه صاريا خارجا من جوفه، وناقوسا للحراسة يشرف الحارس منه على نحو خمسة وعشرين ميلا من سائر جهاته. وجميع هذه البنات التي ذكرها المؤلف من الحصن وما معه لا زالت قائمة العين والاثر الى الان الا الطرى فانه قد اتخذ في هذه الايام النى هي سنة سبع وتسعين ومائتين وألف منارا للمسجد الجامع، وذلك أن شامل الجديدة في هذا العصر، وهو الرئيس الفاضل أبو عبد الله محمد بن ادريس الجراري حفظه الله، استأذن الخليفة، وهو السلطان الاعظم المولى الشريف أبو علي الحسن بن محمد العلوي نصره الله، في جعله منارا لكون المنار القديم قصيرا لا يسمع الناس الاذان، فأذن أعزه الله في ذلك، وهذا العامل اليوم جاد في اصلاحه والزيادة فيه وقد أشرف على التمام، وكذلك

استاذن هذا العامل حضرة السلطان المذكور فى ادارة جدار من داخل سور المدينة يكون سنرة على منازل أهلها وبيوتهم ، لان السور المذكور كان مرتفعا على البلد بحيث يكون الصاعد عليه متكشفا على البيوت ، واستأذنه فى اصلاح القبة المشرفة على البحر المعروفة بقبة الخياطين ، وكانت قد تلاشت ، وباتخاذ سجن متسع محكم عن يمين الداخل من باب المدينة المذكورة لانه لم يكن بهاسجن مغبر ، فاجابه الخليفة المذكور الى ذلك كله أدام الله علاه . وقد تم جل ذلك وعادت القبة الى أحسن حالاتها التى كانت عليها أيام البرتقال والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

ولنرجع الى موضوعنا الذى كنا فيه فنقول : ثم شرع نصارى البرتقال بعد الفراغ من الحصن المذكور فى ادارة سور المدينة على أوثق وجه وأحكمه وذلك انهم عمدوا الى بقعة مربعة من الارض مساحة كل ربع منها ثلاثمائة وخمس وسبعون خطوة ، وجعلوا مركزها الحصن المذكور ثم أداروا بها سورين عاديين ثخن الخارج منهما نحو خمسة عشر شبرا ، والداخل على نحو الثلاثين منه ، وبينهما فضاء مردوم بالتراب والحجارة الصغيرة ، فصار السوران بذلك سورا واحدا سعته خمسون شبرا ، وهذا فى غير الربع الموالى للبحر ، أما هو فليس فيه ردم وانما هو سور واحد مصمت أضيق مما عداه بسيرا وارتفاع هذه الاسوار من داخل البلد نحو ستين شبرا ومن خارجه نحو السبعين . ثم أداروا خارج السور خندقا فسيحا وجعلوا عمقه أربعة عشر شبرا بحيث بلغوا به الماء واذا فاض البحر ملأ ما بين جوانبه . واتخذوا للمدينة ثلاثة أبواب أحدها للبحر وهو باب المرسى ، وقد سد بالبناء فى هذه السنين ، واثنان للبر وجعلوا أمامهما قنطرتين بالعمل الهندسى بحيث ترفعان وتوضعان وقت الحاجة الى ذلك ، فصارت المدينة بهذا كله فى غاية المناعة .

وكان بنو وطاس فى هذه المدة أشغل من ذات النحيين مع برتقال سبته وطينجة وسائر بلاد النهبط ، فلذا تأتى لهؤلاء النصارى أن يفعلوا ما فعلوه فى هذه المدة اليسيرة ، وجعلوا داخل المدينة خمس حارات وسموا كل حارة باسم كبير من قدمائهم على عادتهم فى ذلك ، واتخذوا بها أربع كنائس ،

واتخذوا المخازن والاهراء للاختزان وسائر المرافق ومن جعلتها هري كان يسع ستمائة فنيكة من الحب وأوطنوها باهلهم وعيالهم ، وكان فيها جماعة من أشرفهم وذوى بيوتاتهم من أهل أشبونة وغبرها ، وكانوا يعدون فيها أربعة آلاف نفس ما بين المقاتلة والعيال والذرية ، وكانوا يأملون الاستيلاء منها على مراکش فخبب الله رجاءهم ، ثم ذكر هذا المؤلف ما كان يقع بين المسلمين ونصارى الجديدة من الحروب والغارات مما لعلنا نشير الى بعضه في محله ان شاء الله .



استيلاء البرتقال على سواحل السوس وبنائهم حصن فونتى قرب اكادير وما قيل فى ذلك



ذكر بعض المؤرخين من الفرنج أن استيلاء البرتقال على آكادير كان فى مدة ملكهم منويل المذكور آنفا وان ذلك كان على حين غفلة من أهل تلك البلاد .

قال منويل : « لما علم طاغية البرتقال منويل أن مرسى آكادير جيدة لمناعتها وكثرة تجارتها بسبب مجاورتها لقبائل السوس أراد الاستيلاء عليها وكان يظن أن ذلك لا يتأتى له لحصانتها وكثرة القبائل المجاورين لها ، ثم خاطر وبعث اليها جيشا فاستولوا عليها على حين غفلة من أهلها وحصنوها وبنوا بها دورا وبرجا جيدا وأخذوا فى التجارة بها مع أهل السوس ، وكثرت أرباحهم . ثم لما ضعفت شوكتهم خرجوا عنها وعن آسفى وآزمور » . قلت : مراده بآكادير حصن فونتى القريب منه ، والا فآكادير انما بنى بعد هذا التاريخ بكثير كما سيأتى . ثم مقتضى ما ذكره أن يكون زمان استيلائهم عليه موافقا أو قريبا لزمان استيلائهم على البريجة ، ومقتضى ما نقله فى « النزهة » عن ابن القاضى أن يكون استيلائهم عليه فى حدود سنة خمس وسبعين وثمانمائة فانه لما وصف حال السلطان محمد الشيخ السعدى الآتى ذكره ان شاء الله

قال : « وكان له بخت عظيم في الجهاد فتح حصن النصارى بسوس بعد أن أقاموا به اثنتين وسبعين سنة » هـ . وكان فتحه إياه في حدود سبع وأربعين وتسعمائة ، والظاهر أنهم استولوا على بعض حصون السوس في التاريخ الأول وعلى بعضها في الثاني ، والله أعلم .

❦

وفاة السلطان محمد الشيخ الوطاسي رحمه الله

❦

ذكر ابن القاضي في « الجذوة » : « أن وفاة السلطان المذكور كانت سنة عشر وتسعمائة » قال : « ومن حملة وزرائه أخوه الناصر بن أبي زكرياء » والله أعلم . وولي الأمر من بعده ابنه محمد البرتقالى على ما نذكره .

❦

الخبر عن دولة السلطان محمد بن محمد الشيخ الوطاسي

المعروف بالبرتقالى رحمه الله

❦

لما توفي السلطان محمد الشيخ بويغ ابنه محمد البرتقالى في التاريخ المتقدم وكان نصارى سبتة وطنجة وآصيلا قد استحوذوا على بلاد الهبط وضايقوا المسلمين بها حتى الجأوهم إلى قصر كتامة ، فكان هو الثغر يومئذ بين بلاد المسلمين وبلاد النصارى كما مر ، وكان السلطان محمد هذا قد عنى بجهادهم وترديد الغزو اليهم وإجلاب عليهم حتى شغل بذلك عن البلاد المراكشية وسواحلها ، فكان ذلك سببا لظهور الدولة السعدية بها سنة خمس عشرة وتسعمائة على ما نذكره إن شاء الله .

❦

استيلاء البرتقال على ثغر آسفى حرسه الله



قال منويل : « كان البرتقال قد تشوفوا للاستيلاء على آسفى ، وكان أهلها فيهم شجاعة أكثر من غيرهم من أهل الثغور ، فزحفوا إليها وجرى بينهم وبين أهلها قتال شديد هلك فيه عدد كبير من البرتقال ، وعظم عليهم أن تمتنع منهم بلدة صغيرة ليس لها حامية سوى أهلها ، ثم طاولوها بالحصار حتى قل القوت عند أهل آسفى وأشرفوا على الهلاك ، فحينئذ شارطوا البرتقال وأسلموها اليهم على الامان . فاستولوا عليها وحصنوها غاية لنوقعهم كربة المسلمين عليهم ، فكان كذلك فانهم زحفوا اليهم بعد ثلاث سنين من أخذها ووقع بينهم وبين البرتقال حرب شديدة ، كانت صفوف المسلمين تترادف فيها كأمواج البحر ، وقتل قواد عسكر البرتقال وكبارهم ، ثم قدمت عليهم شكوا دره من مادرة بالعسكر والزاد فقويت نفوس البرتقال وارتحل المسلمون عنها بعد أن أشرفوا على الفتح ، وتبعهم البرتقال لينتهزوا فيهم الفرصة فكر المسلمون عليهم واستلبوهم . وهذا أول حصار كان على آسفى .

ثم بعد سنين قلائل زحف المسلمون إليها أيضا ومعهم عدد من المدافع ، وقاتلوا قتالا صعبا وزحفوا الى السور فهدموا منه ثلثة كبيرة واشتد القتال عليها بما خرج عن العادة ، ثم رحل المسلمون من غير فتح وأعرضوا عنها مدة لم يحدثوا أنفسهم بالقتال ، وعمرت آسفى بالنصارى وانتقل إليها التجار وبنوا بها الدور ، وكانوا يسقون منها الحب ويحملونه فى السفن الى بلادهم ، ولعل ذلك لهدنة كانت لهم مع المسلمين .

ثم عادت للمسلمين بعد نحو ثلاث وعشرين سنة وقال الشيخ أبو عبد الله محمد العربى الفاسى فى «مرآة المحاسن» ما نصه : «قرأت بخط شيخنا أبى عبد الله القصار أن صاحب آسفى أخرج الشيخ أبا عبد الله محمد بن سليمان الجزولى منها فدعا عليهم ، فسئل منه العفو ، فقال : «أربعين سنة» فأخذها النصارى بعدها « اه . وهذا يقتضى ان استيلاءهم عليها كان فى حدود عشر وتسعمائة ،

لان وفاة الشيخ الجزولي رحمه الله كانت في سنة سبعين وثمانمائة كما مر .
وعند الفرنج ما يقتضى أن استيلاءهم عليها كان بعد ذلك بستين أو ثلاث .
والله أعلم .



زحف السلطان ابي عبد الله البرتقالى الى آصिला



قال منويل : « لما أفضى الامر الى السلطان محمد بن محمد الشيخ
الوطاسى أراد أن يأخذ بثاره من البرتقال الذين أسروه لسبع سنين ،
فزحف الى آصिला فى حدود أربع عشرة وتسعمائة وحاصرها وطال قتاله
عليها ثم افتحمها المسلمون عليهم اقتحاما واقتلوا فى وسط الازفة والاسواق يومين
ثم جاء المدد الى البرتقال من طنجة وجبل طارق فقويت نفوسهم وخسرج
المسلمون عنهم ، لكن ما خرجوا حتى هدموها وأحرقوها ولم يتركوا لهم
بها الا الخربات ، ثم جد البرتقال فى اصلاحها وأقاموا بها برهة من الدهر الى
أن رجعت للمسلمين » .



استيلاء البرتقال على ثغر آزمور حرسه الله



قال منويل : « بعث طاغية البرتقال أربع عشرة وتسعمائة الى ثغر
آزمور شكواه فيها ألفان من العسكر وأربعمائة خيالة ، فدافعهم زيان
الوطاسى ابن عم السلطان ، ونشبت مراكب البرتقال فى الساحل ، وتكسر
جلها وعاث فيها المسلمون ، ورجع الباقي مغلولاً . ثم بعد أربع سنين بعث اليها
الطاغية منويل شكواه فيها عشرون ألفا من العسكر وألفان وسبعمائة خيالة
فاتتهوا الى آزمور وحاصروها بحرا ، وزحفوا اليها من الجديدة برا ، ووقع حرب
شديدة بينهم وبين أهل آزمور وأهل البادية . ثم انهزم المسلمون وخرجوا

من باب تركه لهم البرتقال قصدا « قال : « لانه يقال فى المثل : الفار منك فى الحرب اجعل له قنطرة من فضة يعبر عليها » .

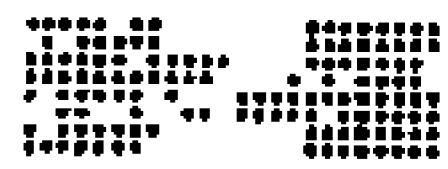
وقال فى «النزهة» : « كان نزول النصارى بآزمور سنة أربع عشرة وتسعمائة » قال : « وفى هذه السنة بنى النصارى حجر باديس . وفى أواخر المحرم منها أخذ النصارى - يعنى الاصبنيول - مدينة وهران ونكبوا أهلها ، فما منهم الا أسير أو قتل الى أن أعادها الله للاسلام على يد الاتراك فى حدود العشرين ومائة وألف » اه .

قلت : أهل آزمور يزعمون أن استيلاء البرتقال على مدينتهم كان متكررا وسيأتى ما يفهم منه ذلك والله أعلم .

ومن أخبار السلطان أبى عبد الله ما وقفت عليه فى تاريخ البرتقالين من أن السلطان المذكور كنب لطاغيتهم منويل يطلب منه أن يتقدم بالوصاية لاصحاب قراصينه البحرية أن لا يتعرضوا لمركبين له كان قد عزم على بعثهما الى الجزائر ثم منها الى تونس . وكان الطاغية لم يجبه أو أبطأ بالجواب ، فكرر اليه الكتاب ثانيا فى القضية المذكورة ، وسرد هذا المؤرخ نص الكتابين معا مترجمين بلغته ، وذكر أن تاريخ الاول منهما الثالث والعشرون من جمدى سنة عشرين وتسعمائة ، وتاريخ الثانى الثامن والعشرون من ذى القعدة من السنة . اه .



استيلاء البرتقال على ثغر المعمورة لحرسه الله



قال فى «نشر المثنى» : « ان الذى اختط حصن المعمورة هو المهدي الشيعى على يد بعض عماله ، وزعم بعض الفرنج أن المعمورة من بناء يعقوب المنصور الموحدى » قال : « ولما كان زمن منويل البرتقالى بلغه أن مينا المعمورة جيدة ، وبلادها نفاعه ، فبعث اليها طائفة من جنده ، فوصلوا الى ساحلها ونزلوا فى البر المقابل لها وبنوا هنالك برجاً لحصارها ، ثم أردفهم ملكهم المذكور

بعمارة تشتمل على مائتى مركب مشحونة بشمانية آلاف من المقاتلة « قال :
 » وكان خروج هذه العمارة من مدينة اشبونة فى اليوم الثالث عشر من يونيه
 العجمى سنة ألف وخمسمائة وخمس عشرة مسيحية ، قلت : يوافقها من
 تاريخ الهجرة تقريبا سنة احدى وعشرين وتسعمائة ، فوافقت مينا المعمورة
 فى الثالث والعشرين من يونيه المذكور وحاصروها وألحوا عليها بالقتال أياما
 وبلغ الخبر بذلك الى السلطان أبى عبد الله البرتقالى فبعث أخاه الناصر
 صريخا فى جيش كثيف ، فوصل سادس اغشت من السنة المذكورة ، وقاتل
 البرتقال قتالا شديدا وهزمهم هزيمة قبيحة ، ثم كانت لهم الكرة على المسلمين
 فهزموهم واستولوا على المعمورة وثبت قدمهم بها وحصنوها بالسور الموجود
 بها الان واستمروا بها نحو خمس سنين ثم استرجعها المسلمون منهم فى دولة
 السلطان المذكور والله تعالى أعلم ، وفى السنة التى استولوا على المعمورة رجعوا الى
 موضع مدينة آنفى فشرعوا فى بنائها ، ومن يومئذ سميت الدار البيضاء ، وبقوا
 بها مدة طويلة الى زمن السلطان المولى عبد الله بن اسماعيل على ما زعم منويل .



اخبار السلطان أبى عبد الله البرتقالى مع الشيخ أبى محمد الغزوانى

رضى الله عنه



أصل الشيخ أبى محمد عبد الله الغزوانى دفين حومة القصور من
 مراکش من غزوان ، قبيلة من عرب تامسنا ، وكان فى ابتداء أمره يقرأ
 العلم بمدرسة الوادى من عدوة الاندلس بفاس ، فحصلت له ارادة فسافر
 الى مراکش ولازم الشيخ التباع وتخرج به . ثم انتقل الى بلاد الهبط فنزل
 بها على قبيلة يقال لهم بنو فزنكار ، واجتمع عليه الناس واشتهر أمره ، وعظم
 صيته ، فبلغ ذلك السلطان أبا عبد الله وكان يومئذ ببلاد الهبط قد خرج
 اليها بقصد الغارة على نصارى آصيلا ، وكان معه فى هذه الحركة الشيخ أبو عبد

الله محمد بن غازي - الامام المشهور - ، فتوهم السلطان المذكور من أمر الشيخ الغزواني وخشى على الدولة عاقبة أمره ، وأغراه به مع ذلك الفقيه ابن عبد الكبير البادسي السفياني الاصل . وكان هذا الفقيه يصحب السولا والعمال ويخرج في بعوثهم قاضيا ، فكثرت سعايته بالشيخ حتى وفر ذلك في نفس السلطان فبعث اليه فحضر وأمر بالقبض عليه بالموضع المعروف بتاجناوت ، وجعله في سلسلة وبعث به الى فاس ، وتقدم في شأنه الى ابن شقرون صاحب سُرطه بقصبة فاس القديم ، وكان الشيخ ابن غازي قد مرض في هذه الغزوة وأمر السلطان بحمله الى منزله من فاس ، فلما وصل الى قرب عقبة المساجين اسد به الحال وأمر أصحابه أن يريحوا به هنالك ، فينما هو كذلك اذ مر به الشيخ الغزواني في سلسلته فسأل الموكلين به أن يعوجوا به على الشيخ ابن غازي كي يعود ويؤدي حقه ، فلما وقف عليه طلب ابن غازي منه الدعاء فدعا له بخير وانصرف ، فلما غاب عنه قال ابن غازي لأصحابه : « احفظوا وصيتي فاني راحل عنكم الى الله تعالى بلا شك » قالوا له ياسيدي : « ما عندك باس » فقال : « ان الله وعدني أن لا يقبض روحي حتى يريني وليا من أوليائه ، وقد أرايه الساعة فدلتني ذلك على انقضاء الاجل » فحملوه من حينه الى منزله فكان آخر العهد به . هكذا ساق هذا الخبر صاحب « الدوحة » في ترجمتي الشيخين المذكورين .

وكانت وفاة ابن غازي أواخر جمدي الاولى سنة تسع عشرة وتسعمائة وقال صاحب « المرأة » عن بعض شيوخه بعد أن ذكر سعاية ابن عبد الكبير بالشيخ الغزواني ما نصه : « فحرك الشيخ الغزواني لزيارة ضريح الشيخ أبي سلهم فعرض له العروسي قائد القصر الكبير وناولته كتاب السلطان يأمره فيه بتقديم الشيخ الى فاس دار الملك اذ ذاك ، فقال له الشيخ : « طاعة السلطان واجبة » وقال للزائرين معه : « بلغت النية » فتوجه الشيخ الى فاس من ذاك المكان وكلما بات في منزل ذهب جماعة من الذين معه فلم يصل معه الا القليل . وكان الشيخ أبو البقاء عبد الوارث الياصوتي اذ ذاك ساكنا بفاس ، ولم يكن يصحب الشيخ قبل ذلك ، فلما دخل الشيخ حضرة فاس لقيه أبو البقاء المذكور فسلم (الاستقصا رابع 10)

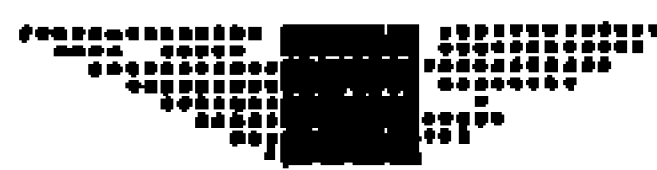
عليه ، فشد الشيخ يده على يده فلم يرسلها حتى عاهده على الرجوع ، فلما انفصل عنه اشترى خبزا وغنبا وحمل ذلك الى الشيخ وأصحابه فوجدهم عند القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله اليفرنى المكناسى ، وهو مؤلف « المجالس المكناسية » ، فوجدهم فى المسجد القريب من دار القاضي المذكور بدرب السعود ، فناولهم ما معه ووجد الشيخ موكلا به وأصحابه يدخلون ويخرجون . ثم دخل القاضي على الشيخ بالمسجد فقال له : « ما هذا الذى يذكر عنك ؟ » قال أبو البقاء : « فتكلمت أنا وقلت : ان هذا الرجل قد نزل بلدا عظيمة المناكر وأخذت أعدد مناكرها ، وصار هذا السيد ينهاهم عن ذلك ، فهدى الله على يده من هدى وشنته من أبى » فقام القاضي وركب الى دار السلطان ، ثم رجع الى منزله فبات ومن الغد ركب الى دار السلطان أيضا ومعه الشيخ الغزوانى ، فلما اطمأن بهم مجلس السلطان وكان فيه صاحب تازا ، وهو أبو العباس أحمد ابن الشيخ أخو السلطان المذكور ، سكت الجميع وتكلم كاتب السلطان وامام صلاته . قال صاحب « المرأة » : « ولم يسم لنا » . فقال للشيخ : « ما هذا الذى يذكر عنك ؟ » فقال له الشيخ : أنت لا تتكلم حتى تغتسل من جنباتك فاستشاط الكاتب غضبا ، فقال له أخو السلطان : « هؤلاء القوم يعنون الجنبات غير ما تعنيه العامة » - يشير الى ما فى الحكم - فقال له السلطان : « من أين تعرف هذا ؟ » فقال له : « من سيدى محمد بن عبد الرحيم بن يجيش » ففرح السلطان بمعرفة أخيه ذلك وقال للشيخ : « نحن نريد قربك وأن تكون معنا فى هذه المدينة » فقال له : « على بركة الله » فانتقل الى فاس القديم وبنى خارج باب القليعة داخل باب الفتوح وأقام هناك ما شاء الله ، قيل سبع سنين الى أن كانت سنة تعذر فيها المطر وأخذ الناس فى استخراج السواقي للحرث فاخرج الشيخ من وادى اللبن سافية لم يكن فى سواقي السلطان وغيره مثلها ، فبعث اليه أخوه السلطان ، وهو الناصر . الملقب بالكديد بالكاف المعقودة والبدال المشددة على لغة العامة ، وقال له : « نحن أحق بتلك الساقية » فقال له الشيخ : « خذها » وأخذ فى الرحيل الى مراکش ولما توجه تلقاءها أخذ خنيفه فى يده وجعل يشير به من جهة فاس الى جهة مراکش ويقول :

«أيا يسلطنة الى مراكش» ، قال صاحب البرآة : « هذا حديث شيوخنا أبي عبد الله النيجي » قال «وآخيف معروف وهو نوع من البرانس السود ومعنى أيا بلغة عامة المغرب : سيرى معي » : وموضع بنى فزنكار أظنه تاصروت فان بها رسما منسوباً اليه الى الآن ، وانه منزله الذى كان يأوى اليه ، وما زالت آثاره هنالك ، والدار التى بنى باب القليعة هى المتصورة الى تليمذه الشيخ أبي عبد الله محمد بن على الهروى المعروف بالطالب ، ولعل سنة اخراج السواقى هى سنة ست وعشرين وتسعمائة ، فانه قد تعذر فيها المطر وحدث الغلاء الكبير المؤرخ بسنة سبع وعشرين وتسعمائة ، وكأنه أشار الى انتقال السلطنة عن بنى وطاس ملوك فاس الى الشرفاء السعديين ملوك مراكش يومئذ والله أعلم .



نهوض السلطان ابي عبد الله البرتقالى الى مراكش ومحاصرته

ابا العباس الاعرج السعدى بها



قد تقدم لنا أن ظهور الدولة السعدية ببلاد السوس كان فى سنة خمس عشرة وتسعمائة ، وما زال أمرهم فى الزيادة الى أن كانت دولة أبي العباس الاعرج منهم ، فاستفحل أمره وبعد صيته ، وفتك بنصارى السوس فكاتبه أمراء هنتاة أصحاب مراكش ودخلوا فى طاعته ، فانتقل اليها وملكها فى حدود الثلاثين وتسعمائة . ولما اتصل خبره بالسلطان أبي عبد الله وهو يومئذ بفاس قامت قيامته ، وأقبل فى جموع عديدة ومعه وزيره ابن عمه المسعود بسن الناصر كذا فى «النزهة» . والذى عند غيره : أن الوزير الذى جاء معه هو الناصر أخو السلطان المذكور . ولما رأى أبو العباس السعدى مالا قبل له به تحصن بمراكش وشحن أسوارها بالرماة ، فتقدم السلطان أبو عبد الله ونصب الانقاض على مراكش ودام الحصار عليها أياماً ، فيحكى أنه قيل للشيخ أبي محمد الغزوانى وكان قد استوطن مراكش يومئذ : ان أهل مراكش سئموا الحصار ، فركب

الشيخ في جماعة من أصحابه وخرج من باب فاس المعروف اليوم بباب الخميس ، فوجد رماة السلطان أبي عبد الله يرمون من علا الاسوار من أهل البلد ، فوقف الشيخ بنظر فجاءت رصاصة ضربت صدره وخرقت الجبة التي عليه والتصقت بلحمه كأنها وقعت في صخرة صماء ، فقبض عليها بيده وقال : « هذه خاتمة حربهم » ثم رجع الى منزله فوردت الانباء على السلطان أبي عبد الله في تلك الليلة بان بنى عمه قد قاموا عليه بفاس ونبذوا دعوته ، فأصبح من الغد راحلا الى فاس ، وظهر مصداق ما قال الشيخ الغزواني ، ولم بعد لبني وطاس وصول بعدها الى مراكش ولا الى أعمالها ، والله تعالى أعلم .



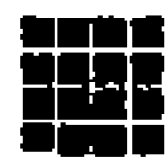
ذكر وزراء السلطان أبي عبد الله وما قيل فيهم



كان من جملة وزرائه: ابن عمه المسعود بن الناصر ، وهو الذي زحف معه الى مراكش على ما في « النزهة » ، وكان من جملة وزرائه القائمين بأمره: أخوه الناصر بن محمد الشيخ ، المعروف عند عامة فاس بابي علاقة وبالكذب على ما مر . قال في « الجذوة »: « لقب بذلك لكثرة سفكه الدماء واقدامه عليه ، فكان يقتل الناس ويجزئهم كثيرا ، وكذا بمكناسة أيام وزارته بها ، كذا حدث غير واحد ممن أدركه ورآه وتوفى الوزير المذكور سنة ثلاثين وتسعمائة » .



وفاة السلطان أبي عبد الله رحمه الله



كانت وفاة السلطان أبي عبد الله البرتقالى سنة احدى وثلاثين وتسعمائة على ما في « الجذوة » . ويؤخذ من « النزهة » أنها كانت سنة اثنتين وثلاثين بعدها والله أعلم : وولى الامر من بعده أخوه أبو حسون بولاية عهده اليه .

الخبر عن الدولة الاولى للسلطان ابي حسون بن محمد الشيخ الوطاسي



هو أبو الحسن علي بن محمد الشيخ ابن أبي زكرياء يحيى بن زيان الوطاسي، ويعرف بأبي حسون البادسي. قال في «النزهة»: «بويغ بفاس سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة ثم قبض عليه ولد أخيه أبو العباس أحمد بن محمد البرتقالي وخلعه وأشهد عليه بالخلع آخر ذي الحجة من السنة المذكورة انتهى



الخبر عن دولة السلطان ابي العباس احمد بن محمد الوطاسي رحمه الله تعالى



هو أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد البرتقالي ابن أبي عبد الله محمد الشيخ ابن أبي زكرياء يحيى بن زيان الوطاسي، بويغ يوم خلع عمه أبي حسون آخر ذي الحجة مئة سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة، قال ابن القاضي: «وقد رأيت البيعة التي كُتبت له بخط الامام أبي محمد عبد الواحد بن أحمد الوائشريسي من انشائه وعليها خطوط جماعة من فقهاء فاس كآبي العباس الحباك، والفقيه أبي العباس أحمد الماواسي وغيرهما» اهـ.

قال أبو عبد الله اليفرنى في «النزهة»: «وانظر ما وجه كُتُب البيعة لاحمد مع أن خلع أبي حسون لم يكن لموجب، والوائشريسي من أهل الورع وقال: ولعله لامر لم يظهر لنا والله أعلم» اهـ. وقال ابن عسكر في «الدوحة»: «لما توفى السلطان أبو عبد الله البرتقالي ودالت الدولة لولده السلطان أبي العباس أحمد وغص بالشرفاء القائمين عليه ببلاد السوس وزوحم بهم، عقد الهدنة مع النصارى المجاورين له ببلاد الهبط، وصاحبهم سلطان البرتقال، فبلغ ذلك الشيخ أبا عبد الله محمد بن يحيى البهلولى، وكان له رغبة في الجهاد وممن له وصلة بالسلطان أبي عبد الله، فكان اذا جاءه زائرا حضه على الغزو

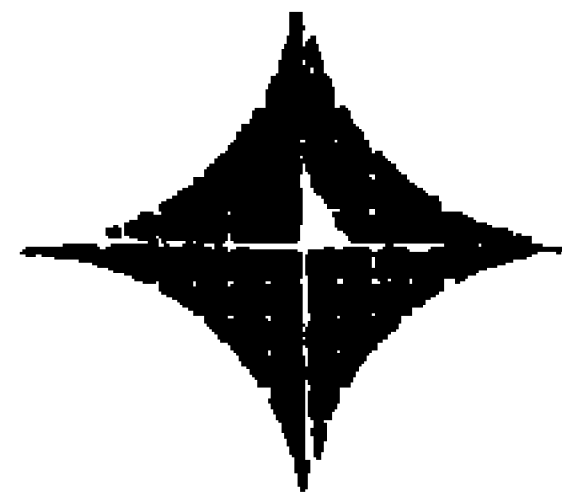
فيساعده علي ما أراد من ذلك . فلما بلغ الشيخ المذكور ما عقده السلطان أبو العباس من الصلح آلى على نفسه أن لا يلقي السلطان المذكور ، ولا يمشى اليه ولا يقبل منه ما كان عينه له والده من جزية أهل الذمة بفاس لقوته وقوت عياله ، فمكث على ذلك الى أن حضرته الوفاة ، وكان فى النزاع وأصحابه دائرون به فقال له بعضهم . « ياسيدى أخبرك أن السلطان أمر بالغزو وأمر بالنداء به فى وحض الناس عليه ، والمسلمون فى شره لذلك وفرح » ففتح الشيخ عينيه وتهلل وجهه فرحا وحمد الله وأثنى عليه ، ففاضت نفسه وهو مسرور بذلك . اهـ



وقعة آنماي بين الوطاسيين والسعديين



قد تقدم لنا فى خبر السلطان أبى عبد الله أنه لما حاصر مراکش وأصابته الرصاصة الشيخ الغزوانى قال : « هذه خاتمة حربهم » ولم يعد لبني وطاس وصول الى مراکش ولا الى أحوازها . قال فى «النزهة» : فكان أبو العباس الاعرج يتلاقى مع أبى العباس الوطاسى بتادلا وأحوازها قال : «وكانت بينهما معركة بموضع يقال له آنماي وذلك فى ذى القعدة سنة خمس وثلاثين وتسعمائة فافترقا على اصطلاح » اهـ . وآنماي موضع قرب مراکش به زاوية الشيخ أبى العزم رحال الكوش .



عقد الصلح بين السلطانين ابي العباس الوطاسي و ابي العباس السعدي رحمهما الله تعالى



لما رأى أهل المغرب ما وقع بين السلطان أبي العباس أحمد الوطاسي صاحب فاس ، وأبي العباس أحمد السعدي المعروف بالاعرج صاحب مراكش من التقاتل على الملك والتهالك عليه ، وفناء الخلق بينهم ، دخلوا في الصلح بينهم والتراضى على قسمة البلاد ، وحضر لذلك جماعة من العلماء والصلحاء منهم أبو حفص عمر الخطاب دفين جبل زرهون ، وأبو الرواين المحجوب دفين مكناسة الزيتون ، وكان صاحب حال وجذب ، فجعل الناس يوصونه بالنسكوت مخافة أن يفسد عليهم أمرهم ، فلما دخلوا على أبي العباس الاعرج وأخيه وزيره محمد الشيخ وتكلموا فيما جاءوا لاجله ، وجدوا فيهما شدة وغلظة وامتناعا من مساعدتهم على ما أرادوا ، فحلف أبو حفص الخطاب لا دخلوها - يعنى فاسا - ما دمت على وجه الارض . فما دخلوها حتى مات بعد مدة . فكان بعضهم يقول لو كان بنو وطاس يعرفون شيئا ما دفنوا أبا حفص الخطاب - يعنى لتركوه في تابوت على وجه الارض - لانه حلف لا دخلوها . ما دام على وجه الارض ، حكاه صاحب « ممتع الاسماع » . وذكر في شرح « زهرة الشماريخ » : أن الصلح انبرم بين الطائفتين ، على أن للاشراف من تادلا الى السوس ، ولبنى وطاس من تادلا الى المغرب الاوسط ، وان ممن حضر الصلح المذكور قاضى الجماعة بفاس أبا الحسن على بن هرون المطغرى - بالطاء المهملة - مطغرة تلمسان ، والامام الشهير أبا مالك عبد الواحد بن أحمد الوائشريسى وغيرهما من مشايخ فاس . ويذكر أنه لما تواطأت كلمة الحاضرين على الصلح وعقدوا شروطه ، وهدأت للاصوات ، وسكن اللجاج ، أتى بدواة وقرطاس ليكتب الصلح ، فما وضعت الدواة بين يدي أحد الفقهاء الحاضرين الا وجم وانقبض ودفعها عن نفسه ، استحياء في ذلك المحفل أن يكتب ما لا يناسب الجهتين ، فقام قاضى الجماعة المذكور وأخذ الدواة وأساودها ووضعها

بين يدي أبي مالك المذكور ، فأنشأ أبو مالك في الحين خطبة بليغة ونسج الصلح على منوال عجيب ، واخترع اسلوبا غريبا تحير فيه الحاضرون وعجبوا من ثبات جأشه ، وجموم قريحته في مثل ذلك المشهد العظيم الذي تخرس فيه ألسن الفصحاء هية واكبارا ، فقام قاضي الجماعة وقبله بين عينيه وقال : « جزاك الله عن المسلمين خيرا » ، « وما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر » وكان ذلك كله في حدود أربعين وتسعمائة هـ .



غزوة الحمر قرب آصيلا حرسها الله



ذكر صاحب « الدوحة » في ترجمة الشيخ أبي الحسن علي بن عثمان الشاوي رحمه الله ، انه استشهد في وفاة الحمر التي كانت في حدود أربعين وتسعمائة بين النصاري والقائد عبد الواحد بن طلحة العروسي على مقربة من آصيلا . قال : « حدثني غير واحد ممن يوثق به ممن حضر الواقعة وبعضهم يصدق بعضا قالوا : لما انهزم الناس استقبل الشيخ أبو الحسن النصاري وسيفه في يده وهو يتلو بردة البوصيري ، فكان ذلك آخر العهد به ، ولما رجع الناس من الغد ليحملوا قتلاهم لم يوقف له على عين ولا أثر ، وانما وجد غبار من لباسه عند النصاري وفيه أثر طعنة في صدره » هـ . كلام الدوحة .

وفي « المرأة » : « أن الشيخ المذكور مات في حياة شيخه الغزواني شهيدا في الجهاد سنة خمس وعشرين وتسعمائة هـ . ولعله الصواب .

والعروسي المذكور هو من أمراء بني عبد الحميد الغروسيين أصحاب قصر كتامة ، وكانت لهم رياة وسياسة وجهاد في العدو الى أن انقرض أمرهم أعوام الخمسين وتسعمائة .

قال في « الدوحة » : « أخبر غير واحد من فقهاء قصر كتامة أن الشيخ أبا الرواين جاء الى القصر ، وصاحبه يومئذ القائد عبد الواحد العروسي ، في عصبة من أقاربه أولاد عبد الحميد ، فصعد أبو الرواين صومعة المسجد ثم

نادى بأعلى صوته. « يا بني عبد الحميد اشنروا منى القصر والا خرجتم منه فى هذه السنة » ، فسمع القائد عبد الواحد ذلك فقال : « ان كان القصر له أو بيده فلبنزعه منا ، ما بقى لنا الا كلام الحمقى نلتفت اليه » ومن الغد خرج الشيخ أبو الرواين من البلد وهو يقول : « القائد عبد الواحد وأهله يخرجون من القصر ولا يعودون اليه أبدا . فكان كذلك بقدرة الله تعالى .

❦

وقعة أبى عقبة بوادى العبيد وما كان فيها بين الوطاسيين والسعديين من القتال الشديد



هذه الوقعة من أعظم الوقعات التى كانت تكون بين الوطاسيين والسعديين وما زالت العامة تتحدث بها فى أنديتها الى الان ، ويبالغون فى وصفها والاخبار عنها ، وقد ذكرها شعراؤهم فى أزجالهم الملهونة ، وهى محفوظة فيما بينهم ، وذلك انه لما طمى عباب السعديين على بلاد الحوز وكادوا يلجئون على الوطاسيين دار ملكهم من فاس ، نهض اليهم السلطان أبو العباس الوطاسى أواخر سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة يجر الشوك والمدر فى جمع كثيف من الجند وقبائل العرب فى حملها وظعنها ، وجاء أبو العباس السعدى فى قبائل الحوز بحملها وظعنها كذلك فكان اللقاء بمشرع أبى عقبة ، أحد مشارع وادى العبيد من تادلا فنسبت الحرب ، وتقاتل الناس ، وبرز أهل الحفائظ منهم والترات ، وقاتل الناس على حرمهم وأحسابهم وعزهم ، فافنى بعضهم بعضا الا قليلا ، ودامت الحرب أياما على ما قيل الى أن كانت الهزيمة على الوطاسيين عشية يوم الجمعة ثامن صفر سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة . قال فى «الجدوة» : « فرجع السلطان أبو العباس الوطاسى الى فاس وبقيت محله وقصبة تادلا بيد الشريف السعدى » قال : « وتسمى هذه السنة سنة أبى عقبة . »

وقال فى «المرآة» : « ومما اشتهر من كرامات الشيخ أبى طلحة محمد

المصباحى الشاوى الزناتى أنه لما التقى مقاتلة فاس وسلطانهم أبو العباس أحمد الوطاسى ومقاتلة مراکش وسلطانهم أبو العباس أحمد الاعرج ومعه أخوه المتولى بعده أبو عبد الله محمد الشيخ سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة على مشرع أبى عقبة من وادى العبيد انهزم السلطان أبو العباس الوطاسى وتفرقت جموعه وتبعته الخيل فكادوا يقبضون عليه ، فحضر هنالك رجل على فرس أنشئ فجعل يحول بينه وبينهم ويقول له: «سر يا أحمد ولا تخف» ولم يزل معه الى أن رجعوا عنه وأمن الطلب ، وقد عرف السلطان صفته وتحققها ولم يزل يسأل عن صاحب تلك الصفة حتى قيل له: هذه صفة أبى طلحة المصباحى ، وتحقق ذلك ، ولما كان خروج السلطان المذكور الذى وصل فيه تطاوين وتزوج بها الحرة بنت الامير السيد أبى الحسن على بن موسى بن راشد الشريف ، وذلك فى ربيع الاول سنة ثمان وأربعين وتسعمائة . وبتطاوين بنى بها وقصد أبا طلحة المذكور ونزل عليه ، فلما رآه عرفه وأيقن أنه الرجل الذى أغاثه فأكب عليه السلطان وذكر ما وقع له معه فقال الشيخ : «يا رب كيف العيش مع هذه الشهرة فأقبضى اليك ، فمات عقب ذلك من سنته قال فى «المرأة» : «سمعت هذه الحكاية من غير واحد وسألت شيخنا أبا القاسم بن أبى طلحة المذكور فقال لى: «أعقل مجيء السلطان وانا صغير جدا أقعد فى حجر أبى وعند ركبته» اه . قلت والامير أبو الحسن بن راشد المذكور هو الذى اختط مدينة شفشاون كما مر . وذكر «فى المرأة» : أن وفاته كانت سنة سبع عشرة وتسعمائة ، فيكون السلطان المذكور انما تزوج ابنته بعد وفاته ولعله خطبها من أخيها الامير أبى عبد الله محمد بن أبى الحسن والله أعلم . واعلم أن ما سلكناه هنا من تقديم قضية الصلح على وقعة أبى عقبة هو ما يقتضيه التاريخ الذى صرحوا به ، وسيأتى بعد هذا ما ربما يفهم منه أن الامر بالعكس . والجواب أن قضية الصلح تكررت حسبما يؤخذ مما مر والله أعلم . وفى هذه السنة أيضا عقد السلطان أبو العباس الوطاسى مع برتقال آسفى صلحا على ثلاث سنين ، ودخل فى هذا العقد آسفى والجديدة وآزمور وكتب البرتقال بذلك الى ملكهم ووقعت المحادة فى البلاد ، وتفرغ الوطاسى لقتال السعديين .

بناء السلطان ابي العباس الوطاسي قنطرة الرصيف بفاس حرسها الله



كان السلطان أبو العباس أحمد الوطاسي قد جدد بناء قنطرة الرصيف بحضرة فاس ، وذلك منتصف سنة احدى وخمسين وتسعمائة ، وفي ذلك يقول الفقيه أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الوائش ريس مشيرا الى التاريخ المذكور :

جسر الرصيف أبو العباس جده	فخر السلاطين من أبناء وطاس
فجاء في غاية الاتقان مرتقيا	لمن يمر به من عدوتي فاس
وكان تجديده في نصف عام غنا	من هجرة المصطفى المبعوث للناس
وقال الفقيه أبو مالك أيضا :	

أيا أهل فاس سد الله سدكم	برأى أبي العباس حامى حمى فاس
وأحيى به أشجاركم وثماركم	على رغم قوم منكبين من الناس
فدام ودام السعد يخدم مجده	وفاز من الشكر الجميل باجناس
وقال الشيخ أبو زكرياء يحيى السراج :	

ألا سد الله رأى الذى	بتسديده سددا حصينا
وخلد في عزه ملكه	وأولاه فتحا ونصرا مينا
امام الهدى أحمد المرتضى	مبيد العدا عدة المسلمين

وقال الامام أبو الحسن على بن هرون :

لقد سد الله رأى العماد	وأبطل في السد رأى الجهول
وقرب ما رامه من عماد	بمولاي أحمد مدحى يطول
فطردا وعكسا لسانى يناد	« عقول الملوك ملوك العقول »



وقعة وادى درنة بتادلا وأسر الامير ابي زكرياء الوطاسى ومهلكه رحمه الله



ذكر فى «المرآة» عند الكلام على أبى عبد الله محمد بن يوسف الفاسى .
وهو والد الشيخ أبى المحاسن رضى الله عنه ، أن أبا عبد الله المذكور كانت له
وجاهة كبيرة عند أمير القصر أبى زكرياء يحيى بن أبى عبد الله البرتقالى ،
وهو يومئذ أخو السلطان أبى العباس الوطاسى ، قال : فانتفع بوجاهة أبى
عبد الله انفاسى خلق كثير ، ولم يسامح هو نفسه فى نيل شىء من الدنيا بسبب
ذلك الجاه الى أن أسر الامير أبو زكرياء المذكور فى وفة وادى درنة من تادلا
للشرفاء على بنى وطاس فى رجب سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة ، ومات فى تلك
الليالى القريية غما وأسفا رحمه الله ، قلت : وكان سلطان السعديين يومئذ محمد
الشيخ الملقب بالمهدى ، فانه تغلب على أخيه الاعرج وانتزع منه الملك وسجنه
كما يأتى ان شاء الله تعالى .



استيلاء السلطان محمد الشيخ السعدى على فاس وقبضه على بنى وطاس ومهلك سلطانهم ابي العباس رحمه الله تعالى بفضله



لما غلب السلطان محمد الشيخ السعدى على أخيه أبى العباس الاعرج واستولى
على مراكش ، طمحت نفسه للتوغل فى بلاد الغرب وفراه ، فتفرغ لحرب
بنى وطاس ونكت ما كان بينه وبينهم من الصلح ، ورموا منه بحجر الارض ،
وردد اليهم البعوث والسرايا وأكثر فيهم من شن الغارات ، وصار يستلبهم
البلاد شيئا فشيئا الى أن استولى عليها ، وكان أول ما ملك من أمصار الغرب
مكناسة الزيتون ، افتتحها عقب سنة خمس وخمسين وتسعمائة بعد حصار
ومقاتلة ، ثم تقدم الى فاس فالح عليها بالقتال وضايقها بالحصار مدة قريية من
انسنة ، ثم استولى عليها بعد أن أسر سلطانها أبا العباس الوطاسى وطار فى

قبضته . وكان دخوله اياها أوائل سنة ست وخمسين وتسعمائة ولما دخلها تقبض على الوطاسيين أجمع وبعث بهم مصفدين الى مراکش، عدا أبا حسون المخلوع فانه فر الى الجزائر الى أن كان من أمره ما نذكره . ثم ان الشيخ السعدي عذر بنى وطاس فيما قيل بعد أن أظهر العفو عنهم وسرح سلطانهم أبا العباس من ثقافه والله أعلم. وفي « الجذوة » : « كانت وفاة السلطان أبي العباس الوطاسي بمراكش قرب سنة الستين وتسعمائة » اه .

وزعم منويل انه قتل مذبوحا بدرعة . قال : « زحف أبو عبد الله محمد الشيخ السعدي الى فاس فبرز اليه أبو حسون الوطاسي ، وكان قائد جيش ابن أخيه ، ووقع بينهما قتال عظيم انهزم فيه أبو حسون الى فاس . وحاصره انسعدى بها سنتين ، ، ولما قلت الاقوات وعجز الوطاسيون عن الدفاع نزلوا على حكم السعدي فقبض على أبي العباس الوطاسي ، وفر أبو حسون الى الجزائر واستقل محمد الشيخ السعدي بامر المغرب وغرب الوطاسيين الى درعة ، فقتل أبا العباس الوطاسي الذي كان تلميذا له ذبحا » اه كلامه .



بقية اخبار السلطان ابي العباس الوطاسي وسيرته

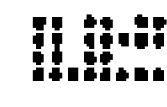


كان من جملة وزراء السلطان أبي العباس المذكور ابنه محمد ، ومن أخباره : ما ذكره في «الدوحة» في ترجمة الشيخ أبي عثمان سعيد بن أبي بكر المشترائي دفين مكناسة الزيتون ، قال : « من كراماته الشائعة ما اتفق له مع الوزير أبي عبد الله محمد بن السلطان أبي العباس أحمد الوطاسي ، لما استوزره أبوه وولاه على مكناسة فكان بها فغضب ذات يوم على أحد المشاورية فهرب المشاوري الى زاوية الشيخ أبي عثمان فبعث الوزير الى الشيخ بان عليه الامان ويبعثه اليه فقال له الشيخ : « ان شئت أن تذهب الى سيدك فافعل » فقال المشاوري : « ياسيدي أخاف أن يقتلني » فقال الشيخ : « ان قتلك فالله يقتله . » فذهب المشاوري الى الوزير وبقي عنده ليلتين وفي الثالثة قتله ، ولم يظهر له

فجاءت أمه الى الشيخ وقالت ياسيدى: «ان ولدى قد قتله الوزير» فقال لها : « سبق ذلك فى علم الله وان الآخر سيلحقه الآن » - يعنى الوزير - فوعك الوزير تلك الليلة وسلط عليه اكال فى جسمه فتمزق لحمه وتقطع شينسا فشيئا الى أن هلك ليلال قلائل من مرضه ، فاعتبر الناس والسلطان بذلك ، ومن ذلك الوقت زاد الامراء وغيرهم فى احترام حرم زاوية الشيخ المذكور « اهـ . وكان للسلطان أبى العباس اعتقاد فى المتصلحين وأرباب الاحوال ، فمن فوقهم من أهل العلم والدين ، من ذلك ما حكاه فى «الدوحة» أيضا فى ترجمة أبى الحسن على الصنهاجى ، المعروف بالدوار ، قال: «كان أبوالحسن المذكور من الملامية، وكان يدخل دور الملوك من بنى وطاس فيتلقاء النساء والصبيان يقبلون يديه وقدميه فلا يلتفت الى أحد ، ويعطونه الثياب الرفيعة والذخائر النفيسة ، ويلبسه السلطان - يعنى أبا العباس - من أشرف لباسه ، فاذا خرج تصدق بجميع ذلك ، ويمر على حوانيت الزياتين فيغمس اكمام الحلة التى تكون عليه ويرقيها بالزيت أو بالسمن ، ولا يزال يدور فى الاماكن ويصرخ باسم الجلالة » اهـ . قالوا : وكان السلطان أبو العباس المذكور واقفا عند اشارة الفقيه أبى مالك عبد الواحد بن أحمد الوائشريسى ، وهو ابن صاحب «المعار» ، لا يتعدى أمره ، ولا يخالف رأيه ، كما وقع له فى مسألة رجل اسلامى يعرف بعبد الرحمن المنجور ، وكان تاجرا جامعا للمال ، فشهد عليه فى حكاية طويلة أربعون رجلا من العدول باستغراق ذمته ، فاختذه السلطان أبو العباس الوطاسى وقتله ، وصير أملاكه لبيت مال المسلمين ، فرغب أولاد المنجور من السلطان أن يؤدوا له عشرين ألف دينار ويرد اليهم أملاكهم ويسقط عنهم بينة الاستغراق ، فقال السلطان لحاجبه: «اذهب الى الشيخ عبد الواحد الوائشريسى وشاوره فى ذلك وعرفه بانى فى الحاجة الى هذا المال لاجل هذه الحركة التى عرضت لى » فذهب الحاجب اليه وأخبره بمقالسة السلطان ورغبته فى قبول ذلك . فقال الشيخ : «والله لا ألقى الله بشهادة أربعين رجلا من عدول المسلمين لاجل سلطانك» اذهب وقل له: «انى لا أوافق على ذلك ولا أرضاه » فرجع الحاجب الى السلطان وأخبره بما قال الشيخ فرجع السلطان

عما عزم عليه .

ونظير هذا ما اتفق له معه أيضا ، وهو أن الناس خرجوا يوم العيد للصلاة فانتظروا السلطان فأبطأ عليهم ولم يأت الى خروج وقت الصلاة ، وحينئذ أقبل السلطان أبو العباس في أبهته ، فلما انتهى الى المصلى نظر الشيخ أبو مالك فرأى أن الوقت قد فات فرقى المنبر وقال : معشر المسلمين أعظم الله أجركم في صلاة العيد ، فقد عادت ظهرا « ثم أمر المؤذن فأذن وأقام الصلاة فتقدم الشيخ أبو مالك وصلى الناس الظهر ، ففجّل السلطان أبو العباس واعترف بخطيئته رحم الله الجميع .



الخبر عن الدولة الثانية للسلطان ابي حسون الوطاسي رحمه الله



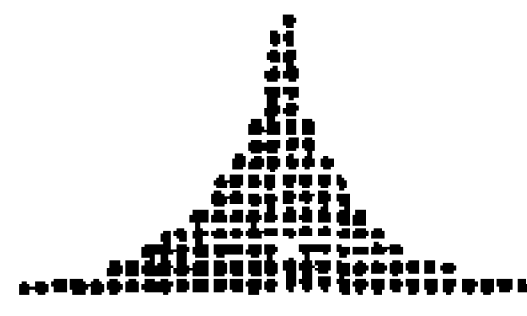
لما دخل السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ السعدى الى فاس سنة ست وخمسين وتسعمائة ، وقبض على بنى وطاس بها حسبما تقدم ، فرأى أبو حسون هذا الى ثغر الجزائر (*) حقنا لدمه ومستجيشا لتركها على السعدى . وكان الترك قد استولوا على المغرب الاوسط وانتزعوه من يد بنى زيان كما سيأتى ،

(*) ذكر المؤرخ أو كيسط كورالفرنسى في كتابه « *Établissement des Dynasties* »

« *des Chérifs au Maroc* » « قيام الدولتين الشريفتين بالمغرب » . ان ابا حسون فرأى اولاً الى اصبايا مستعديا الامبراطور شارنكان على عدوة السعدى فوجدوا بالمانيا فالتحق به وحضر معه في حروبه ولما طال انتظاره لنجدته ولم يفعل رجع ادراجه الى اصبايا ومنها دخل للبرقة فاعطاه ملكها ست قطع من الاسطول لتعينه بشواطىء الريف فلم يتمكن من النزول لبلاد الريف فتوجه حينئذ بحرا للجزائر وقيل اسرته الاسطول الجزائرى وهناك اتفق مع باشاها صالح رئيس على توجيه الجيش معه للمغرب كما هو معلوم . راجع الكتاب المذكور صفحة ١٠٥ وما بعدها فقد بسط القول في الموضوع

فلم يزل أبو حسون عندهم يقتل لهم فى الغارات والسنام ويحسن لهم بلاد
المغرب الأقصى ويعظمها فى أعينهم ، ويقول : ان المتغلب عليها قد سلبى ملكى
وملك آبائى وغلبنى على تراث أجدادى فلودهبتم معى لقتاله لكننا نرجو الله
تعالى أن يتيح لنا النصر عليه ويرزقنا الطفر به ، ولا تعدمون أنتم مع ذلك منفعة
من ملء أيديكم غنائم وذخائر ، ووعدهم بمال جزيل فأجابوه الى ما طلب
وأقبلو معه فى جيش كثيف تحت راية باشاهم صالح التركمانى المعروف
بصالح رئيس ، الى أن اقتحموا حضرة فاس بعد حروب عظيمة ومعارك
شديدة وفر عنها محمد الشيخ السعدى الى منجاته .

وكان دخول السلطان أبى حسون الى فاس ثالث صفر سنة احدى
وستين وتسعمائة (*) . ولما دخلها فرح به أهلها فرحا شديدا ، ورجل هو
عن فرسه وصار يعانق الناس كيرا وصغيرا ، شريفا ووضعيا ،
ويبكى على ما دهمه وأهل بينه من أمر السعديين
واستبشر الناس بمقدمه وتيمنوا بطلعته . وقبض على كبير فاس يومئذ القائد
أبى عبد الله محمد بن راشد الشريف الادريسى ، واطمأنت به الدار ثم لم
يلبث السلطان أبو حسون الا يسيرا حتى كثرت شكايه الناس اليه بالترك ،
وانهم مدوا أيديهم الى الحرير وعانوا فى البلاد . فبادر بدفع ما اتفق معهم
عليه من المال وأخرجهم عن فاس وتخلف بها منهم نفر يسير .



[*] ذكر صاحب «الدوحة» فى ترجمة سيدى عبد الله الكوش ان ابا عبد الله الشيخ خرج

من فاس مزعجا فى شهر محرم سنة ستين هـ

مجيء السلطان محمد الشيخ السعدى الى فاس واستيلاؤه عليها ومقتل السلطان أبى حسون رحمه الله



لما فر السلطان محمد الشيخ السعدى من وقعة الاتراك بفاس وصل الى مراكش فاستقر بها وصرف عزمه لقتال أبى حسون ، فآخذ فى استتفار القبائل وانتخاب الابطال وتعبية العساكر والاجناد فاجتمع له من ذلك ما اشتد به أزره وقوى به عضده ، ثم نهض بهم الى فاس فخرج اليه السلطان أبو حسون فى رماة فاس وما انضاف اليهم من جيش العرب فكانت الهزيمة على أبى حسون فرجع الى فاس وتحصن بها ، فتقدم الشيخ السعدى وحاصره الى أن ظفر به فى وقعة كانت بينهما بالموضع المعروف بمسلمة ، فقتله واستولى على حضرة فاس وصفا له أمرها . وكان استيلاؤه عليها يوم السبت الرابع والعشرين من شوال سنة احدى وستين وتسعمائة على الصواب خلاف ما وقع فى «الدوحة» والله أعلم . وبمقتل السلطان أبى حسون رحمه الله انقرضت الدولة المرينية بالمغرب والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

وبقى علينا الالمام بأواخر دولة بنى زيان ملوك تلمسان وكيف كان انقراض أمرهم ، فلنشر الى ذلك فنقول : كانت دولة بنى زيان على ما علمت من الاضطراب سائر أيام بنى مرين ، وكان منهم فى صدر المائة التاسعة السلطان الواثق بالله من أمثل ملوكهم ، وغلبهم على تلمسان فى تلك المدة السلطان أبو فارس عبد العزيز بن أحمد الحفصى فأخذوا بطاعته . ثم بعد موته سنة سبع وثلاثين وثمانمائة اعتزوا بعض الشئ الى أن كانت دولة السلطان أبى عمرو عثمان بن محمد الحفصى ، فغزا تلمسان أعوام السبعين وثمانمائة مرتين وفى الثانية هدم أسوارها وعزم على استئصال أهلها ، الى أن تشفع اليه علماؤها وصلاحاؤها فعفا عنهم ، وكان الباعث له على غزوها أولا ما بلغه من أن الأمير محمد بن محمد بن أبى ثابت استولى عليها ، ففعل ما فعل وصاهرهم ببعض حقدته .

وقال صاحب «بدائع السلك» : شاهدهت بتلمسان وبعض أعمالها تصريح الخطيب باسم السلطان أبي عمرو عثمان صاحب تونس مقدما في الذكر على اسم صاحب تلمسان أبي عبد الله من أعقاب بني زيان لما بينهما من الشرط في ذلك . وبقيت حال بني زيان متماسكة الى أن ظهر جنس الاصبنيول في صدر المائة العاشرة بعد ما تم له ملك الاندلس وعظمت شوكنه ، فطمح للتغلب على تغور المغزيين الادنى والاوسط، فاستولى على بجاية سنة عشر وتسعمائة ، ثم على وهران سنة أربع عشرة وتسعمائة وفعل باهلها الافاعيل ثم سما لتملك الجزائر وشره لالتهامها ، وضايق المسلمين في تغورهم وضعف بنو زيان عن مقاومته . وكان الشيخ الفقيه الصالح أبو العباس أحمد بن القاضي الزواوي ممن له الشهرة والوجاهة الكبيرة في بسائط المغرب الاوسط وجباله ، وكانت دولة العثمانة من الترك في هذه المدة قد زخر عبايهم وملكت أكثر المسكونة ، وظهر من قواد عساكرها البحرية قائدان عظيمان وهما خير الدين باشا وأخوه عروج باشا ، وكانا قد تابعا الغزو على بلاد الكفر برا وبحرا ، وأوقعا بأهل دول الاوربا وقائع شهيرة ، وطار لهم ذكر في أقطار البلاد ، وتمكن ناموسهم من قلوب العباد ، فكاتبهم الفقيه أبو العباس المذكور وعرفهم بما المسلمون فيه من مضايقة العدو الكافر . وقال : ان بلادنا بقيت لك أو لآخيك أو للذئب ، فأقبل الترك نحوه مسرعين واستولى عروج على ثغر الجزائر بعد ما كاد العدو يملكه فتخلصه منه ، ثم استولى على تلمسان وغلب بني زيان على أمرهم ، وذلك سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة على ما في «النزهة» . ثم ان أهل تلمسان أنكروا سيرة الترك وسثموا ملكهم ، ويقال ان الترك عسفوهم وصادروهم على أموالهم ، وكان عروج قد أغرى بالفقيه أبي العباس المستدعي له فقتل شهيدا بعد الثلاثين وتسعمائة ، ورأى عروج أن أمر المغرب الاوسط لا يصفو له مع وجود الفقيه المذكور قدس عليه من قتله ، ثم نهض عروج الى بني يزناسن فكانت الكرة عليه وقتل هنالك مع جماعة من وجوه عسكره وتفرقت جموعه .

وعادت تلمسان الى بني زيان فجددوا بها رياستهم وأحيوا رمق دولتهم الى أن عاود الترك غزوها بعد حين وانتزعوها من يد صاحبها أبي العباس أحمد

ابن عبد الله من أعقاب يغمراسن بن زيان .

قال في «المرآة» ما نصه : « قال الشيخ الامام قاضي الجماعة أبو محمد عبد الواحد بن أحمد الوائش ريسى رحمه الله ومن خطه نقلت : قدم حسن بن خير الدين التركى فاستولى على تلمسان فى أواسط شعبان سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة وأخرج منها الامير أحمد بن الامير عبد الله ووزيره منصور بن أبى غانم ولحقا بدبدو مع من انضاف اليهما من أمراء تلمسان وكبرائها ، فغدر بهم عمر ابن يحيى الوطاسى صاحب دبدو وأخذ أموالهم واعتقلهم ، وسرح منصورا فى محرم من سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة » اهـ ، واستمرت تلمسان فى يد الترك الى أواسط صدر المائة الثالثة عشرة فاستولى عليها الفرنسيين على ما ذكره ان شاء الله .

واعلم أنه كان فى صدر هذه المائة العاشرة أمور عظام .

منها ظهور الفرنج بالديار المغربية واستيلائهم على ثغورها بما لم يعهد مثله قبل ذلك ، لا سيما البرتقال والاصبنيول حسبما تقدمت الاشارة اليه . ومنها ظهور دولة آل عثمان ملوك التركمان بالديار المشرقية وما أضيف لها الظهور الذى لا كفاء له وابتداء هذه الدولة وان كان قبل هذا التاريخ بنحو مائتى سنة لكن انما كان عنقوان شبابها وفيضان عبابها فى هذه المدة لاسيما فى دولة سلطانهم الاعظم ، وخاقانهم الافخم سليمان بن سليمان خان ، فانه ملك أكثر المعمور ، وقام بدعوته من الامم الجهمور ، وهجمت عساكره على ديار الارنا فقاتلوه فى أعز بلادهم ، واستلبوهم من طارفهم وتلادهم ، وخضعت ملوكها لعزته ، واستكانوا لصولته ، وأعطوه يد المقادة وآتوه من الطاعة والخضوع ما خالف العادة . ثم أوطأ عساكره المغربين الادنى والاوسط فاستولى عليهما ، وكاد يتناول الافصى ويضيفه اليهما على ما تقف عليه فى أخبار السعديين ان شاء الله .

ومنها ظهور الاولياء وأهل الصلاح من الملامية ، وأرباب الاحوال وال جذب ، فى بلاد الشرق والغرب ، لكنه انفتح به للمتسورين على النسبة وأهل الدعوى باب متسع الخرق ، متعسر الرتق ، فاختلط المرعى بالهبل ، وادعى الخصوصية من لا ناقة له فيها ولا جمل ، وصعب على جل الناس التمييز ، حتى

بين البهرج والابريز ، لا سيما العامى الغمر ، الذى لا يفرق بين الحصباء واند ، ويرحم الله الشيخ اليوسى اذ قال فى محاضراته ما نصه : « وقد طرق أسماى العوام من قبل اليوم كلام أهل الصولة كفحول القادرية والشاذلية رضى الله عنهم ، وكلام أرباب الاحوال فى كل زمان ، فتعشقت النفوس ذلك ، وأذعر له الجمهور وخاضوا فى التشبيه بهم ، فما شئت أن تلقى جاھلا مسرفا علم نفسه لم يعرف بعد ظاهر الشريعة ، فضلا عن أن يعمل ، فضلا عن أن يخلص إلى الباطن ، فضلا عن أن يكون صاحب مقام الا وجدته يصول ويقول ، ويناب المنقول والمعقول ، وأكثر ذلك فى أبناء الفقراء ، يريد الواحد منهم أن يتحل بحلية أبيه ، ويستتبع أتباعه بغير حق ولا حقيقة بل لمجرد حطام الدنيا فيقول خدام أبى ، وزريبة أبى ، ويضرب عليهم المغرم كمغرم السلطان ، وأقبل أن يحبوا أحدا فى الله أو يعرفوه أو يقتدوا به غيره ، وإذا رأى مخرج يطلب دينه أو من يدلّه على الله تعالى يغضب عليه ويتوعده بالهلاك فى نفسه وماله ، وقد يقع شىء من المصائب بحكم القضاء والابتلاء فيضيفه إلى نفسه فيزداد بذلك هو وأتباعه ضلالا ، ثم يخترق لهم من الخرافات والامو المعتادة ما يدعيه سيرة ودينا يستهوئهم به ، ثم يضمن لهم الجنة على مساوى أعماله والشفاعة يوم المحشر ، ويقبض على لحمة من ذراعه فيقول للجاهل مثله « أنت من هذه اللحمة » فيكتفى جهال العوام بذلك وبقون فى خدمته ولد عن والد ، قائلين نحن خدام الدار الفلانية وفى زريبة فلان ، فلا نخرج عنه وكذا وجدنا آباءنا وهذا هو الضلال المبين . وهؤلاء قطاع العباد عن الله « الم آخر كلامه فقف عليه فى الفصل الخامس والعشرين منها فانه نفيس وبالذ تعالى التوفيق .

وفى سنة احدى عشرة وتسعمائة توفى الفقيه أبو العباس أحمد بن عيسى الماواسى البطوى الموقت المشهور .

وفى سنة اثنتى عشرة بعدها توفى الشيخ الفقيه أبو الحسن على بن فاسم التجيبى المعروف بالزقاق فقيه فاس ، وهو صاحب المنظومة اللامية فى عد القضاء وغيرها .

وفى سنة أربع عشرة وتسعمائة ، فى يوم الثلاثاء بالعشرين من صفر منها توفى الشيخ الامام أبو العباس أحمد بن يحيى الوائشريسى مؤلف « المعيار » وغيره من التأليف الحسان ، أصله من تلمسان واستوطن مدينة فاس الى أن توفى بها فى التاريخ المذكور . وفيها أيضا توفى الشيخ الكبير أبو فارس عبد العزيز ابن عبد الحق الحرار المعروف بالنباغ دفين حومة الفحول من مراکش من أصحاب الشيخ الجزولى رضى الله عنهما ، وصفه شيخه المذكور بالكيما ، وكان يقال : النظرة فيه تغنى ، أفاض الله علينا من مدده .

وفى سنة تسع عشرة وتسعمائة توفى الشيخ الامام العلامة النظار أبو عبد الله محمد بن أحمد بن غازى العثمانى المكناسى ثم الفاسى ، وقد تقدم خبره مع الشيخ أبى محمد الغزوانى رحمهما الله .

وفى سنة ست وعشرين وتسعمائة انحبس المطر بفاس والمغرب واضطر الناس الى استخراج السواقى من الاودية والانهار لسقى زرعهم وثمارهم . وفى سنة سبع وعشرين بعدها كان الغلاء والجوع الكبير الذى صار تاريخا فى الناس مدة .

وفى سنة ثمان وعشرين بعدها كان الوباء بالمغرب ، سنة الله فى خلقه ، وفى هذه المدة ، أغنى أعوام الثلاثين وتسعمائة على ما فى الدوحة ، توفى الشيخ أبو عبد الله محمد بن منصور السفينى دفين جزيرة البساس من بلاد أولاد جلون على مسيرة نصف يوم من مصب نهر سبو فى البحر من جهة المشرق ، وكان من أصحاب الشيخ التباع ، والروضة التى عليها بناها الشيخ أبوزيد عبد الرحمن المجذوب ، يقال انه لما أكملها رآه فى المنام وألبسه حلة خضراء . وفى سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة فى ثانى يوم من ربيع الاول منها توفى الشيخ أبو محمد عبد الكريم بن عمر الحاحى المعروف بالفلاح ضجيع القاضى عياض فى روضته بحومة باب ايلان من مراکش ، وهو من أصحاب الشيخ التباع أيضا ، وفى هذه المدة على ما فى « الدوحة » توفى الشيخ أبو يشو ما لك بن خدة الصبيحى من عرب صبيح ، كان من أهل العلم والفضل والدين ، ودفن على ضفة نهر سبو على نحو مرحلة من فاس ، وقبره مزاراة الى الآن .

وفى سنة خمس وثلاثين وتسعمائة توفى الشيخ أبو محمد الغزوانسى
 رضى الله عنه دفين حومة القصور من مراکش ، وقد تقدم شىء من خبره .
 وفى أعوام أربعين وتسعمائة توفى الشيخ الكامل أبو عبد الله محمد بن
 عيسى السفينانى المختار . ثم الفهدى دفين مكناسة الزيتون ، وهو شيخ جليل
 القدر شهير الذكر رضى الله عنه ونفعنا به آمين .



تم الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس
 أوله :

الخبر عن دولة الاشراف السعديين من آل زيدان

فهرس الموضوعات

صفحة	
٣	الخبر عن دولة السلطان السعيد بالله أبي بكر بن أبي عنان بن أبي الحسن المريني
٤	ظهور أبي حمو موسى بن يوسف الزياني واستيلاؤه على تلمسان ونهوض مسعود بن عبد الرحمن اليه وطرده عنها
٥	ظهور منصور بن سليمان وبيعة مسعود بن عبد الرحمن له وما نشأ عن ذلك
٧	الخبر عن دولة السلطان المستعين بالله أبي سالم ابراهيم بن أبي الحسن المريني
٨	قدوم الغني بالله ابن الاحمر ووزيره ابن الخطيب مخلوعين على السلطان أبي سالم والسبب في ذلك
١٣	سفر ابن الخطيب الى مراکش واعمالها وزيارته لاوليائها ورجالها والسبب في ذلك
٢٠	بقية أخبار ابن الخطيب بسلا حرسها الله
٢٢	انتفاض الحسن بن عمر الفودودي وخروجه بتادلا ثم مقتله عقب ذلك
٣٣	نهوض السلطان أبي سالم الى تلمسان واستيلاؤه عليها
٣٤	وفادة السودان من أهل مالي على السلطان أبي سالم واغرابهم في هديتهم بالزرافة الحيوان المعروف
٣٧	الخبر عن دولة السلطان أبي عمر تاشفين الموسوي بن أبي الحسن المريني
٤١	مقتل السلطان أبي سالم رحمه الله والسبب في ذلك

- ٤١ للفتك بغرسية بن انطول قائد النصارى ومقتل جنده معه والسبب
في ذلك
- ٤٣ ظهور عبد الحليم بن أبي علي بن أبي سعيد ومحاصرته لفاس
الجديد ثم فراره منها
- ٤٤ الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبي زيان محمد بن أبي
عبد الرحمن يعقوب بن أبي الحسن المريني
- ٤٦ وفادة ابن الخطيب من سلا على السلطان أبي زيان بن أبي عبد
الرحمن رحمهما الله
- ٥٠ وفادة عامر بن محمد الهنتاتي على السلطان أبي زيان بن أبي عبد
الرحمن رحمهما الله
- ٥١ مقتل السلطان أبي زيان بن أبي عبد الرحمن رحمه الله
- ٥٢ الخبر عن دولة السلطان أبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن
رحمه الله
- ٥٣ انتفاض أبي الفضل بن أبي سالم ثم مقتله بعد ذلك
- ٥٤ انتفاض عامر بن محمد الهنتاتي وحصار السلطان عبد العزيز إياه
وظفره به
- ٥٦ ارتجاع الجزيرة الخضراء من يد الاسبانيول
- ٥٧ نهوض السلطان عبد العزيز إلى تلمسان واستيلائه عليها وفرار
سلطانها أبي حمو بن يوسف عنها
- ٥٨ نزوع الوزير ابن الخطيب عن سلطانه الغني بالله إلى السلطان
عبد العزيز بتلمسان
- ٥٩ وفادة السلطان عبد العزيز بن أبي الحسن رحمه الله
- ٦٠ الخبر عن دولة السلطان السعيد بالله أبي زيان محمد بن عبد
العزيز بن أبي الحسن
- ٦١ الخبر عن الدولة الأولى للسلطان المستنصر بالله أبي العباس
أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن

- ٦٢ محنة الوزير ابن الخطيب ومقتله رحمه الله
بقية أخبار أمير مراکش عبد الرحمن بن أبي يفلوسن رحمه
الله
- ٦٥ ذكر الشاوية وبيان نسبهم وأوليتهم وشرح لقبهم وتسميتهم
٦٦ نهوض السلطان أبي العباس الى تلمسان وفتحها وتخريبها
٦٧ خلع السلطان أبي العباس بن أبي سالم وتغريبه الى الاندلس
والسبب في ذلك
- ٦٨ الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبي فارس موسى بن
أبي عنان بن أبي الحسن
- ٦٩ خروج الحسن بن الناصر بغمارة ونهوض الوزير ابن ماساي اليه
٧٠ وفاة السلطان موسى بن أبي عنان رحمه الله
٧١ الخبر عن دولة المنتصر بالله السلطان أبي زيان محمد بن أبي
العباس بن أبي سالم بن أبي الحسن
- ٧١ الخبر عن دولة السلطان الواثق بالله أبي زيان محمد بن أبي
الفضل بن أبي الحسن
- ٧٢ الخبر عن الدولة الثانية للسلطان أبي العباس بن أبي سالم بن أبي
الحسن
- ٧٣ ظهور محمد بن عبد الحلیم بن أبي علي بسجلماسة ثم اضمحلال
أمره بعد ذلك
- ٧٤ نكبة الكاتب ابن عمرو وحركات بن حسون ومقتلهما
٧٥ أخبار تلمسان واستيلاء السلطان أبي العباس عليها
٧٦ وصول هدية صاحب مصر الظاهر برقوق الى السلطان أبي
العباس بتازا والسبب في ذلك
- ٧٧ وفادة السلطان أبي العباس بن أبي سالم
٧٨ الخبر عن دولة السلطان المستنصر بالله أبي فارس عبدالعزيز
٧٩ ابن أبي العباس بن أبي سالم رحمه الله

- ٨٠ بقية أخبار السلطان عبد العزيز ووفياته
- ٨١ الخبر عن دولة السلطان المستنصر بالله أبي عامر عبد الله بن أبي
العباس بن أبي سالم رحمه الله تعالى
- ٨٢ وفاة الشيخ ابن عاشر
- ٨٣ وفاة الشيخ أبي عبد الله الفزاري السلاوي المعروف بابن المجراد
- ٨٤ وفاة الشيخ ابن عباد
- ٨٤ تبدل الأحوال بالمغرب والمشرق
- ٨٦ الخبر عن دولة السلطان أبي سعيد عثمان بن أبي العباس بن أبي سالم
- ٨٦ حجابة أبي العباس القبائلي ونكبته ومقتله والسبب في ذلك
- ٨٩ حجابة فارح بن مهدي وأوليته وسيرته
- ٩٥ حجابة أبي محمد الطريفي وسيرته
- حدوث الفتنة بين السلطان أبي سعيد والسلطان أبي فارس
- ٩٠ الحفصي والسبب في ذلك
- ٩٢ استيلاء البرتقال على مدينة سبنة أعادها الله
- الخبر عن دولة السلطان عبد الحق بن أبي سعيد بن أبي العباس
- ٩٥ ابن أبي سالم المريني رحمه الله
- ٩٥ زحف البرتقال إلى طنجة ورجوعهم عنها بالخفية
- ٩٦ أخبار الوزراء والحجاب ونصرفانهم
- وزراء يحيى بن يحيى الوطاسي ومقتله ومقتل الوطاسيين معه
- ٩٧ والسبب في ذلك
- رياسة اليهوديين هرون بن زينا وما نشأ عن استبدادهما من
- ٩٨ المحنة والفتنة
- ٩٨ انتزاع الاصبول بن طارق من يد ابن الأحمر
- ٩٨ استيلاء البرتقال على طنجة
- ٩٩ مقتل السلطان عبد الحق بن أبي سعيد والسبب في ذلك
- ١٠٠ وفاة الشيخ أبي زيد عبد الرحمن المكودي

- ١٠٠ : وفاة الشيخ أبي عبد الله بن الفتوح
- ١٠١ : وفاة الامام العبدوسي
- ١٠١ : وفاة الشيخ أبي عبد الله القوي
- ١٠١ : وفاة الشيخ رزوق
- ١٠١ : وفاة الشيخ أبي العباس أحمد البرنسي
- بقية أخبار بني الأحمر واستيلاء العدو على غرناطة وسائر
- ١٠٢ : الأندلس منها وانقراض كلمة الاسلام منها
- ١٠٤ : سقوط غرناطة في يد الاصبان
- ١٠٧ : اكتشاف أرض اميركا
- ١٠٩ : أخبار البرتغال بالمغرب الأقصى على الجملة
- ١١٤ : الخبر عن دولة الشريف أبي عبد الله الحفيد وأوليه
- ١١٥ :بيعة السلطان أبي عبد الله الحفيد والسبب فيها
- ١١٦ : فتنة الشاوية ووصولهم الى بلاد الغرب
- ١١٦ : استيلاء البرتغال على مدينة آفا وآصلا
- ١١٧ : خلع السلطان أبي عبد الله الحفيد وانقراض أمره
- ١١٨ : الخبر عن دولة بني وطاس وذكر نسبهم وأوليتهم
- الخبر عن دولة السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ بن أبي
- ١١٩ : زكرياء الوطاسي رحمه الله
- رياسة بني راشد من شرفاء العلم بعمارة وبنائهم مدينة شفشاون
- ١٢١ : وما يتبع ذلك
- ١٢٢ : ثورة عمر بن سليمان السيف ببلاد السوس وشيء من أخباره
- ١٢٢ : وفاة الشيخ الجزولي رحمه الله
- ١٢٤ : بناء مدينة تطاوين
- قدوم أبي عبد الله ابن الأحمر مخلوعا على السلطان محمد الشيخ
- ١٢٥ : الوطاسي رحمه الله

- استيلاء البرتقال على ساحل البريجة وبنائهم مدينة الجديدة
١٣٦ صانها الله سبحانه وتعالى بيمينه
- استيلاء البرتقال على سواحل السوس وبنائهم حصن فوتي قرب
١٣٩ آكادير وما قيل في ذلك
- ١٤٠ وفاة السلطان محمد الشيخ الوطاسي رحمه الله
- الخبر عن دولة السلطان محمد بن محمد الشيخ الوطاسي
١٤٠ المعروف بالبرتقال
- ١٤١ استيلاء البرتقال على ثغر آسفي حرسه الله
- ١٤٢ زحف السلطان أبي عبد الله البرتقالى الى آصلا
- ١٤٢ استيلاء البرتقال على ثغر آزمور حرسه الله
- ١٤٣ استيلاء البرتقال على ثغر المعمورة حرسه الله
- أخبار السلطان أبي عبد الله البرتقالى مع الشيخ أبي محمد
١٤٤ الغزوانى رضى الله عنه
- نهوض السلطان أبي عبد الله البرتقالى الى مراكش ومحاصرته
١٤٧ أبا العباس الاعرج السعدى بها
- ١٤٨ ذكر وزراء السلطان أبي عبد الله وما قيل فيهم
- ١٤٨ وفاة السلطان أبي عبد الله رحمه
- الخبر عن الدولة الاولى للسلطان أبي حسون بن محمد الشيخ
١٤٩ الوطاسي
- ١٥٠ وقعة آنماى بين الوطاسيين والسعديين
- عقد الصلح بين السلطانين أبي العباس الوطاسي وأبي العباس
١٥١ السعدى رحمهما الله تعالى
- ١٥٢ غزوة الحمر قرب آصلا حرسها الله
- وقعة أبي عقبة بوادى العيد وما كان فيها بين الوطاسيين
١٥٣ والسعديين من القتال الشديد

١٥٥	بناء السلطان أبي العباس الوطاسي قنطرة الرصيف بفاس حرسها الله
١٥٦	استيلاء السلطان محمد الشيخ السعدي على فاس وفبضه على بني وطاس ومهلك سلطانهم أبي العباس رحمه الله تعالى بفضله
١٥٧	بقية أخبار السلطان أبي العباس الوطاسي وسيرته
١٥٩	الخبر عن الدولة الثانية للسلطان أبي حسون الوطاسي رحمه الله
١٦١	مجىء السلطان محمد الشيخ السعدي الى فاس واستيلاؤه عليها ومقتل السلطان أبي حسون رحمه الله
١٦٤	وفاة الشيخ أبي العباس الماواسي
١٦٤	وفاة الشيخ أبي العباس التجيبي
١٦٥	وفاة الشيخ أبي العباس الوانشريسي
١٦٥	وفاة الشيخ التباع
١٦٥	وفاة الامام ابن غازي
١٦٥	وفاة الشيخ أبي عبد الله بن منصور
١٦٥	وفاة الشيخ الفلاح
١٦٥	وفاة الشيخ مالك بن خدة
١٦٦	وفاة الشيخ أبي محمد الغزواني
١٦٦	وفاة الشيخ أبي عبد الله محمد بن عيسى

فهرس الاعلام والقبائل

١١٩ - ١١٨ - ١١٤	آل أبي بكر - ١٥٢
ابن شقرون ١٤٥	آل عثمان التركماني ١٦٣
أبو اسحق ابراهيم بن أحمد الناورتي	آل مرين ٣١
٩٤ - ٩٣	آل يعقوب ٣١
أبو اسحق ابراهيم بن محمد الزناسني	ابراهيم البطروجي ٤٢
٧٨ - ٧٥	الابكم ابن الاحمر ٦
أبو البقاء بن تاشكورت ٣٠	ابن الاحمر ٤٣ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٩
أبو البقاء عبد الوارث الياصلوتي	٦٢ - ٦٣ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٢
١٤٦ - ١٤٥	٧٣ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٨ - ١٢٠
أبو بكر بن عامر ٥٥	١٢٤ - ١٣٥
أبو بكر بن غازي ٥٤ - ٥٧ - ٦٠	ابن انطول ٤٢
٦١ - ٦٣ - ٨١	ابن بطان الضهاجي - ١٥
أبو بكر بن يحيى الوطاسي ٩٧	ابن حجاج ١٣١
أبو بكر الحفصي ٥٠	ابن الخطيب ٩ - ١٢ - ١٣
أبو بكر السعيد بن أبي عنان المريني	١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٤
٧ - ٣	٢٥ - ٢٦ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١
أبو بكر بن أبي العباس المريني ٩٠	٣٢ - ٣٤ - ٣٩ - ٤٤ - ٤٥
أبو تاشفين بن أبي حمو بن يوسف	٤٨ - ٥٨ - ٦٠ - ٦٢ - ٦٣
الزياني ٧٦	٦٤ - ٨٣
أبو ثابت عامر بن محمد الهنتاتي ٥٥	ابن خلدون ٥ - ٧ - ٨
أبو الحجاج يوسف ابن الاحمر	٣٣ - ٣٥ - ٣٩
٨٢ - ٨١ - ٢٧ - ٨	٥١ - ٥٢ - ٦٥ - ٦٦ - ٧١
أبو الحجاج يوسف بن منصور	٧٧ - ٨٠ - ٨٢ - ٨٤ - ٨٩

- الوطاسي ١١٧ - ١٢٠
 أبو حدو ١٦
 أبو حفص عمر الخطاب ١٥١
 أبو الحسن بن أبي محمد للعلمي -
 أبو جمعة - ١٢١
 أبو الحسن علي بن راشد ١٢٥ -
 ١٥٤
 أبو الحسن علي بن سعد ١٠٢
 أبو الحسن علي بن عبد الرحمن
 أنقبائي ٨٦ - ٨٨
 أبو الحسن علي بن عثمان الشاوي
 ١١١ - ١٥٢
 أبو الحسن علي بن قاسم التجيبي -
 الزقاق - ١٦٤
 أبو الحسن علي بن محمد الشيخ
 الوطاسي - أبو حسون - ١٤٨
 ١٤٩ - ١٥٧ - ١٥٩ - ١٦٠
 أبو الحسن بن علي بن مصباح الحسني
 - ابن عسكر - ١١١ - ١٤٩
 أبو الحسن علي بن موسى العلمي
 - ١٢١
 أبو الحسن علي بن هرون المطغري
 ١٥١
 أبو الحسن علي بن الوزير لسان الدين
 ابن الخطيب ٧٨ - ٧٩
 أبو الحسن علي الصنهاجي الدوار
 ١٥٨
 أبو الحسن علي المنظري الغرناطي
 ٩٠ - ١٢٤ - ١٢٥
 أبو الحسن علي اليوسي ١٦٤
 أبو الحسن المريني ٧ - ١٨ - ٢٥
 ٢٩ - ٣٤ - ٤١ - ٤٣ - ٤٤
 ٥٤ - ٥٩
 أبو الحسن النباهي ٦٢
 أبو حمو موسى بن يوسف انزياني ٤
 ٥ - ٣٣ - ٣٤ - ٤٣ - ٥٥
 ٥٧ - ٦٠ - ٦٧ - ٦٨ - ٧٤
 ٧٦
 أبو دواد ١٣٢
 أبو الرواين المحجوب ١٥١ -
 ١٥٣
 أبو زكرياء بن فرقاچه ٣٠
 أبو زكرياء يحيى بن أبي دلامة ٩٤
 أبو زكرياء يحيى بن أبي عبد الله
 البرتقالي ١٥٦
 أبو زكرياء يحيى بن أحمد بن عبد
 المنان ٧٩
 أبو زكرياء يحيى بن بكار ١١٣
 أبو زكرياء يحيى بن زيان الوطاسي
 ٩٦ - ٩٧ - ١١٩
 أبو زكرياء يحيى السراج ٨٤
 ١٥٤

أبو زيان بن أبي حمو الزيانى ٧٩	أبو سعيد المرينى ٨٨
٨٠	أبو سلهم ١٤٥
أبو زيان بن عبد الرحمن يعقوب بن	أبو شامة بن يحيى الوطاسى ٩٧
أبى الحسن المرينى ٤٤ - ٤٥ -	أبو طلحة الزبير بن محمد المصباحى
٤٦ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢	الشاوى ١٥٣ - ١٥٤
أبو زيان محمد بن أبى الفضل بن أبى	أبو عامر بن عبد الرحمن بن أبسى
الحسن المرينى - الواصل بالله - ٧٢	يفلوسن ٦٥
٧٣	أبو العباس أحمد البرنسى - زروف -
أبو زيان محمد بن عبد العزيز بن أبى	١٠١
الحسن - السعيد بالله - ٦٠ - ٦١	أبو العباس أحمد بن عاشر الحافى
٦٣	٨٣
أبو زيان محمد بن عثمان بن أبسى	أبو العباس أحمد بن عمر بن محمد
ناشفين ٣٤	ابن عاشر الاندلسى ٢١ - ٢٤
أبو زيد عبد الرحمن بن على بن صالح	٨٢ - ٨٣
المكودى ١٠٠	أبو العباس أحمد بن على القبائلى
أبو زيد عبد الرحمن المجذوب ١٦٥	٧٨ - ٨١ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٩
أبو سالم ابراهيم بن أبى الحسن	أبو العباس أحمد بن القاضى المكناسى
المرينى - المستعين بالله - ٧ - ٨ - ٩	٧١ - ١١١ - ١٤٠ - ١٤٩
١٢ - ١٣ - ١٩ - ٢٥ - ٢٦	١٦٢
٢٩ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥	أبو العباس أحمد بن محمد البرتقالى
٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤١ - ٥٩	١٤٩ - ١٥٠ - ١٥٨ - ١٥٩
أبو سعيد عثمان بن أبى للعباس	أبو العباس أحمد بن محمد الشيخ
المرينى ٢٩ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨	الوطاسى ١٤٦ - ١٥١ - ١٥٣
٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣	١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ -
٩٤	أبو العباس أحمد بن يحيى
أبو سعيد القبائلى ٨٧	الواشريسى ١٦٥

- أبو عبد الله الحفيد - محمد بن علي
الادريسي العمراني ٩٩ ١١٤
١١٥ - ١١٦ - ١١٧ - ١١٩
١٢٠
أبو عبد الله الزياتي ١٦٢
أبو عبد الله الصغير السهلي ١١٦
أبو عبد الله القصار ١٤١
أبو عبد الله العقيلي ١٢٥
أبو عبد الله القوري ١٢٢
أبو عبد الله محمد بن ابراهيم النفزي
- ابن عباد - ٨٤
أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن
١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥
أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء
الحفصي ٩٠ - ٩١
أبو عبد الله محمد بن أبي العباس
الوطاسي ١٥٧
أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل
النونسي - خروف ١١٢
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد
الله اليفرنى ١٤٦
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق
٢٥ - ٢٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩
١١٣
أبو عبد الله محمد بن ادريس الجرارى
١٣٧
- أبو العباس أحمد بن يوسف ١٥
أبو العباس أحمد الدغمورى القصرى
١١٣
أبو العباس أحمد زروق ١٠٠
أبو العباس أحمد الماواسى ١٤٩
١٦٤
أبو العباس أحمد الناصرى ٢٢
أبو العباس الاعرج السعدى ١٤٧
١٥٠ - ١٥١ - ١٥٣ - ١٥٤
١٥٦
أبو العباس بن أبي سالم المرينى ٦١
٦٢ - ٦٣ - ٦٥ - ٦٧ - ٦٨
٦٩ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥
٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٢
٨٤ - ٨٩ - ١١٨ - ١١٩
أبو العباس بن الخطيب القسطينى -
ابن قنفذ - ٨٣
أبو العباس السبتى ١٧
أبو العباس الصومعى ٢١ - ١٢٣
أبو العباس المقرئ ١٠٦
أبو عبد الله الباجى ٩١
أبو عبد الله بن الاحمر ١٢٥
أبو عبد الله بن الازرق ١١٥
أبو عبد الله بن زمرك الاندلسى
٣٦ - ٦٣ - ٦٩
أبو عبد الله بن سعد التلمسانى ٨٢

أبو عبد الله محمد بن راشد الأدرسي	١٦٠
أبو عبد الله محمد بن سعد - الزغل -	١٠٢ - ١٠٣
أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزولي	١٢٢ - ١٢٣ - ١٣٢ - ١٤١
أبو عبد الله محمد بن يوسف الفاسي	١٤٢ - ١٦٥
أبو عبد الله محمد بن يحيى البهلوي	١١٢ - ١١٣ - ١٤٩
أبو عبد الله محمد بن يوسف الفاسي	١٥٦
أبو عبد الله محمد الشيخ السعدي	١٣٩ - ١٥٧ - ١٥٩ - ١٦٠
أبو عبد الله محمد الشيخ بن أبي	١٦١
زكرياء الوطاسي ٩٧ - ٩٨ -	١١١ - ١١٧ - ١١٩ - ١٢٠
أبو عبد الله محمد الحلو ٩٧ -	١٢٤ - ١٤٤ - ١٤٨ - ١٥١ -
أبو عبد الله محمد الحلو ٩٧ -	١٥٤ - ١٥٦
أبو عبد الله محمد الخصاصي ٨٢	١١٩ - ١٢٤
أبو عبد الله محمد العربي الفاسي	٨٩ - ١١٦ - ١٤١
أبو عبد الله محمد الغزواني ١٤٤	١٤٥ - ١٤٦ - ١٥٢
أبو عبد الله محمد الفزاري - ابن	١٤٤ - ١٤٣ - ١٤٢ - ١٤٤
المجراد - ٨٣	١٤٧ - ١٤٨
أبو عبد الله محمد بن راشد الأدرسي	١٦٠
أبو عبد الله محمد بن سعد - الزغل -	١٠٢ - ١٠٣
أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزولي	١٢٢ - ١٢٣ - ١٣٢ - ١٤١
أبو عبد الله محمد بن يوسف الفاسي	١٤٢ - ١٦٥
أبو عبد الله محمد بن يحيى البهلوي	١١٢ - ١١٣ - ١٤٩
أبو عبد الله محمد بن يوسف الفاسي	١٥٦
أبو عبد الله محمد الشيخ السعدي	١٣٩ - ١٥٧ - ١٥٩ - ١٦٠
أبو عبد الله محمد الشيخ بن أبي	١٦١
زكرياء الوطاسي ٩٧ - ٩٨ -	١١١ - ١١٧ - ١١٩ - ١٢٠
أبو عبد الله محمد الحلو ٩٧ -	١٢٤ - ١٤٤ - ١٤٨ - ١٥١ -
أبو عبد الله محمد الحلو ٩٧ -	١٥٤ - ١٥٦
أبو عبد الله محمد الخصاصي ٨٢	١١٩ - ١٢٤
أبو عبد الله محمد العربي الفاسي	٨٩ - ١١٦ - ١٤١
أبو عبد الله محمد الغزواني ١٤٤	١٤٥ - ١٤٦ - ١٥٢
أبو عبد الله محمد الفزاري - ابن	١٤٤ - ١٤٣ - ١٤٢ - ١٤٤
المجراد - ٨٣	١٤٧ - ١٤٨

- أبو عبد الله محمد القصرى - سقين - ١١١
أبو عبد الله المقرئ ١١٥
أبو عبد الله المواق ١٠٣
أبو عبد الله النيجي ١٤٧
أبو عبد الله اليفرنى ١٤٩
أبو عثمان سعيد بن أبى بكر المشتراى
١٥٨ - ١٥٧
أبو العزم رحال الكوش ١٥٠
١٥٨
أبو عمرو عثمان بن محمد الحفصى
١٦٢ - ١٦١
أبو على بن أبى سعيد المرينى ٤٣
أبو على الحسن بن مسعود اليوسى
٢٢
أبو على الحسن بن محمد العلوى
١٣٧
أبو عمر تاشفين بن أبى الحسن المرينى
- الموسوس - ٣٨ - ٤٣ - ٤٤
٥٥ - ٥٦
أبو عنان بن أبى الحسن المرينى ٣
٤ - ٥ - ٧ - ٥٠ - ٥٤
٧٥ - ٨٢ - ١١٥ - ١١٨
أبو فارس الحفصى ٩٠ - ٩١ -
١٦١
- أبو فارس عبد العزيز بن أبى الحسن
المرينى ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥
٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٦٠ - ٦٢
٦٣ - ٨٢
أبو فارس عبد العزيز بن أحمد
المليانى ٩٤
أبو فارس عبد العزيز بن عبد الحق
الحرار - التباع - ١٢٣ - ١٤٤
١٦٥
أبو فارس عبد العزيز بن أبى العباس
المرينى ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩
٨٠ - ٨١ - ٩٠
أبو فارس موسى بن أبى عنان المرينى
٦٨ - ٦٩ - ٧١ - ٧٢ - ٧٥
أبو فارس الورياكلى ٩٩ - ١١٥
أبو الفضل بن أبى سالم المرينى ٤٢
٥٠ - ٥٣ - ٥٤
أبو الفضل فرج الاندلسى ١١١
أبو الفضل محمد بن محمد بن أبى
عمرو التميمى ٧١
أبو القاسم بن أبى طلحة ١٥٤
أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن
رضوان ٣٩
أبو القاسم القبائلى ٨٧
أبو القاسم محمد بن سودة المرى ٧١

أبو محمد عبد الله الوريّاكلى ١١٣	أبو القاسم محمد بن عبد الله الحسنى
أبو محمد عبد الواحد بن أحمد	٧٨
الوانشريسى ١٦٣	أبو القاسم محمد بن يحيى الاندلسى
أبو محمد الغزوانى ١١٦ - ١٤٧	٣٩
١٤٨ - ١٥٠ - ١٦٥ - ١٦٦	أبو مالك عبد الواحد بن أحمد
أبو مدين ٨٣	الوانشريسى ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٥
أبو النجاء سالم الرودانى ١١٦	١٥٨ - ١٥٩
أبو يشو مالك بن خدة الصيحي ١٦٥	أبو المحاسن الفاسى ١٥٦
أبو يعزى ٢١ - ١٢٣	أبو محمد بن الخطيب ٢٩ - ٤٨
أبو يحيى محمد بن محمد السكالك	أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد
٧٣	الوانشريسى ١٤٩
أبو يحيى محمد بن محمد بن أبى	أبو محمد عبد الحق ١١٠
القاسم بن أبى مدين ٥٩ - ٧٣	أبو محمد عبد الحق بن أبى سعيد
الأتراك ١٤٣ - ١٦١ - ١٦٢	المرينى ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨
أحمد بن أبى عبد الله محمد الوطاسى	٩٩ - ١١٤ - ١١٥ - ١١٦
١١٢	١١٧ - ١١٩
أحمد الحفصى ٩١	أبو محمد عبد الرحيم بن ابراهيم
ادارسة فاس ١١٤	اليزناسنى ٩٥ - ٩٦
ادريس بن ادريس ١١٤	أبو محمد عبد الله بن ياسين ١١١
اسماعيل ابن الاحمر ٨ - ٩	أبو محمد عبد الله الطريفى ٨٧
الاشراف الادارسة ١١٥	٩٠
أصبانيا ٨٩	أبو محمد عبد الله العبدوسى -
الاصبنيول ٩٠ - ٩٣ - ٩٨	القورى - ١٠١
١٠٧ - ١٠٩ - ١٢٤ - ١٢٥	أبو محمد عبد الله الكوش ١١١
١٤٣ - ١٦٢ - ١٦٣	

أهل مراکش ١٤٧	اعتماد ٢٠
أهل المغرب ٧ - ٢٧ - ٩٣ -	أعراب افريقة ٩١
١٠٠ - ١١٤ - ١٣٦ - ١٥١	الأفرنج ١١٠
أهل المغرب الأقصى ١١١	أهل آزمور ١٢٥ - ١٤٢ - ١٤٣
أهل المشرق ٢٧	أهل آسفى ١٤١
أولاد جرار ٧٧	أهل أشبونة ١٣٩
أولاد حسين ٦٧ - ٧٧	أهل الاندلس ٢٥ - ٣٢ - ٦٤
أولاد عبد الحميد ١٥٢	أهل البشرات ١٠٥
أولاد المنجور ١٥٨	أهل البيازين ١٠٦
الايالة المرينية ٧٢	أهل تامسنا ١٣٦
ايسابلا ١٠٧ - ١٢٤	أهل تطاوين ٨٩ - ١٢٥
<u>حرف (ب)</u>	أهل تلمسان ١٦٢
برابرة صناكة ٣٢	أهل جبل طارق ٩٣
البربر ٥٥ - ٦٧ - ٨٥	أهل جنوة ١٠٧ - ١٠٩
بر بن قيس ١٣٢	أهل حومة القلقين ٩٩
البرتقال ٩٢ - ٩٣ - ٩٥ - ٩٨	أهل الخروب ١٢١
١٠٧ - ١٠٩ - ١١٠ - ١١٦	أهل الذمة ١١٢
١١٩ - ١٢٠ - ١٢٤ - ١٢٥	أهل الريف ١٢٤
١٣٦ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤١	أهل سلا ٨٣
١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٥٤	أهل السوس ١٣٩
١٦٣	أهل الصفيحة ٧٠
بنو الاحمر ٦٢ - ٧٣ - ١٠٢	أهل غرناطة ١٠٤
١٠٩	أهل فاس ٩١ - ٩٨ - ٩٩
بنو أبى الحسن ٧	١٠٠ - ١٠١ - ١١٤ - ١١٧
بنو أبى حفص ١٠٩	١٢٠
	أهل مالى ٣٤ - ٣٥

بنو وطاس ٩٨ - ١٠٩ - ١١٠
 ١١٨ - ١١٩ - ١٣٨ - ١٤٧
 ١٤٨ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٦
 ١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩
 بنو يزناسن ١٦٢
 البيت الادريسي ١١٤

حرف (ت)

تاشفين المريني ٥٥
 تاملالت - أم موسى بن أبي عنان
 ٦٩
 تان المريني ١٠٠
 الترك ٧٧ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦٢
 ١٦٣

حرف (ج)

جوهر - أم السلطان المستنصر بالله
 عبد العزيز بن أبي العباس - ٧٩
 ٨١ - ٨٦
 الجراكسة ٧٧
 الجلالة ١٠٩

بنو أبي العباس ٨٦
 بنو اسرائيل ١٢٢
 بنو توجين ٣٤
 بنو جابر ٣٢
 بنو راشد ١٢١
 بنو زغبة ٥
 بنو زيان ٣٣ - ١٠٩ - ١٥٩
 ١٦٢
 بنو سعيد ٦٨
 بنو عامر بن رغبة ٤ - ٣٣ - ٥٧
 ٨٥
 بنو عبد الحق ٩٥ - ١١٨
 بنو عبد الحميد العروسيون ١٥٢
 ١٥٣
 بنو عبد الواد ٦٠
 بنو فنكار ١٤٤ - ١٤٧
 بنو القبائلي ٨٦
 بنو مرين ٤ - ٥ - ٦ - ٢٥ - ٣١
 ٤٢ - ٤٣ - ٥٠ - ٥٢ - ٦٠
 ٦٢ - ٦٣ - ٧٤ - ٨١ - ٨٩
 ٩١ - ٩٥ - ١٠٠ - ١٠٩ -
 ١١٥ - ١١٨ - ١٢٠ - ١٣٢
 ١٦١
 بنو معقل ٥ - ٣٣ - ٣٥ - ٥٧
 بنو الوزير ١١٨

حرف (ح)

الحرث بن عباد ١٣٢

الحبشة ٢٦

الحرّة ابنة أبي محمد السبائي ٦١

الحرّة ابنة الأمير أبي الحسن على

١٥٤

حركات بن حسون ٧٥

حسان بن أبي سعيد الصيحي ٦٦

حسن بن خير الدين باشا ١٦٣

الحسن بن علي الوردغي ٣٢

الحسن بن عمر الفودودي ٤ - ٣

٥ - ٧ - ٨ - ٣٢ - ٣٣ -

الحسن بن محمد بن أحمد بن مرزوق

٨

الحسن بن الناصر ٧١ - ٧٠

الحسن بن يوسف الورتاجيني ٣٢

الحسين الشرطي ٩٨

حمو الزياني ٨١

حرف (خ)

خالد ٨١

الخضر ١٢٢

خليل - الشيخ - ١٠١

خوان الاول ٩٤ - ٩٢

خير الدين باشا ١٦٢

حرف (د)

دكالة ١٣٦

دول الاروبا ١٦٢

دولة ابن الاحمر ٧

الدولة الاندلسية ١٧

دول بني الاحمر ١٢٤

دولة بني زيان ١٦١

دولة بني وطاس ١١٤ - ١٢١

الدولة السعدية ١٤٧

دولة الشرفاء الادارسة ١١٠

دولة الشريف العمراني ١١٤

الدولة المرينية ٦٢ - ٨٠ - ٨٦

١١٥ - ١٦١

الدولة الموحدية ٨٦

الديار المشرقية ١٦٣

حرف (ذ)

ذوي حسان ٣٥

حرف «ر»

رضوان الحاجب ٧ - ٩

الرضي - الشريف - ١٣١

رقية ابنة أبي عنان ٧١

الروم ٢٦

الريكي الثالث ٨٩

حرف (ز)

الزباء ٩٢

زناتة ٦٧

زروق ١٢٢

زهور الوطاسية ١١٧ - ١٢٠

زيان بن عمر بن علي الوطاسي ٦٥

١١٨ - ١١٩ - ١٤٢

حرف (س)

السجيري ١١٧ - ١٢٠

سعد بن محمد الغني بالله بن الاحمر

٨١

السعديون ١٣٥ - ١٤٧ - ١٥٣

١٥٤ - ١٥٦ - ١٦٠ - ١٦٣

السعيد بن أبي عامر المريني ٨٧

السعيد بن عثمان ٤٤

سفيان الثوري ١٣٢

سليمان بن داود ٣ - ٤ - ٦ - ٣٨

٤١ - ٤٢ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤

سليمان بن سليمان خان ١٦٣

سليمان بن ونصار ٣٨ - ٤١ -

٤٢

سليم بن عبد الرحمن ٦٥

سويد ٤ - ٦٦

سيويه ١٠٠

حرف (ش)

الشادلية ١٦٤

الشاوية ٩٦ - ١١٦

شاويل اليهودي ٩٨

الشرفاء السعديون ١٢١

شعيب بن ميمون بن داود ٣٨

الشيرازي ١٣١

حرف (ص)

صالح التركماني - صالح رئيس -

١٦٠

صالح بن حمو الياباني ٨١ - ٩٤

٩٤

صغير بن عامر بن ابراهيم ٤

صالح بن صالح بن حمو الياباني ٩٦

صبيح ٦٦

صنهاجة ١٥

حرف (ط)

طلحة بن حسان ٦٦

حرف [ظ]

الظاهر برفوق - الملك الظاهر - ٧٧

حرف [ع]

عائشة ابنة القائد فارح العليج ٦٠

عامر بن عبد الله بن ماساي ٥

عامر بن محمد الهنتاني ٣ - ٤ - ٦

١٧ - ١٨ - ٤٢ - ٥٣ - ٥٤

٥٥ - ٥٦

العباس بن عمر بن عثمان الوسناني

٧٣

العباس بن المقداد ٧٠

عبد الحق بن أبي سعيد بن أبي العباس

٩٣ - ٩٤

عبد الحلیم بن أبي اسحق الزناسني

٨٠

عبد الحلیم بن أبي علي بن أبي سعيد

٤٣ - ٤٤ - ٥١ - ٧٤

عبد الرحمن بن أبي العباس القبائلي

٨٦ - ٨٧ - ٨٨

عبد الرحمن بن أبي عنان ٣

عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ٥١ - ٦٠

٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٥ - ٦٧

٦٩ - ٨١ - ١١٨ - ١١٩

عبد الرحمن المنجور ١٥٨

عبد الرحيم بن اسحق الزناسني ٨١

عبد العزيز بن أبي العباس أحمد

الحفصي ٧٩

عبد الله بن أحمد المريني - عبو -

٩٢ - ٩٣ - ٩٤

عبد الله بن اسمعيل ١٤٤

عبد الله بن كندوز العبد الوادي ٦٦

عبد المهيم بن أبي سعيد الحضرمي

٦٩

عبد المومن بن أبي سعيد ٧٤

عبد المومن بن أبي علي ٥١ - ٥٣

عبد الواحد بن طلحة العروسي ١٥٢

١٥٣

عبد الوارث الياصلوتي ١١٦

عثمان بن وزنمار ٤

العثمانيون ١٦٢

عسيلة - أم السلطان الواثق بالله بن

أبي زيان ٧٢

العرب ٥ - ٦ - ٣١ - ٣٣ -

٣٤ - ٥٧ - ٦٧ - ٧٤ - ٨٥ -

٩١ - ١٦١

عرب أنكاد ٩٦

عرب تامسنا ٣١ - ١٤٤

عرب بني معقل ٦٧

عرب جشم ٣٢

عرب السوس الاقصى ٣٥

عرب سويد ٥٧

عرب صبيح ١٦٥

عروج باشا ١٦٢

عرب المغرب الأقصى ٦٧

عسيلة أم السلطان الوائق بالله المرينى

٧٢

عرب هلال ٤

على بن ادريس ٦٥

على بن حسان ٦٦

على بن هرون ١٥٥

على بن يوسف الوطاسى ٩٦ - ٩٧

عمرو بن سليمان الشيطمى المغيطى

- السياف - ١٢٢ - ١٢٣

عمر بن عبد الله الفودودى ٣٧

٣٨ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤

٤٥ - ١٥ - ٥٨

عمر بن عبد الله اليابانى ٤٥ - ٥٠

٥٢ - ٥٣

عمر بن على الوطاسى ١١٨

عمر بن يحيى الوطاسى ١٦٣

عياض القاضى ١٦٥

عيسى بن الحسن المصباحى ١١١

حرف [غ]

غازى بن أبى عبد الله محمد بن غازى

١١٣

غرسية بن انطول ٣٨ - ٤٢

غزوان ١٤٤

غمارة ٧١

حرف [ف]

فارح بن مهدى العليج ٨١ - ٨٧

٨٩ - ٩٠

فارس بن عبد العزيز بن محمد ٥٥

فتح الله السدراتى ٣٨

فرناندو ٩٥

الفرنسج ١٠٨ - ١٠٩ -

١٢٠ - ١٣٩ - ١٤٢ - ١٦٣

فرقاجة ٣٠

فضة - أم السلطان أبى زيان المرينى ٤٤

حرف [ق]

القاسم بن أبى مدين ٥٩ - ٧٣

القادر العباسى ١٣١

القادرية ١٦٤

قبائل الحوز ١٥٣

قبائل العرب ١٥٣

قبائل السوس ١٣٩

قبائل صناكة ٥٤

القبائل الهبطية ٩٩ - ١١٤

القصبة بشفشاون ١٢١

القعقاع بن شور ١٣٢

قمر - أم السلطان أبى سالم ٧

القهر دور ٦

فيس بن عاصم ١٣٣
قيصر ٩٢

حرف [ك]

كعب بن مامة ١٣٢
كلنب ١٠٧ - ١٠٨

حرف [ل]

لوزير ماريا ١٣٦

حرف [م]

مبارك بن ابراهيم بن عطية ١٣ -
٤٤ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٦

محمد بن أبي زكرياء يحيى بن أبي
الحسن بن أبي دلالة ٩٥

محمد بن أبي ثابت ١٦١

محمد بن الاحمر - الغنى بالله - ٨

١٢ - ١٧ - ٣٢ - ٥٨ - ٦١

٨٨

محمد بن أحمد الابكم ٧٣

محمد بن أحمد بن أبي سالم ٧١

محمد بن الزرقاء ٣٨

محمد بن عبد الحلیم بن أبي علي بن

أبي سعيد ٧٤

محمد بن عثمان بن أبي تاشفين ٣٣

محمد بن عثمان بن الكاس المجدولى

٦٢ - ٦٣ - ٦٩ - ٧٠

محمد بن عريف ٥٧

محمد بن علي بن يوسف الوطاسى ٩٧

محمد بن الغنى بالله ابن الاحمر ٨١

محمد بن محمد بن أبي عمرو التميمي

٧٥

محمد بن موسى بن محمود الكردي ٧٨

محمد بن يوسف ابن الاحمر ٨٢

محمد بن يوسف بن علال الصنهاجى

٧٨ - ٧٦

المرايط ٩١

مريم ٥٢

مسعود بن عبد الرحمن بن ماساى ٣

٥ - ٨ - ٣٨ - ٤١ - ٥٠ -

٥١ - ٦١ - ٦٢ - ٦٨ - ٦٩

٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤

مسعود بن الناصر ١٤٧ - ١٤٨

المعتصم بن أبي عنان المريشى ٣

المعتمد بن عباد ٣ - ١٩

مغراوة ٣٤

منسا زاطة ٣٥

منسا سليمان ٣٤ - ٣٥

منسا موسى ٣٤

المنصور ٢٠

المنصور بن أبي عبد الله ٩١

المنصور بن أبي غانم ١٦٣

١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨	منصور بن أحمد بن محمد التميمي
النجليز ٩٨	٧٣
نصر بن الغنى بالله ابن الاحمر ٨١	منصور بن زيان الوطاسي ١١٧
حرف [هـ]	منصور بن سليمان ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨
هرون اليهودي ٩٨ - ٩٩	منقر ١٣٣
هتاتة ٣ - ١٨ - ٥٥	منويل ١٣٦ - ١٣٩ - ١٤٣
حرف [و]	١٣٩ - ١٤٣
الوطاسيون ٩٧ - ٩٨ - ١٣٥	منويل بن باولو القشتلي
١٥٧ - ١٥٣	٨١ ٨٩ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤
ونرمار بن عريف السويدي ٦٨	٩٥ - ١٢٠ - ١٣٥ - ١٣٩
حرف [ي]	١٤١ - ١٤٢ - ١٤٤ - ١٥٧
الياسمين - أم السلطان أبي بكر بن	المهدي بن عبد الرحمن بن ماساي ٧٠
أبي عنان المريني ٣	المهدي الشيعي ١٤٣
يحيى بن أبي دلالة ٨٠	الموحدون ١٦
يحيى بن أبي زكرياء ١١٩	موسى ١٢٢
يحيى بن الحسن بن أبي دلالة التسولي	موسى بن أبي سعيد ٦٦
٧٨ - ٨٠	موسى بن أبي عنان ٦٨ - ٦٩
يحيى بن الصائغ اليهودي ٨١	٧١ - ٧٢ - ٧٥
يحيى بن عبد الرحمن ٤٢ - ٤٣	ميمونة - أم السلطان أبي عمر تاشفين
يحيى بن علال ٨١	الموسوس - ٤١
يحيى بن علال بن أمصمود الهسكوري	حرف [ن]
٧٣ - ٨٠ - ٨١ - ٩٤	الناصر بن أبي زكرياء ١٤٠ - ١٤٤
يحيى بن موسى ٧٢	الناصر بن محمد الشيخ - الكديد -

بعيش بن على بن فارس اليباني ٧٣	يحيى بن ميمون ٥٤
يغمراسن بن زيان ٦٦ - ١٦٣	بحي الجوطي ١١٤
يوحنا الثاني ١٠٧	يعقوب بن أبي حدو ١٦
يوسف بن أبي حمو ٧٦ - ٧٧ -	يعقوب بن حسان ٦٦
٨٠	يعقوب بن عبد الحق ٦٦
يوسف بن تاشفين ١١٨	يعقوب بن المنصور الموحدى ١٤٣
يوسف بن على بن غانم ٧٧	يعقوب التسولى ٩٧
يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ٢٩	يعيش بن عبد الرحمن بن ماساى
اليونان ١٠٧	٧١
	يعيش بن على بن أبي زيان ٦

فهرس الاماكن

حرف [أ]

أرض السوس ٦٦	آزمور ٦٥ - ١١٠ - ١٣٥
أرض ماركان ١٠٧ - ١٠٨	١٣٩ - ١٤٢ - ١٤٣
أشبونة ٩٣ - ١٣٥ - ١٤٤	آسفى ١٦ - ١٣٩ - ١٤١
أشيلية ٤٤	١٤٣ - ١٥٤
أغمات ١٩ - ٢٠	آصلا ٩٨ - ١١٠
أفريقية ٤ - ١٠٩	
اندرش ١٠٥ - ١٠٦	١١١
الاندلس ٦ - ٧ - ٩ - ١٢	١١٣ - ١١٦
١٤ - ٢٠ - ٢١ - ٢٧ - ٢٨	١١٩ - ١٢٠
٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٥١ - ٥٦	١٤٠ - ١٤٢ - ١٤٤ - ١٥٢
٥٨ - ٥٩ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣	آكادير ١١٠ - ١٣٩
٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧٢ - ٧٣	آكرسيف ٣٣
٧٥ - ٨١ - ٩١ - ١٠٢	آنفا - الدار البيضاء - ١٣ - ١١٠
١٠٣ - ١٠٧ - ١٠٩ - ١٢٥	١١٦ - ١٤٤
١٣٥ - ١٦٢	آنكاد ٥
	آنماى ١٥٠

حرف [ب]

باب الجيسة بفاس ٣٩ - ٩٦	أبو عقبة بوادى العبيد ١٥٤
١٢٤	أرض الاندلس ٥٨ - ٦٢ - ١٠٢
باب الحمراء بفاس ١٠١	١٢٠
باب الخميس بمراكش ١٤٨	أرض البروزى ١١١
باب الشريعة ١٣٥	أرض الجديدة ١١٠
باب فاس بمراكش ١٤٨	أرض السودان ١١٠

١٥٦ - ١١٦ - ٥٧	بلاد الغرب	١٤٦ - ٤٢	باب الفوح
١٦٣		١٤٧ - ١٤٦	باب القليعة
٨	بلاد غمارة	٩١ - ٦٤ - ٣٣	باب المحروق
١٢٤	بلاد قشتالة	٨٣	باب المعلقة
٥٠ - ١٧	البلاد المراكشية	٧	بادس
١٦٣ - ١١٣	بلاد المشرق	١٦٢ - ١١٨ - ٩١	بجاية
٦٨	بلاد مغراوة	٣٥ - ٣٢	برج الذهب
١٢٤ - ١٢١ - ٢١	بلاد المغرب	١٣٦	برج الشيخ
١٦٠	بلاد المغرب الاقصى	١٠٥	بر العدو
٣٣	بلاد ملوية	١٣٩ - ١٣٦ - ١١٠	البريجة
١١١ - ١١٠ - ١١	بلاد الهبط	٤	برشلونة
١٣٨ - ١٢٤ - ١١٩ - ١١٢		١٠٨ - ١٠٧	البحر المحيط
١٤٩ - ١٤٤ - ١٤٠		١١٠	
١٠٦	بليفيق	١١٦	بسيط أزغار
٥	البلد الجديد	١٠٥ - ١٠٣	البشرات
٩٠	بونة	٦٨	البطحاء
١٠٦	بيجة الجزائر	٦٧ - ٦٣ - ٦١	بطوية
		١٠٩	بلاد الاندلس
		١٦٥	بلاد أولاد جلون
		١٥٣	بلاد الحوز
		١١٨ - ٦٣	بلاد الريف
		٥٧	بلاد زناتة
		١٤٧ - ١١٢ -	بلاد السوس
		١٤٩	
		١٦٣ - ٧٨	البلاد الشرقية
		١١١	بلاد طليق

جبل بللنقة ١٠٦	تاصروت ١٢٣ - ١٤٧
جبل بنى جابر ٥٤	تالماغت ٤٩
جبل درن ٥٤ - ٥٠	نامسنا ٩٦ - ٦٧ - ١٥
جبل الزعفران ٣٩	تانسيفت ١١١
جبل زرهون ١٥١	تاووبرت ٦٧
جبل شلير ١٠٣	تطاوين ١٠٦ - ٩٠ - ٨٩
جبل الصفيحة ٧٠	١٢٤ - ١٢٥ - ١٥٤
جبل طارق ٩٣ - ٦٣ - ٥٨	تلمسان ٣٤ - ٣٣ - ٦ - ٥ - ٤
١٤٢ - ٩٨	٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠
جبل العلم ٢١	٧٦ - ٧٤ - ٦٩ - ٦٨ - ٦٧
جبل العرض بفاس ١١١	١٠١ - ١٠٦ - ١٥١ - ١٦١
بطوية ٦٧ - ٦٣ - ٦١	١٦٣ - ١٦٢
جبل غمارة ٧٠	تونس ٩١ - ٩٠ - ٧٤ - ٧٠
جبل الفتح ٧٢	١٠٦ - ١١٧ - ١٢٠ - ١٤٣
جبل مغيلة ٧٢	١٦٢
جبل هتانة ١٨ - ٣	تيجاس ٨٩
الجزائر ١٥٩ - ١٥٧ - ١٤٣	تيط ١٣٦ - ١١٠
١٦٢	
الجزائر الخالدات ١٠٨	حرف [ث]
جزيرة الاندلس ١٠٨ - ١٠٦	الثغور الهبطية ١١٣
١٢٤ - ١١٠	
جزيرة البسابس ١٦٥	حرف (ج)
الجزيرة الخضراء ٥٦	
الجديدة ١٣٩ - ١٣٦ - ١٢٥	جبال غمارة ٧٠ - ٧
جنوة ١٠٧	جبال المصامدة ٥٠
جوطه ١١٤	جبال الكاي ٣

حرف (ح)

حجر باديس ١٤٣

حصن تاجحمومت ٦٨

حصن تازروت ٦٨

حصن عامر ٦

حصن فوتي ١٣٩

حصن مرادة ٦٨

الحمراء - حمراء غرناطة - ٨ - ٧٢

١٠٤ - ١٠٥ - ١٢٤

حومة ايلان بمراكش ١٦٥

حومة البلدة بفاس ٩٩

حومة القصور بمراكش ١٤٤ -

١٦٦

حومة القلقلين بفاس ٩٩

حرف (خ)

خندق القصب ٣٩

حرف (د)

الدار البيضاء ١٤٤

دار الكومي ٩٩

دبدو ١٢٤ - ١٦٣

درب جنيرة ٩٩

درب السعود ١٤٦

درعة ١٥٧

الدعاة ١١١

الدينا الجديدة ١٠٨

ديار الاروبا ١٦٣

ديار الاندلس ١٧

الديار المغربية ١٦٣

حرف «ر»

الرباط - رباط الفنج - ٢٠ - ١٠٦

١١٠

رباط آسفي ١١٠

رباط شالة ٢٥

رندة ٨٤

رومة ١٠٤ - ١٠٥

الركن ٦٩

رياض الغزلان ٣٩ - ٥١

حرف «ز»

زرهون ٩٤

زنقة الجيلة ٨٧

حرف «س»

سبنة ٤٤ - ٥٦ - ٥٨ -

٦٣ - ٦٩ - ٧٢ - ٧٣ -

٧٥ - ٨٣ - ٩٢ - ٩٤ -

٩٥ - ٩٦ - ٩٨ - ١٠٩ - ١١٠ -

١١١ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٣٨ -

حرف «ط»

الطالعة ٨٧
طرابلس ١٠١
طريف ٤١
طنجة ٧٣ - ٦٣ - ٦١ - ٤٥
٩٥ - ٩٨ - ١١٠
١١١ - ١١٣ - ١٣٨ - ١٤٠
١٤٢

حرف «ع»

العرائش ١١٠
العدوة ١٣ - ٧٢ - ١٠٤
عدوة الاندلس ١٤٤
عدوة القرويين ٨٧
عدوة وادي شفشاون ١٢١
عقبة المساجين ١٤٥
عين القوادس بفاس ١٠٠

حرف «غ»

غرناطة ٩٣ - ٨٢ - ٦٣ - ٥٨
١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٧
١٢٤ - ١٢٥

حرف «ف»

فاس ٣٢ - ٢١ - ٨ - ٤ - ٣

١٤٠

سبو ٤٣

سجلماصة ٥٣ - ٥١ - ٤٣ - ٣
٦١ - ٦٢ - ٦٥ - ٧٤
سلا ٢٤ - ٢٢ - ٢١ - ٢٠ - ١٣
٣٢ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٩ - ٥٨
١٠٩ - ١٠٦ - ٨٤ - ٨٣ - ٨٢
١١١ - ١١٠
السودان ٩٢

السوس ١٤٧ - ١٤٠ - ٥٥
السوس الأقصى ١١٠
سبوس ٩١ - ٩٠

حرف «ش»

شالة ٣٠ - ٢٥ - ٢١
الشاوية ٦٧ - ٦٦
اشام ١٠٧
شفشاون ١٢١
شلف ٦٨

حرف «ص»

الصحراء ٣٥ - ٣٣ - ٢٦ - ٥
١١٩
صحراء السوس ٥٥
الصين ٩٢

قشتانة ٨ - ١٠٤ - ١١٦	٣٤ - ٣٥ - ٤٣ - ٥١ - ٥٣
القصبة بغرناطة ٩	٥٤ - ٥٥ - ٥٨ - ٥٩ - ٦١
القصبة بفاس ٣٧ - ٣٨ - ٥٢	٦٢ - ٦٥ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩
١٤٥	٧٢ - ٧٣ - ٧٨ - ٧٩
قصبة مراکش ٥٣ - ٦٥ - ١١٩	٨٤ - ٨٧ - ٩٠ - ٩١
قصر تازروت ٦٧ - ٦٨	٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٩
القصر ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٦	١٠٠ - ١٠١ - ١٠٥ - ١٠٦
القصر الكبير ١٩٥	١١١ - ١١٢ - ١١٥ - ١١٦
قصر كنامة ٧١ - ١١٠ - ١٤٠	١١٩ - ١٢٠ - ١٢٤ - ١٢٥
قصر المجاز ٩٦ - ١١٠ -	١٣٥ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦
١١١	١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠
قصر ونزمار ٦٧	١٥١ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٦
القلعة بفاس ٩٦ - ١٠٠ - ١٢٤	١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٤
قنطرة الرصيف ١٥٥	١٦٥
حرف «ك»	فاس الجديد ٥ - ٦ - ٣٧ - ٣٨
كدية العرائس ٦ - ٨ - ٣٨ -	٤٢ - ٤٣ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٦
٣٩ - ٤٣ - ٤٥	٨٧ - ٩٩ - ١١٧ - ١٢٠ -
حرف «م»	١٢٤
مادرة ١٤١	نضالة ١١٦
مالقة ١٠٢	حرف «ق»
مخروط جوطة ١١٤	قبة الخياطن ١٣٨
المدرسة الغانية ١١٦	قرطبة ١٠٦
مدرسة الوادي بفاس ١٤٤	القرويين ٩٩ - ١١٣
مدريد ١١٦ - ١٢٤	قسطنطينة ٨٣
	القسطنطينية ١٠٧

٩٥ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٨	المدينة البيضاء - فاس الجديد ٨ -
١٠٩ - ١١١ - ١١٤ - ١١٥	٦١
١١٨ - ١١٩ - ١٣٥ - ١٢٤	مرادة ٦٧
١٣٦ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٥٦	مراكش ٣ - ٤ - ٨ - ١٣ - ١٦
١٦١ - ١٦٥	٢١ - ٢٥ - ٣٢ - ٣٥ - ٤٣
١٦٣ - ١٦٢ المغرب الادنى	٥٠ - ٥٣ - ٥٤ - ٦٢ - ٦٥
٨١ - ٦٦ - ٦٥ المغرب الأقصى	٦٦ - ٦٧ - ٧٣ - ٨٦ - ٩٥
٨٣ - ٩٢ - ١٠٦ - ١٠٨	١٠٥ - ١١١ - ١١٨ - ١٢٣
١٠٩ - ١١٠ - ١٦٣	١٣٩ - ١٤٤ - ١٤٦ - ١٤٧
١٠٩ - ١٠١ - ١٥١ - المغرب الاوسط	١٤٨ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٦
١٥٩ - ١٦٢ - ١٦٣	١٥٧ - ١٦١ - ١٦٥ - ١٦٦
مسجد السوق الكبير بفاس الجديد	مرتيل ١٢٤
٩٠	مرج غرناطة ١٠٣
مسجد القرويين ١٢٤	مرسى آكادير ١٣٩
مسراتة ١٠١	مرسى الجزيرة الخضراء ٥٦
مسلمة ١٦١	مرسى عساسة ٥١
مشرع أبي عقبة ١٥٣	مرسى سبة ٩٢
المشرق ٧ - ٣١ - ٥١ - ٧٤	المرية ١٠٥
٨٤ - ٨٥ - ١٦٥	المعمورة ١٤٣
٧٧ - ١٠٧ مصر	المغرب ٥ - ٦ - ٨ - ١٤ - ٢٠ - ٢١
مكناسة الزيتون ٢١ - ٦٧ - ٩٩	٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥
١٠١ - ١١٦ - ١٢٠ - ١٢٤	٤٢ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٨
١٤٨ - ١٥١ - ١٥٦ - ١٥٧	٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣
١٦٦	٦٥ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٨ - ٧٠
الملاح ٤٢	٧٢ - ٧٤ - ٧٧ - ٧٩ - ٨٠
مليلة ١٣٥ - ١٠٥	٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٩١ - ٩٢ - ٩٤

١٥٦	وادی درنة	١٢٩	مملكة المغرب
٦	وادی سبو	١١٠	المهدية
١٥٤ - ١٥٣	وادی العید	١٤٤ - ١٤٣	میناء المعمورة
٧٩	وادی مرتیل		حرف « ن »
٢٩	وادی ملویة		نهر سبو ١٦٥ - ١١٤
٣٩	وادی ورغة		حرف « و »
١٤٦	وادی اللبن		وادی آش ١٠٣ - ١٠٢ - ٩
٦	وجدة		١٠٤
٣٣	وطاط		
١٦٢ - ١٤٣ - ١٠٦	وهران		